

فقه اللغات العروبية

وخصائص العَرَبِيَّةِ



للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت



للطباعة والنشر والتوزيع
العراق

فقه اللغات العروبية وخصائص العَرَبِيَّةِ

الكتاب: فقه اللغات العروبية وخصائص العَرَبِيَّة

الناشر: دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع — الجنوب للطباعة والنشر والتوزيع

التنسيق الداخلي: www.jawadonline.net

الغلاف: جواد المظفر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقي ٣٤٠٣ لسنة ٢٠١٧

ISBN: 978-1-906228-69-9

الجنوب للطباعة والنشر والتوزيع
العراق

دار ومكتبة البصائر للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت

AL- JANOOB CO.
Republic Of Iraq
Al- Basrah - Ashar
P. Box. 2255
Mob: 009647801032308
E-mail: Jawadonlin@yahoo.com

AL- BASAEER CO.
Lebanon - Beirut
Safeer - Neighboring AL-Rayah Stadium
Mob: 03210986 - 01547698

الطبعة الثانية

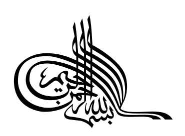
2017

فقه اللغات العروبية وخصائص العربيَّة





مُقَدِّمَة



الحَمْدُ لله كَمَا يَنْبَغي أنْ يُحمَدَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلىٰ نَبِيِّهِ أبي القَاسِمِ مُحَمَّدٍ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ سَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِ الأوحَدِ.

وَبَعْدُ.

لَقِيَتْ مَوْضُوعَةُ فِقْهِ اللُغَةِ عِنْدَ البَاحِثِيْنَ وَالدَّارِسِيْنَ العَرَبِ اهْتِمَامَاً وَاسِعَاً فِي سَنَوَاتٍ تَلَتْ ظُهُوْرَ مُصْطَلَحِ فِقْهِ اللغةِ (*philology*) فِي الدَّرسِ اللغويِّ الحديثِ لاسيَّما مع بداياتِ القرنِ العشرينِ، كونَها أصبحتْ من المقرَّراتِ العلميةِ الأكاديميةِ التخصُّصيّةِ فِي الجامعاتِ العَرَبِيَّةِ، ومن هنا شرعَ الباحثونَ العربُ بتحديدِ ماهيّةِ هذا المصطلحِ والنظرِ فِي موضوعاتِه اللغويةِ لاسيَّما بعدَ النتائجِ الإيجابيةِ التي حققتْها الدراساتُ اللغويةُ الحديثةُ علىٰ صعيدِ البحثِ اللسانيِّ النظريِّ والتطبيقيِّ معتمدينَ ما ترشَّحَ عن الدرسِ اللغويِّ القديمِ من مصنَّفاتٍ لغويةٍ تَشي بماهيّةِ هذا المصطلحِ وموضوعاتِه اللغويةِ.

وقد بحثَ فِي هذا الموضوعِ، وكتبَ فيه عددٌ من اللغويينَ و الأكاديميينَ، وأُثيرتْ حولَه العديدُ من الإشكالياتِ النظريةِ والتطبيقيةِ، لا سيَّما دلالةُ المصطلحِ وعلاقتُه بعلمِ اللغةِ، وعلمِ الفنولوجيا، وموضوعاتٍ أُخَر، إذْ تمثَّلَ ذلكَ فِي مباحثِ ناقدي

التراثِ الذينَ زعمُوا أنَّ القدماءَ ومن صنَّفَ تحتَ هذا الموضوعِ لم يقصدُوا قصداً إِلَىٰ هذا المصطلحِ بماهيّتِه العلميةِ وجعلُوا ذلكَ عيباً ونقصاً تجعلُ إصلاحَه وإعادةَ النظرِ فيهِ ضرورةً ملحةً، ومهمةً أساسيةً لمعرفتِه ومعرفةِ خصائصِ اللغةِ العَرَبِيَّةِ.

ومن هذا المنطَلَقِ سعيْنا إِلَىٰ تحديدِ موضوعاتِ فقهِ اللغةِ العَرَبِيَّةِ وعرضِها مادةً لغويةً أكاديميةً مطابقةً لمفرداتِ مناهجِ أقسامِ اللغةِ العَرَبِيَّةِ فِي الجامعاتِ العراقيةِ وحسبَ مقترحاتِ اللجنةِ العلميةِ المعنيّةِ بتحديثِ المناهجِ العلميةِ لذا جاءَ عنوانُ كتابِنا هذا علىٰ النحوِ الآتي: «فقه اللغات العروبية وخصائص العَرَبِيَّةِ» لِأَنَّ البحثَ فِي الخصائصِ اللغويةِ لابدَّ لهُ من الركونِ إِلَىٰ أصولِها التي ترشحتْ عنها، ومعرفةُ هذه الأصولِ تقتضِي البحثَ فِي الخصائصِ اللغويةِ للغاتِ العروبيةِ والمقاربةِ بينها وبين ما هو كائنٌ فِي لغةِ العربِ.

هذا الكتابُ استقراءٌ لجهدِ مَن صنَّفَ من القُدَمَاءِ وَالمحدثينَ فِي موضوعةِ فقهِ اللغةِ أوْ ما كانَ يُبْحَثُ فِي خَصَائِصِ اللُغَةِ العَرَبِيَّة وَقَضَايَاهَا، وَمَا فَضَّلْنَا فِيْهِ إلَّا شعب موضوعاتِه الْمُتَفَرِّقَةِ وَتَبْوِيبِهَا وَشَرح ما كانَ غلفا فِي موضعِه منها، والموائمةِ بينَ موضوعاتِه بمنهجٍ علميٍّ يَتَّسِقُ وَالْمَوْضُوْعَاتِ العِلْمِيَّةَ الْمُقَرَّرَةَ لِطَلَبَةِ الْمَرْحَلَةِ الرَّابِعَةِ، وَمَا يَحْتَاجُهُ البَاحِثُ والدَّارِسُ فِي قَضَايَا اللُغَة العَرَبِيَّة وَخَصَائِصِهَا.

واللهُ مِنْ وَرَاءِ القَصْدِ

الفصل الأول

قـــراءةٌ فِي مصطلـحِ فقـــهِ اللغـــةِ

يلحظُ القارئُ للتراثِ العربيِّ اضـطراباً فِي اسـتعمالِ المصـطلحاتِ اللغويـةِ التـي تمثلتْ بموضوعاتِها المختلفةِ، حتىٰ أوجدَ بعضُ الدَّارِسينَ علـةً لـذلكَ، أولُها عـدمُ التوافقِ علىٰ تلكَ المصطلحاتِ من قِبَلِ اللغويينَ، وثانيها اختلافُ المـذهبِ والاتجـاهِ فِي التحليلِ اللغويِّ، والغريبُ فِي الأمرِ أنّنا نجدُ الذينَ عـابُوا عـلىٰ القـدماءِ ذلــكَ لا ينفكّونَ من استعمالِ تلكَ المصطلحاتِ حتىٰ توجّهُوا بها إِلَىٰ حقلِ الدراساتِ الغربيةِ يقارنونَ بينَها وبينَ ما هوَ علمٌ لسانيٌّ فِي الدراساتِ الغربيةِ علَّـهُ يماثلُـه فِي شيءٍ حتـىٰ تكونَ هذهِ التسميةُ أَوْ تلكَ مصداقاً لهـذا الإطـلاقِ، ومـن بـينِ تلـكَ المصـطلحاتِ مصطلحُ فقهِ اللغةِ، إذْ حَظِيَ هذا المفهومُ بالعديـدِ مـن الدراسـاتِ والمؤلفـاتِ التـي عنيتْ بهِ كمصطلحٍ ومنهجٍ ومادةٍ، دون أنْ يكونَ ثمةَ اتفاقٌ علىٰ شيءٍ ممّـا تقـدمَ مـن دراساتٍ ما خلا أمثلة لا تقطـعُ الطريـقَ عـلىٰ إعـادةِ النظـرِ وإبـداءِ الـرأيِ وضـبطِ المسائلِ[1]، لذا أوجدَ بعضُ البـاحثينَ أنَّ مصـطلحَ فقـهِ اللغـةِ أكثـرُ الاصـطلاحاتِ إشكالا إذ تتدخله مداليلُ مختلفةٌ، وتعنُّ فِي توظيفِه مقاصدُ متضاربةٌ[2] أي ثمـةَ أزمـةٌ

---

١. يُنْظَرُ: مدخل إِلَىٰ فقه اللغة، د. احمد قدوره: ١٣

٢. يُنْظَرُ: قاموس اللسانيات، عبد السلام المسدي: ٥٧، ومقدمة لدراسة فقه اللغة د .محمد أحمد أبو الفرج : ١٢-١٤، ومحاضرات في فقه اللغة، د. عصام نور الدين : ١١، ٢٥-٢٧.

مبعثُها اختلافاتٌ مصطلحيةٌ ومنهجيةٌ ومعرفيةٌ، ومبعثُ هذا الأمرِ هو محاولةُ بعضِ الدَّارِسين نبذَ المعارفِ القديمةِ وهجرَ نظرياتِها، والسعيَ إِلَىٰ تبنّي النظرياتِ الحديثةِ السائدةِ علىٰ ما فيها من تباينٍ واختلافٍ وعدمِ التدقيقِ فِي استعمالِ المصطلحاتِ. لذا تأتي هذه الدراسةُ للمراجعةِ والفحصِ العلميِّ، وإزالةِ ما بقيَ من غموضٍ وإشكالٍ فِي طبيعةِ وماهيّةِ هذا المصطلحِ.

مفهومُ فقهِ اللغةِ باعتباراتٍ معجميةٍ

لاشكَّ أنَّ لفظةَ فقهٍ تفصحُ لواردِ اللغةِ عن طريقِ المعجمِ العربيِّ عن المعاني الآتيةِ:

العلمُ بالشيءِ، والفهمُ له، والفطنةُ فيه. ويقالُ: فَقهَ الرجلُ فقاهةً إذا صارَ فقيهاً، وفِقه، أي فهمَ فقه[1]. وعن ابنِ فارسٍ ت«٣٩٥هـ» تقولُ: فقهتُ الحديثَ أفقهُهُ، وكلُّ علمٍ بشيءٍ فهو فقهٌ[2]، والفِقهُ بالكسرِ العلمُ بالشيءِ والفهمُ له والفطنةُ، وفَقُهَ كَكَرُمَ فهو فقيهٌ، وفاقَهَهُ باحثَهُ فِي العلمِ، ففقَهَهُ كنصَره، غلبَ عليهِ[3].

وقد نقلَ الجاحظُ لفظةَ «فقهٍ» التي وردتْ فِي ثلاثةِ نصوصٍ من كتابِه البيانُ والتبيينُ بدلالةٍ مغايرةٍ عمّا أوردْناه من معنىٰ فِي المعجمِ العربيِّ، وهذا ما تمثَّلَ فِي نصِّه الذي نقلَه عن كتابِ عمرَ بنِ الخطّابِ «رضي الله عنه» إِلَىٰ أبي موسىٰ الأشعريِّ قالَ: «وقد بلغَ أميرَ المؤمنينَ أنّ ضبّةَ تدعو: يالَ ضبّة! وإنّي والله ما أعلمُ أنَّ ضبّةَ ساقَ اللهُ بها خيراً قطُّ، ولا منعَ بها سوءاً قطُّ، فإذا جاءكَ كتابي هذاَ فنهكهم عقوبةً حتىٰ يفرّقوا أنْ لم

---

١. يُنْظَرُ: لسان العرب لابن منظور: مادة (فقه)١٣: ٥٢٢، والقاموس المحيط: مادة(فقه).

٢. يُنْظَرُ: مجمل اللغة. مادة (فقه): ٣: ٧٠٣

٣. يُنْظَرُ: لسان العرب: مادة (فقه).

يفقهوا»[1] أما النَّصُّ الثَّاني فقد تمثَّلَ بوصيةِ عبدِ الملكِ بنِ صالحٍ ت «١٨٧هـ» لابنٍ له، قالَ: «عوِّدْ نفسَكَ السماحَ، وتخيَّرْ لها من كلِّ خلقٍ أحسنَه، فإنَّ الخيرَ عادةٌ، والشرَّ لجاجةٌ، والصدودَ آيةُ المقتِ، والتعللَ آيةُ البخلِ، ومن الفقهِ كتمانُ السرِّ»[2]، والقولُ الثالثُ فِي غيرِ موضعِها من الدلالةِ قولُ الجاحظِ فِي إياسٍ «إنّه كانَ من مفاخرِ مضرَ، ومن متقدِّمي القضاةِ، وكانَ فقيهَ البدنِ، دقيقَ المسلكِ فِي الفطنِ»[3] ولعلَّ مرونةَ اللغةِ العَرَبيَّةِ هي التي سمحتْ بهذهِ الاستعمالاتِ اللغويةِ التي خرجتْ عن المعنىٰ الوضعيِّ للكلمةِ. ففي النَّصِّ الأوّلِ كانَ المعنىٰ: إنْ لم ينتهوا، وفي الثاني: ومن الحكمةِ. وفي الثالثِ: قصدَ: فراستَه وتأديتَه إِلَىٰ الفن بعينيه ويدِه.

ومن بابِ التخصيصِ يرىٰ بعضُ العلماءِ أنَّ مفهومَ الفقهِ أخصُّ من العلمِ. قالَ الراغبُ الأصفهانيُّ «رحمَه اللهُ»: «الفقهُ هو التوصلُ إِلَىٰ علمٍ غائبٍ بعلمٍ شاهدٍ، فهو أخصُّ من العلمِ»[4]. لذلكَ يقالُ للفقيهِ عالمٌ وفقيهٌ ولا يقالُ للعالمِ فقيهٌ. وقد وردتْ لفظةُ «فقهٍ» فِي القرآنِ الكريمِ عشرينَ مرةً تحملُ المعانيَ التي ذُكرتْ، فمنْ ذلكَ:

قَالَ تَعَالَىٰ:

﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ النِّساء:٧٨

﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ التوبة:١٢٢

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ الاسراء:٤٤

﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي﴾ طه:٢٧ – ٢٨

﴿انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ الانعام:٦٥

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ الاعراف:١٧٩

---

١. البيان والتبيين للجاحظ: ٢: ٢٩٣، تح: عبد السلام هارون.

٢. المَصْدَرُ نفسه: ٤: ٩٤.

٣. المَصْدَرُ نفسه: ١: ١٠١.

٤. مفردات غريب القرآن للراغب الأصفهاني: ٣٨٤، ط(١)

﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾ الانفال:٦٥
﴿ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴾ التوبة:٨١
﴿ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ التوبة:٨٧
﴿ صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ التوبة:١٢٧
﴿ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ الكهف:٩٣
﴿ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ الفتح:١٥
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ الحشر:١٣
﴿ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ المنافقون:٣
﴿ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ المنافقون:٧
﴿ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ ﴾ الانعـــام:٢٥، الاسراء:٤٦، الكهف:٥٧
﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ ﴾ هود:٩١
﴿ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴾ الانعام:٩٨

وقد غلبَ استعمالُ «الفقهِ» علىٰ علومِ الدينِ لشرفِها وذلكَ من بابِ تخصيصِ الدلالةِ. و تستعملُ فِي غيرِ علومِ الدينِ بقرينةٍ. وقالَ صاحبُ اللسانِ: «وغلبَ علىٰ علومِ الدينِ لسيادتِه وشرفِه وفضلِه علىٰ سائرِ العلوم»[١] ويرىٰ ابنُ جنّي«ت٣٩٢هـ» أنَّ الفقهَ خُصَّ به علمُ الشريعةِ وعللهُ اعلامُ وإماراتٌ لوقوعِ الأحكامِ من التحليلِ والتحريمِ[٢] كونَه يعنىٰ بالأحكامِ الشَّرعيةِ العمليةِ والإفصاحِ عنها من أدلّتِها التفصيليةِ وقيلَ «هو الإصابةُ والوقوفُ علىٰ المعنىٰ الخفيِّ الذي يتعلقُ به الحكمُ وهو علمٌ مستنبطٌ بالرأيِ والاجتهادِ ويحتاجُ فيهِ إِلَىٰ النظرِ والتأملِ»[٣].

١. لسان العرب : مادة فقه، ١٣: ٥٢٢
٢. يُنْظَرُ: الخصائص لابن جني: ١: ١٠١-١٠٢«عبد الحميد هنداوي».
٣. كتاب التعريفات لعلي بن محمد الجرجاني: ١٧٥

أما تعريفُ كلمةِ «اللغةِ»: فاللغةُ مشتقةٌ من لغا يلغو، إذا تكلـمَ فمعناهـا الكـلامُ فهذا تعريفُها فِي اللغةِ.

أما فِي الاصطلاحِ فعرفتْ بتعريفاتٍ عديدةٍ أشهرُها ما ذكره أبو الفتحِ ابـنُ جنـي فِي كتابِه «الخصائصُ» حيثُ قالَ:

«حدُّ اللغةِ: أصواتٌ يعبرُ بها كلُّ قومٍ عن أغراضِهم»[1]

وهذا التعريفُ الذي تناقلَه علماءُ العَرَبِيَّةِ علىٰ اختلافِ تخصُّصاتِهم يضارعُ أحدثَ التعريفاتِ العلميةِ للغةِ، حيثُ ترىٰ تلك التعريفاتُ أنَّ اللغةَ:

أ. أصواتٌ منطوقةٌ.
ب. وأنَّ وظيفتَها التعبيرُ عن الأغراضِ.
ت. وإنّها تعيشُ بينَ قومٍ يتفاهمونَ بها.
ث. وأنَّ لكلِّ قومٍ لغةٌ.

فهذه – تقريباً- هي الأركانُ التي يدورُ عليها تعريفُ اللغةِ عند جميعِ مَن عرفَها[2] وإنْ كانتْ بعضُ التعريفاتِ الحديثةِ للغةِ تتوسعُ فتُدخلُ فِي اللغةِ كلَّ وسيلة تفـاهمٍ. ولا تقتصرُ علىٰ الأصواتِ فتجعلُ فيها الإشاراتِ وتعبيراتِ الوجهِ ودقاتِ الطبـولِ وغيرَها فإنَّ الأشهرَ هو حصرُ اللغةِ فِي الأصواتِ المنطوقةِ لأنَّ غيرَهـا مـن الوسـائلِ محدودةٌ وقليلةُ القيمةِ.

ويرىٰ بعضُ الباحثينَ أن تعريفَها «اللغـةَ» قـد تخطّـىٰ بفعـلِ الدراسـاتِ اللغويـةِ الحديثةِ التي قامـتْ علىٰ أسـاسِ أنّهـا فـرعٌ مـن الفلسـفةِ أوْ علـمِ الـنفسِ أوْ علـمِ الأنثروبولوجيا[3] القولَ بأنّها نظـامٌ مـن الرمـوزِ الصـوتيةِ، أوْ مجموعـةٌ مـن الصـورِ

---

١. المَصْدَرُ نفسه: ٨٧

٢. يُنْظَرُ: فقه في كتب العربية: (عبدة الراجحي): ٦٠

٣. تعني كلمة الأنثروبولوجيا علم دراسة الإنسان لكن مصطلح الأنثروبولوجيا اللغوية يهدف إِلَىٰ الكشف عن الأصول التاريخية لنشأة اللغة عموماً، والمجموعات المتشابهة فيها علىٰ وجه الخصوص،

اللفظيةِ تختزنُ فِي أذهانِ أفرادِ الجماعةِ اللغويةِ وتستعملُ للتفاهمِ بين أبناءِ جمعٍ معـينٍ، كونَها فِي نظرِ بعضِ الباحثينَ وسيلةٌ للتعبيرِ عن الأفكارِ والعواطفِ والرغباتِ، فهي وسيلةُ توصيلٍ لما ذُكرَ عن طريقِ نظامٍ من الرموزِ التي تصدرُ بطريقةٍ إراديةٍ[1].

فقهُ اللغةِ مصطلحاً علمياً

لم نجدُ فِي كتبِ القدماءِ مدلولاً خاصاً بهذا المصطلحِ، وإنّما جاءَ هذا المصـطلحُ فِي بعضِ مَن صنفَ تحتَ هذا العنوانِ رغبةً واختياراً لمن أُهديَ له هـذا المصـنَّف، أوْ أنَّ صاحبَه لم يكنْ يقصدُ إِلَىٰ بيانِ ماهيّةِ المصطلحِ كونَه لم يكنْ مفرداً بل جاءَ منسبكاً مـعَ مجموعةِ كلماتٍ، ككتـابِ ابـنِ فـارسٍ «الصـاحبيُّ فِي فقـهِ اللغـةِ و سـننِ العـربِ فِي كلامِها» وكتابِ أبي منصورٍ الثعالبيِّ «ت٤٢٩هـ»، «فقهُ اللغةِ وسرُّ العَرَبِيَّةِ»، وقبـلَ الشروعِ فِي بيانِ و معرفةِ الموضوعاتِ التي عالجَها القدماءُ من قبلُ فِي هذينِ الكتابينِ، نحاولُ أنْ ننطلقَ من الصياغةِ اللغويةِ للمصـطلحِ علّنـا نقـفُ عـلىٰ بعـضِ حـدودِه اللغويةِ.

فقهُ اللغةِ من الناحيةِ اللغويةِ هوَ: فهمُ اللغةِ والعلمُ بهـا، وإدراكُ كنهِهـا، أي أنَّـه العلمُ الذي يعنىٰ بدراسةِ قضايا اللغةِ، التي تتمثلُ بالأصـواتِ اللغويـةِ، والمفـرداتِ الصرفيةِ، والتراكيبِ النحويةِ «الجملِ، و الأسـاليبِ» فضـلاً عـن المسـتوىٰ الـدلاليِّ «المعجمـيِّ»، وهـذا يعنـي النظـرَ فِي خصائصِـها الصـوتيةِ. والصرـفيةِ والنحويـةِ

ويقارن اللغات بعضها ببعض ليحدد الظواهر اللغوية الشائعة بينها علىٰ وجه العموم، وعلىٰ ضوء ذلك يتمكن من فهم العمليات والتطورات التي أدت إِلَىٰ نشأة اللغة وتطورها واختلافها. وكذلك يسجل لغات المجتمعات البدائية ليحيلها إِلَىٰ لغات مكتوبة تخضع للتحليل اللفظي ومن ثم يستخرج مضمونها الحضاري.

١. يُنْظَرُ: مقدمة لدراسة فقه اللغة، د. محمد أحمد أبو الفرج: ٢٥-٢٧

والدلاليةِ، وما يطرأُ عليها من تغييراتٍ وما ينشأُ من لهجاتٍ، وما يُثارُ حولَ العَرَبِيَّـةِ من قضايا، وما تواجهُه من مشكلاتٍ إِلَى غيرِ ذلكَ مما يجري ويدورُ فِي فلكِه مما سيأتي عند الحديثِ عن موضوعاتِ فقهِ اللغةِ.

ويمكنُنا القولُ ابتداءً: هو العلمُ الذي يعنى بفهم اللغةِ، ودراسةِ قضاياها وموضوعاتِها. أوْ هو دراسةُ العربِ للغتِهم كونَها لغةً حيةً منطوقةً متمثلةً فِي النصِّ القرآنيِّ وقراءاتِه وفي الحديثِ النبويِّ وفي دراسةِ كلامِ الصحابةِ وفي دراسةِ أشعارِ العربِ وخطبِهم وأقوالِهم وأمثالِهم وقد درسوا اللغةَ العَرَبِيَّةَ كونَها وسيلةً لغايةٍ وهيَ فهمُ النصِّ القرآنيِّ، فهو وجهٌ من وجوهِ ترسُّمِ علماءِ العَرَبِيَّةِ للغتِهم[1].

١. في فقه اللغة العربية د. محمد فريد عبدالله: ٣٥.

فقهُ اللغةِ عندَ القُدماءِ والمحدثينَ

فقهُ اللغةِ عندَ الأوائلِ «القدماءِ»

أطلقَ المؤلفونَ العربُ علىٰ الاشتغالِ بالمفرداتِ اللغويةِ جمعاً وتأليفاً مصطلحاتٍ عدةً أقدمُها مصطلحُ «اللغةِ». لقد وصفَ أبو الطيبِ اللغويُّ «ت٣٥١هـ» أبا زيدٍ الأنصاريَّ والأصمعيَّ وأبا عبيدةَ بهذا الوصفِ، وقارنَ بينَهم من جانبِ معرفتِهم باللغةِ قالَ: «كان أبو زيدٍ أحفظَ الناسِ للغةِ، وكان الأصمعيُّ يجيبُ فِي ثلثِ اللغةِ، وكان أبو عبيدةَ يجيبُ فِي نصفِها، وكان أبو المهديِّ يجيبُ فيها كلِّها»[1]، والمقصودُ هنا بكلمةِ اللغةِ مجموعُ المفرداتِ ومعرفةُ دلالاتِها، وبهذا المعنىٰ كانتْ كتبُ الطبقاتِ تميزُ بينَ المشتغلينَ بالنحوِ أوْ العَرَبِيَّةِ من جانبٍ والمشتغلينَ باللغةِ من جانبٍ آخرَ، لـذلكَ عُدَّ سيبويهُ والمبردُ من النحاةِ بينما عُدَّ الأصمعيُّ وأقرانُه منَ اللغويينَ، وظلَّ استعمالُ كلمةِ اللغةِ بهذا المعنىٰ قروناً عدةً، وأصبحَ اللغويُّ والباحثُ فِي مفرداتِ اللغةِ جمعاً وتصنيفاً وتأليفاً يوصَفُ بهذا الوصفِ. فالأصمعيُّ عبدُ الملكِ بنُ قريبٍ لغويٌّ لأنه جمعَ ألفاظَ البدوِ وسجَّلَها فِي رسائلَ لغويةٍ مصنَّفةٍ فِي موضوعاتٍ دلاليةٍ، والخليلُ بنُ أحمدَ الفراهيديُّ لغويٌّ كونَه أولَ مَن حاولَ حصْرَ الألفاظِ العَرَبِيَّةِ وتسجيلَها فِي معجمِه العينِ، والأمرُ ينسحبُ علىٰ ابنِ دريدٍ صاحبِ «جمهرةِ اللغةِ»، والأزهريِّ فِي التهذيبِ، وظلَّ هذا المفهومُ سائداً لقرونٍ خلتْ.

وفِي القرنِ الرابعِ الهجريِّ ظهرَ عندَ اللغويِّ العربيِّ أحمدَ بنِ فارسٍ «ت٣٩٥هـ» مصطلحُ فقهِ اللغةِ، كونَه أولَ من استعملَه عنواناً لكتابِه «الصاحبيُّ فِي فقهِ اللغةِ وسننِ العربِ فِي كلامِها»، ثمَّ نصادفُ هذا الاصطلاحَ بعد ذلكَ فِي عنوانِ كتابِ الثعالبيِّ. «فقه اللغةِ وأسرار العَرَبِيَّةِ» ولكنَّنا نجدُ مفهومَ فقهِ اللغةِ مختلفاً عندَ الرجلينِ.

---

١. مراتب النحويين، لأبي الطيب اللغوي: ٤١.

يتبينُ المطَّلعُ على كتابِ ابنِ فارسٍ «الصاحبيّ فِي فقهِ اللغةِ» أنه ينظرُ إِلَى هذا النوعِ من التأليفِ على أنه دراسةُ القوانينِ العامةِ التي تنتظمُ اللغةَ فِي جميعِ مستوياتِها الصوتيةِ والصرفيةِ والنحويةِ والدلاليةِ والأسلوبيةِ، وهذا ما سنقفُ عند بيانِه فِي موضوعاتِ كتابِ الصاحبيِّ فِي فقهِ اللغةِ.

إنَّ كتَّابَ القرنِ الرابعِ لم يلتفتوا إِلَى تقسيمِ الموضوعاتِ تقسيماً منهجياً دقيقاً بل كان يغلبُ على عملِهم الاستطرادُ وعدمُ المنهجيةِ لذلكَ نجدُ فِي الكتابِ عدداً من الموضوعاتِ عن اللغةِ وطبيعتِها ثمَّ أنَّ هناكَ مسائلَ عن أصواتِ اللغةِ وعدداً من الأبوابِ تمثلتْ فِي الصوتِ والصَّرفِ والنحوِ و البلاغةِ ومسائلَ فِي الدلالةِ. وموضوعاتٍ فِي الأسلوبِ والاختلافِ حولَ نشأةِ اللغةِ.

ومن الموضوعاتِ المهمةِ فِي التي صادفتُها فِي كتابِ الصاحبيِّ:

١. بابُ القولِ على لغةِ العربِ أتوقيفٌ أم اصطلاحٌ؟.
٢. اختلافُ لغاتِ العربِ:

أ. فِي الحركاتِ كقولِنا: «نَستعينُ، نِستعينُ» الفتحُ لقريشٍ وأسدٍ، وغيرهما بالكسرِ.

ب. فِي الحركةِ والسكونِ: «مَعَكم، مَعْكم».

ت. فِي الأبدالِ: «أولئكَ، أولالكَ».

ث. فِي الهمزِ والتليينِ: «مستهزئونَ، مستهزُونَ» إِلَى أخرِه من الاختلافاتِ اللهجيةِ.

٣. بابُ القولِ فِي اللغةِ التي نزلَ بها القرآنُ.
٤. بابُ القولِ فِي مأخذِ اللغةِ.

٥. بابُ القولِ فِي الاحتجاجِ باللغةِ العَرَبِيَّةِ.
٦. بابُ القولِ علىٰ لغةِ العربِ هلْ لها قياسٌ وهلْ يُشتَقُّ بعضُ الكلامِ من بعضٍ.
٧. بابُ مراتبِ الكلامِ فِي وضوحِه وأشكالِه.
٨. بابُ القولِ فِي الأسماءِ كيفَ تقعُ علىٰ المسمَّياتِ.
٩. موضوعاتٌ فِي الصرفِ «يدرسُ كيفيةَ تحولِ المعنىٰ بالتصريفِ إِلَىٰ معنىٰ آخرَ، ويكونُ ذلكَ فِي الأفعالِ وفي الأسماءِ»[١].
١٠. مسائلُ نحويةٌ تركيبيةٌ.
١١. مسائلُ دلاليةٌ «بابُ: معاني ألفاظِ العباراتِ التي يعبَّرُ بها عن الأشياءِ»[٢]
١٢. مسائلُ بلاغيةٌ.
١٣. بابٌ فِي الشعرِ.

بما أننا قد بيَّنّا موضوعاتِ الكتابِ فلا بأسَ علينا من نقلِ بعضِ نصوصِ ابنِ فارسٍ التي شرحَ فيها بعضَ الموضوعاتِ التي بيّنّاها فِي أعلاه.

قالَ: «إن لعلمِ العربِ أصلاً وفرعاً: وأما الفرعُ، فمعرفةُ الأسماءِ والصفاتِ، كقولِنا: رجلٌ، وفرسٌ، وطويلٌ، وقصيرٌ، هذا الذي يبدأُ بِهِ عندَ التعلُّمِ. وأما الأصلُ، فهو علىٰ موضوعِ اللغةِ، وأوليتِها، ومنشئِها، ثمَّ علىٰ رسومِ العربِ فِي مخاطباتِها، وما لها من الافتنانِ تحقيقاً ومجازاً»[٣]، وعلّهُ قصدَ بالأصلِ ما نفهمُه من مصطلحِ فقهِ اللغةِ لأنَّه قالَ فيما بعدُ «الناسُ فِي ذلكَ رجلانِ: رجلٌ شغلَ بالفرعِ فلا يعرفُ غيرَه، وآخرُ جمعَ الأمرينِ معاً، وهذهِ هيَ الرتبةُ العُليا، لأنَّ بها يُعْلَمُ خطابُ القرآنِ والسُنَّةِ، وعليها يُعولُ أهلُ النظرِ والفُتيا»[٤]، فالنظرُ فِي الأصلِ واجبٌ لأنَّ من دونِه لا يمكنُ

١. يُنْظَرُ: الصَّاحبي: ١٩١– ١٩٢.
٢. المَصْدَرُ نفسه: ١٩٢
٣. الصاحبي: ٢٩
٤. المَصْدَرُ نفسه: ٢٩

أنْ يُفهَمَ المرادُ من الخطابِ القرآنيِّ والسنّةِ فضلاً عن كلامِ العـربِ، وقـد سـاقَ ابـنُ فارسٍ جملةً من الأمثلةِ لبيانِ ذلـكَ فقالَ: «طالبُ العلمِ العُلويِّ يكتفـي مـن الأسـماءِ الطويلِ باسمِ الطويلِ، ولا يضيرُه ألاّ يعرفَ الأشقَّ والأمقَّ، وإنْ كانَ فِي علـمِ ذلـكَ زيادةٌ وفضلٌ، ولو أنَّه لمْ يعلمْ توسُّعَ العربِ فِي مخاطباتِها لعيّ بكثيرٍ من محكمِ الكتابِ والسنةِ....ولو قيلَ لهُ: هلْ تتكلمُ العربُ فِي النفـي بـما لا تـتكلمُ بـه فِي الإثبـاتِ؟ لمْ يعلمْه. لنقصِه ذلكَ فِي شريعةِ الأدبِ عن أهلِ الأدبِ، لأنَّ ذلك يُردي دينَه أوْ يجـرُّه لمأثمٍ. كما أنَّ متوسماً بالنحوِ لو سُئلَ عن قولِ القائلِ:

لَهِنَّـــكِ مـــن عبســـيةٍ لَوســـيمةٌ عـلى هنـواتٍ كـاذبٌ مـن يقولهـا

«الأصلُ: لأنك....... »

فتوقفَ أوْ فكّرَ أوْ استمهلَ، لكانَ أمرُه فِي ذلكَ عند أهلِ الفضلِ هيّناً، ولكـنْ لـو قيلَ لهُ مكانَ لهنك ما أصلُ القسمِ؟ وكـمْ حرفُـه؟ ومـا الأحـرفُ الخمسـةُ المشـبهةُ بالأفعالِ التي يكونُ الاسمُ بعدَها منصوباً وخبرُه مرفوعاً؟ فلمْ يُجِبْ! لحُكِـمَ عليـهِ بأنَّه لمْ يُشام صناعةَ النحوِ قط، فهـذا الفضـلُ بـينَ الأمـرينِ»[1] ولبيـانِ حـدودِ هـذا المصطلحِ وماهيّتِه مقارنة ابنِ فارسٍ بينَ أصولِ الفقهِ الشرعيِّ وأصـولِ اللغـةِ قـالَ: «إنَّ العلمَ بلغةِ العربِ واجبٌ على كلِّ متعلِّقٍ من العلمِ بالقرآنِ والسنةِ والفُتيا بسببٍ حتى لا غِنى بأحدٍ منهم عنْه. وذلكَ أنَّ القرآنَ نازلٌ بلغةِ العربِ ورسولُ الله «ﷺ» عربيٌّ فمَنْ أرادَ معرفةَ ما فِي كتابِ اللهِ تَعالى وما فِي سنّةِ رسولِه«ﷺ» من كلِّ كلمةٍ أوْ نظمٍ عجيبٍ، لمْ يجدْ من العلمِ باللغةِ بدّاً، لأنَّ ذلكَ غيرُ مقدورٍ عليـهِ، ولا يكـونُ إلاّ لنبيٍّ... بلِ الواجبُ علمُ أصولِ اللغةِ والسننِ التـي بأكثرِهـا نـزلَ القـرآنُ وجـاءت السنةُ...»[2]، ويجعلُ معرفةَ طرائقِ التأليفِ التي لا تحيدُ عن سننِ الاستواءِ مـن علـمِ اللغةِ المشفوعِ بعلمِ العَرَبيَّةِ «علمِ الإعرابِ» كونَه الفارقَ بينَ المعـاني يقـولُ: «وعلـمُ

١. المَصْدَرُ السَّابق: ٣٠-٣١

٢.الصاحبي: ٦٤

اللغةِ كالواجبِ علىٰ أهلِ العلمِ، لئلاّ يحيدوا فِي تأليفِهم أوْ فتياهم عن سننِ الاستواءِ...»[1]، وهذا يقودُنا إِلَىٰ القولِ إنَّ ابنَ فارسٍ لمْ يفرقْ بينَ مفهومَي فقهِ اللغةِ وعلمِ اللغةِ[2] - علماً إنَّ بعضَ المحدثينَ أشغلَ نفسَه بالتفريقِ بينَ مضمونِ المصطلحينِ- وجعلَ معرفتَهما واجباً علىٰ أهلِ العلمِ والفُتيا بعدما جاءَ بجملةٍ من أخطاءِ الإمامِ الشافعيِّ التي غلَّطَه فيها أبو بكرٍ بنُ داود:

القولُ فِي إيجابِ ترتيبِ أعضاءِ الوضوءِ فِي الوضوءِ من قولِه تعالىٰ: ﴿ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَىٰ الْمَرَافِقِ ﴾ المائدة:٦، مع إجماعِ أهلِ العَرَبِيَّةِ علىٰ أنَّ الواوَ تقتضي الجمعَ المطلقَ لا التوالي[3].

والقولُ فِي التزويجِ إذا قالَ الوالي: «زوجتُك فلانة» فقالَ الزوجُ: «قد قبلتُها»، قالَ: إنَّ ذلكَ ليسَ بنكاحٍ حتىٰ يقولَ: «قد تزوجتُها»، وقالَ: ومعلومٌ أنَّ الكلامَ إذا خرجَ جواباً فقدْ فُهِمَ أنَّه جوابٌ عن سؤالٍ[4].

والقولُ فِي تسميةِ «البِكرِ» التي لا تُوطَأُ حائلاً، ونقلَ ابنُ فارسٍ عن ابنِ داود، أنَّ المرأةَ تُسمّىٰ حائلاً إذا كانتْ حاملاً مرةً، أوْ تُوُقِّعَ منها حملٌ فحالتْ، وكذلكَ القولُ فِي «الطائفةِ» كونَها تدلُّ علىٰ الثلاثةِ من الأنفسِ أوْ أكثرَ، ونقلَ ابنُ فارسٍ قولَ مجاهدٍ الذي يرىٰ فيها معنىٰ الواحدةِ[5]، من هذا المعنىٰ القولُ فِي «القروءِ» هل هيَ للحيضِ

١.المَصْدَرُ نفسه: ٦٦

٢. فقد استخدم هذا المصطلح عند بعض اللغويين المتأخرين وكان المقصود منه دراسة الألفاظ مصنفة في موضوعات مع بحث دلالاتها، فالرضي الأستراآبادي يفرق بين علم اللغة وعلم التصريف، فموضوع الأول: دراسة الألفاظ، والثاني : معرفة القوانين الخاصة ببنية هذه الألفاظ (شرح الكافية: المقدمة المؤلف.، أما أبو حيان فيرىٰ في مصطلح علم اللغة، دراسة مدلول مفردات الكلم، وهو عينه عند ابن خلدون، أي بيان الموضوعات اللغوية والمقصود بذلك الدلالات التي وضعت لها المعاني. (مقدمة بن خلدون)١٢٥٨.

٣.الصاحبي: ٦٤

٤.المَصْدَرُ نفسه: ٦٤– ٦٥.

٥. يُنْظَرُ: الصاحبي: ٦٥.

أمْ للأطهارِ؟ وينقلُ عن العربِ أنّهم أرادُوا فيها معنىٰ الأطهارِ، ثمَّ نقلَ قولَ أبي بكرٍ إذْ قالَ: ومن العظيمِ أنَّ علياً وعمرَ «رضي الله عنهما» قد قالا: والقروءُ: الحيضُ، فهلْ يجترأُ علىٰ تجهيلِهما باللغةِ»[1].

ويرىٰ ابنُ فارسٍ من المعيبِ علىٰ مَن غلطَ من جهةِ اللغةِ فيما يغيرُ بهِ حكمَ الشريعةِ، فهو يرىٰ أن الجهلَ فِي معرفةِ وظيفةِ الواوِ فِي آيةِ الوضوءِ، وعدمَ العلمِ والمعرفةِ بمعنىٰ ودلائلِ تلكَ الكلماتِ التي أوردْناها، عيباً لغوياً فاحشاً، لأنَّ الغلطَ والجهلَ فيها يؤدي إِلَىٰ تغييرِ الحكمِ الشرعيِّ الذي ترتَّبَ أساساً علىٰ ذلكَ الأثرِ اللغويِّ[2].

فابنُ فارسٍ أولُ من استعملَ هذا المصطلحَ بمعناهُ اللغويِّ وجعلَ علمَ اللغةِ مصطلحاً مرادفاً له، وهذا متأتٍّ من الصلةِ التي كانَ يراها بينَ اللغةِ والدينِ علىٰ وجهِ العمومِ وبينَ اللغةِ وعلمِ الفقهِ علىٰ وجهِ الخصوصِ[3].

مفهومُ فقهِ اللغةِ عندَ الثَّعالبيِّ

إنَّ القارئَ لكتابِ أبي منصورٍ عبدِ الملكِ بنِ محمدٍ الثعالبيِّ «ت٤٢٩هـ» «فقه اللغةِ وسر العَرَبِيَّةِ» يلحظُ أنَّ مصطلحَ فقهِ اللغةِ عندهُ علمٌ خاصٌّ بفقهِ وفهمِ المفرداتِ. وتمييزُ مجالاتِها واستعمالاتِها الخاصةِ والاهتمامُ بالفروقِ الدقيقةِ بينَ معانيها، إذْ قسَّمَ كتابَه الذي اقتفىٰ آثارَ ابنِ فارسٍ فِي تصنيفِه وتسميتِه فضلاً عن نقلِه لأبوابٍ بأكملِها دونَ تغييرٍ[4]، علىٰ قسمينِ، سُمّيَ القسمُ الأولُ بـ«فقهِ اللغةِ» فيه

١. الصاحبي: ٦٥.
٢. يُنْظَرُ: المَصْدَرُ نفسه: ٦٦.
٣. يُنْظَرُ: فقه اللغة في كتب العربية، د. عبدة الراجحي: ٤٢
٤. يُنْظَرُ: فصل في إضافة الشيء إِلَىٰ من ليس له لكن أضيف إليه لا تصله به، الصاحبي: ٢٤٣، وفصل في الإشباع والتوكيد، الصاحبي: ٢٧١، وفصل في النحت، الصاحبي: ٢٧١ .....إلخ

ثلاثونَ باباً وكلُّ بابٍ قُسِّمَ علىٰ فصولٍ عدةٍ، وهذا القسمُ ومن حيثُ التصنيف عُدَّ معجماً من نوعٍ خاصٍّ جُمعتْ فيه الألفاظُ التي تتصلُ بموضوعٍ واحدٍ، وقد رُتبتْ مادتُه العلميةُ حسبَ موضوعاتِها، بدأَ ذلكَ ببابِ الكلياتِ وهي الكلماتُ التي صاحَبَتْها فِي التفسيرِ كلمةُ «كلُّ» لذلكَ قالوا: كلُّ ما عَلاكَ وأظلَّكَ فهو سَماءٌ، كلُّ أرضٍ مستويةٍ فهي صعيدٌ، وكلُّ حاجزٍ بين شيئينِ فهو موبقٌ، وكلُّ بناءٍ مربعٍ فهو كعبةٌ[1]. وقد ترجمَ هذه الفكرةَ عنه بشكلٍ واضحٍ ابنُ خلدون فِي مقدمتِه حيثُ قالَ: «ثمَّ لما كانتِ العربُ تضعُ الشيءَ لمعنىٰ علىٰ العمومِ ثمَّ تستعملُ فِي الأمورِ الخاصةِ ألفاظاً أخرىٰ خاصةً بها فرَّقَ ذلكَ عندَنا بينَ الوضعِ والاستعمالِ واحتاجَ الناسُ إِلَىٰ فقهٍ فِي اللغةِ عزيزِ المأخذِ كما وضعَ الأبيضَ بالوضعِ العامِّ لكلِّ ما فيهِ بياضٌ ثمَّ أختصَّ ما فيهِ بياضٌ من الخيلِ بالأشهبِ ومن الإنسانِ بالأزهرِ ومن الغنمِ بالأملحِ حتىٰ صارَ استعمالُ الأبيضِ فِي هذهِ كلِّها لحناً وخروجاً عن لسانِ العربِ واختصَّ بالتأليفِ فِي هذا المنحىٰ الثعالبيُّ وأفردَه فِي كتابٍ لهُ أسماهُ «فقهَ اللغةِ» »[2].

أما القسمُ الثَّاني فهو «سرُّ العَرَبِيَّةِ» إذْ جَعَلَ مِنْهُ مُلْحَقاً بالقسمِ الأولِ، وهو عنده فِي مجاري كلامِ العربِ والاستشهاد بالقرآنِ علىٰ أكثرِها[3]، وهو فِي هذا القسمِ أرادَ أنْ يفصحَ عن بعضِ خصائصِ اللغةِ العَرَبِيَّةِ التي تتميزُ بها عن غيرِها فضلاً عن عرضِه لجملةٍ من قوانينِها المتمثلةِ بلغةِ الاستعمالِ، وعلىٰ المستوياتِ اللغويةِ كافة كالمستوىٰ الصوتيِّ «مثلاً فِي فصلٍ فِي الإتباعِ» والمستوىٰ الصرفِيِّ «كفصلٍ فِي أبنيةِ الأفعالِ، الاشتقاق... » والمستوىٰ النحويِّ «كفصلِ حروفِ المعاني»، والمستوىٰ الدلاليِّ الذي تمثَّلَ ببعضِ الموضوعاتِ ذاتِ الجانبِ الدلاليِّ، ولا يخفىٰ علىٰ القارئِ من موضوعاتٍ بلاغيةٍ فِي علمَي البديعِ والبيانِ.

١ .يُنْظَرُ: فقه اللغة وسر العربية، للثعالبي: ١١
٢. يُنْظَرُ: المقدمة لابن خلدون: ١٢٥٨
٣.يُنْظَرُ: فقه اللغة للثعالبي: ١٥٣.

ويبدو لنا أنَّ ثمةَ اختلافاً قد نتجَ عن استعمالِ كلمةِ «لغةٍ» عند ابنِ فارسٍ والثعالبيِّ، فابنُ فارسٍ استعملَها بمعناها العامِّ المطلقِ أي تلكَ الوسيلةُ المتعددةُ المستوياتِ التي يستعملُها الناسُ فِي التفاهمِ فيما بينَهم لذا جاءَ مفهومُ فقهِ اللغةِ عنده واسعاً وشاملاً لجميعِ مستوياتِ اللغةِ.

أما الثعالبيُّ فقد استخدمَ كلمةَ «لغةٍ» فِي معناها الخاصِّ الذي يقابلُ كلمةَ نحوٍ، وهو معرفةُ المفرداتِ ومعانيها لذا نرىٰ فقهَ اللغةِ عنده هو فقهٌ للمفرداتِ لا التراكيبِ والأساليبِ.

ولم يصرحْ أيٌّ منهما بحدودِ ذلكَ المصطلحِ الذي استعملَه فِي عنوانِ كتابِه ولو بإشارةٍ فِي مقدمةِ الكتابِ.

قالَ ابنُ فارسٍ فِي مقدمةِ كتابِه الصاحبيِّ:

«إنَّ لعلمِ العربِ أصلاً وفرعاً، أمّا الفرعُ فمعرفةُ الأسماءِ والصفاتِ كقولِنا، «رجلٌ» و «فرسٌ» و «طويلٌ» و «قصيرٌ». وهذا هو الذي يبدأُ به عند التعلمِ، وأما الأصلُ فالقولُ علىٰ موضوعِ اللغةِ وأوليتِها ومنشئِها ثمَّ علىٰ رسومِ العربِ فِي مخاطبتِها وما لَها من الافتنانِ تحقيقاً ومجازاً والناسُ فِي ذلكَ رجلانِ: رجلٌ شغلَ بالفرعِ فلا يعرفُ غيرَه، وآخرُ جمعَ الأمرينِ معاً، وهذه هي الرتبةُ العُليا، لأنَّ بها يُعلَمُ خطابُ القرآنِ والسنةِ وعليها يعولُ أهلُ النظرِ والفُتيا وذلكَ أنَّ طالبَ العلمِ العلويِّ يكتفي من سماءِ «الطويل» باسمِ الطويلِ ولا يضيرُه أنْ لا يعرفَ «الأشق» و «الأمق» وإنْ كانَ فِي علم ذلكَ زيادةٌ فضلٌ وإنما لو يضرُّه خفاءُ ذلكَ عليه لأنه لا يكادُ يجدُ منه فِي كتابِ اللهِ جلَّ ثناؤُه فيحوجُ إِلَىٰ كلمةٍ»[1].

أما الثعالبيُّ قالَ فِي مقدمةِ مصنَّفِه: «فإنَّ مَن أحبَّ اللهَ أحبَّ رسولَه المصطفىٰ (ﷺ) ومن أحبَّ الرسولَ أحبَّ العربَ، ومن أحبَّ العربَ أحبَّ اللغةَ

١. الصاحبي: ٢٩.

العَرَبِيَّةَ التي نزلَ بها أفضلُ الكتبِ على أفضلِ العربِ والعجمِ، ومن أحبَّ العَرَبِيَّةَ عُني بها، وثابرَ عليها، وصرفَ همَّتَه إليها... إذ هي أداةُ العلمِ، ومفتاحُ التفقُّهِ فِي الدينِ، وسببُ إصلاحِ المعاشِ والمعادِ»[1].

ومن خلالِ مقدمةِ كتابِ الصاحبيِّ لابنِ فارسٍ وفقهِ اللغةِ للثعالبيِّ لم نلحظْ تحديداً للمصطلحِ، بل وجدْنا القولَ فِي موضوعاتٍ لغويةٍ تتمثلُ بقضايا اللغةِ المختلفةِ وخصائصِ العَرَبِيَّةِ وبيانِ سننِ العربِ فِي كلامِها، فجاءتْ عنايتُهم بالأصواتِ والمفرداتِ والتراكيبِ والصرفِ والنحوِ والدلالةِ واللهجاتِ، فضلاً عن روايةِ اللغةِ ومعرفةِ أصولِ اللغةِ ومصادرِها، وعللِها، ومظاهرِ تطورِها، فـ فقهُ اللغةِ عند القدماءِ يفصحُ عن حدودِه من خلالِ النظرِ فِي تلكَ المصنفاتِ كونَه يدلُّ على شموليةِ الدرسِ اللغويِّ عندَهم، لأنَّهم لم يفصلوا بين تلك المسائلِ اللغويةِ فِي مباحثِهم بلْ جاءتْ متداخلةً لا يمكنُ الفصلُ بينَها نظراً لغيابِ المصطلحِ اللغويِّ وضبابيتِه أولاً، وكونِ الدرسِ اللغويِّ فِي بداياتِه لم يكنْ درساً تعليمياً كي يقنِّنُ القواعدَ ويشعبُ قضايا اللغةِ عن قضايا النحوِ ثانياً، لذلكَ نلحظُ فِي مؤلفاتِ القدماءِ تباعاً مثلَ هذا التداخلِ فِي المادةِ اللغويةِ.

١. فقه اللغة وسر العربية: ٩.

فقهُ اللغةِ عندَ المحدثينَ

أُستعملَ مصطلحُ فقهِ اللغةِ فِي الدرسِ اللغويِّ الحديثِ مع بداياتِ القرنِ العشرين فِي الجامعةِ المصريةِ، حينما جاءَ جماعةٌ من المستشرقينَ للتدريسِ فِي مصرَ، يقولُ الدكتورُ زكي المبارك: «ذكرَ السنيورُ جويدي فِي محاضرتِه الأولى بالجامعةِ المصريةِ «٧ أكتوبر سنة١٩٢٦» أنَّ كلمةَ *philology* تصعبُ ترجمتُها إِلَى العَرَبِيَّةِ، وأنَّ لها فِي اللغاتِ الغربيةِ معنى خاصاً لا يتفقُ عليه أصحابُ العلمِ والأدبِ. فمنهم من يرى أنَّ هذا العلمَ مجردُ درسِ قواعدِ الصرفِ والنحوِ ونقدِ نصوصِ الآثارِ الأدبيةِ، ومنهم من يرى أنه ليس درساً للغةِ فقط ولكنَّه بحثٌ عن الحياةِ العقليةِ من جميعِ وجودِها، وإذا صحَّ ذلكَ فمن الممكنِ أنْ يدخلَ فِي دائرةِ «الفليلوجيِّ» علمِ اللغةِ وفنونِها المختلفةِ، كتأريخِ اللغةِ ومقابلاتِ اللغاتِ والنحوِ والصَّرفِ والعروضِ وعلومِ البلاغةِ وعلمِ الأدبِ فِي معناه الأوسعِ، فيدخلُ تاريخُ الآدابِ وتاريخُ العلومِ من حيثُ تصنيف الكتبِ العلميةِ، وتاريخُ الفقهِ من حيثُ تدوينه فِي المجاميعِ والمجلاتِ، وتاريخُ الأديانِ من حيثُ درس الكتبِ المقدسةِ وتأليف الكتبِ الدينيةِ واللاهوتيةِ، وتاريخُ الفلسفةِ من حيثُ تأليف كتبِ الحكمةِ وكتبِ الكلامِ. ولا سبيلَ إِلَى معرفةِ هذهِ الحياةِ العقليةِ إلاّ بدرسِ أحوالِ المركزِ الذي نشأتْ فيه تلكَ الآثارُ الأدبيةُ»[1].

ويرى الدكتورُ زكي المبارك أنَّ العملَ وفقَ هذا التحديدِ يجعلُ من مهمةِ الباحثِ فِي هذا المجالِ من الدرسِ شاقةً عسيرةً إنْ لمْ تكنْ مستحيلةً، كونَه يردُّ ما تميزَ من العلومِ وكانَ مستقلاً منها إِلَى علمٍ واحدٍ، فلا يمكنُ للباحثِ إلاّ أنْ يجيدَ فِي جزءٍ

١. النثر الفني في القرن الرابع الهجري، د. زكي المبارك: ٢: ٣٧-٣٨.

واحدٍ منها[1]. ويرىٰ بعضُ المستشرقينَ أنَّ استعمالَ مصطلحِ فقهِ اللغةِ فِي البحثِ عن أوليةِ اللغةِ ليس إلاّ كنايةً مؤقتةً عمّا يُسمّىٰ بتاريخِ اللغةِ العَرَبِيَّةِ، لأنَّ ما يقصدُ إليه البحثُ ابتداءً إنما هو الكشفُ عن نشأةِ اللغةِ العَرَبِيَّةِ وتطورِها[2].

وقد ذهبَ بعضُ باحثينا العربِ إِلَىٰ المقاربةِ بينَ مصطلحِ فقهِ اللغةِ ومصطلحِ (*philology*) نظراً للتماثلِ فِي الدلالةِ اللغويةِ، فقد جاءتْ فِي أحدِ معاجمِ الاصطلاحاتِ اللغويةِ كما ينقلُه الدكتورُ زكي المبارك، بعدَ الترجمةِ «العلمُ الذي يدرسُ اللغةَ وكلماتِها وقوانينَها، وقد يدخلُ فِي فهمِ الاصطلاحِ «الأدب» خاصةً النصوصُ القديمةُ منه»[3].

وترىٰ بعضُ المدارسِ اللغويةِ الغربيةِ أنَّ فقهَ اللغةِ (*philology*) هو علمُ اللغة(*linguistics*)، إذْ جاءَ فِي دائرةِ المعارفِ البريطانيةِ فِي مادِ ما(*philology*) هو مقابلٌ لهذا التعريفِ، إذْ يغلبُ علىٰ هذا المصطلحِ فِي إنجلترا الإشارةُ إِلَىٰ علمِ اللغةِ بما فِي ذلك معنىٰ الاصطلاحِ فِي أمريكا[4]، لأنَّ فقهَ اللغةِ عندهم مهتمٌّ بالجانبِ اللغويِّ للأدبِ وصيغِ الفنونِ المماثلةِ كما أنه يهتمُّ إِلَىٰ حدٍ ما بالوثائقِ الثقافيةِ والاجتماعيةِ بأنواعِها[5].

أما الباحثون العربُ فقد نقلَ الدكتورُ صبحي الصالح عن معجمِ روبيرَ الفرنسيِّ أنَّ مصطلحَ (*philology*) يتألفُ من كلمتينِ من أصلٍ إغريقيٍّ وهما (*philos*) وتعني الصديقَ أَوْ المحبَّ و (*logos*) الخطبةَ أَوْ كلام، وأنَّ واضعَ هذه التسميةِ لاحظَ أنَّ هذا المصطلحَ يقومُ علىٰ حبِّ الكلامِ للتعمقِ فِي دراستِه من حيثُ قواعده وأصوله

---

١. يُنْظَرُ: المَصْدَرُ نفسه: ٢: ٣٨

٢. يُنْظَرُ: قول كراوس فِي مقدمة كتاب فقه اللغة وسر العربية للثعالبي.

٣. مقدمة لدراسة فقه اللغة: ١٣

٤. يُنْظَرُ: المَصْدَرُ نفسه: ١٤

٥. المَصْدَرُ نفسه: ١٤

وتاريخه[1] ولهذا المصطلحِ معنىً اصطلاحيٌّ: هو علمٌ تاريخيٌّ يهدفُ إِلَىٰ دراسةِ الحضاراتِ العابرةِ من خلالِ الوثائقِ المكتوبةِ التي تركَها السلفُ للخلفِ، مما يسمحُ لنا بفهمِ المجتمعاتِ القديمةِ، وهو يعمدُ إِلَىٰ دراسةِ النصوصِ الأدبيةِ المكتوبةِ، فهو إذاً علمٌ مساعدٌ للتاريخِ، كما يعمدُ إِلَىٰ نقدِ النصوصِ داخلياً وخارجياً، وذلكَ بمقابلةِ النصوصِ ودراسةِ رواياتِها، دراسةِ تاريخِ المخطوطاتِ، وبكلمةٍ موجزةٍ هو دراسةُ النصوصِ وإعدادُها للنشرِ، وهذا ما مهَّدَ إِلَىٰ ظهورِ علمِ اللغةِ التاريخيِّ[2] ويشدِّدُ دوسوسير علىٰ إن الفيولوجيا يدرسُ اللغاتِ المكتوبةَ ويستثني اللغاتِ المنطوقةَ أوْ يهملُها[3]. ويرىٰ الدكتورُ صبحي الصالح أنَّ مصطلحَ فقهِ اللغةِ عند الغربيينَ لا ينصرفُ إلاّ إِلَىٰ دراسةِ اللغتينِ الإغريقيةِ واللاتينيةِ، ومصطلحُ فقهِ اللغةِ مصطلحٌ عربيٌّ قديمٌ ويجبُ علىٰ الباحثِ العربيِّ ألاّ يستبدلَ بهذهِ التسميةِ القديمةِ شيئاً[4]، وفي ذلك إشارةٌ إِلَىٰ مَن جعلَ فقهَ اللغةِ علماً مرتبطاً بعلومٍ أخرىٰ كالفلسفةِ وعلمِ الكلامِ أوْ علمِ المنطقِ فضلاً عن ما أشرْنا إليه آنفاً.

ومن بعد عرضِه لأسلوبِ كتابِه «دراسات في فقهِ اللغةِ»، وحكمِه في البابِ الأولِ منه بأنَّ فقهَ اللغةِ وعلمَ اللغةِ دراستانِ متداخلتانِ ومن العسيرِ الفصلُ بينهما وتحديدُ الفروقِ الدقيقةِ بينهما[5]، ذهبَ إِلَىٰ تحديدِ مصطلحِ فقهِ اللغةِ، قالَ هوَ: «منهجٌ للبحثِ استقرائيٌّ وصفيٌّ تَعرِفُ به أصلَ اللغةِ التي يُرادُ درسُها، وموطنُها، وفصيلتُها، وعلاقتُها باللغاتِ المجاورةِ أوْ البعيدةِ، الشقيقةِ أوْ الأجنبيةِ، وخصائصُها وعيوبُها،

---

١ .يُنْظَرُ: دراسات في فقه اللغة العربية، د. صبحي الصالح: ٤.

٢ . محاضرات في فقه اللغة، د. عصام نور الدين: ٢٧.

3.Saussure f de cours de linguistique generale Paris edition payotheque 1980 p: 13-14
نقلاً عن محاضرات في فقه اللغة: ٢٧.

٤ .يُنْظَرُ: دراسات في فقه اللغة: ١٩.

٥ .لقد ذهب الأستاذ محمد الأنطاكي في كتابه (الوجيز في فقه اللغة.، والدكتور محمد أحمد أبو الفرج في كتابه (مقدمة لدراسة فقه اللغة). إِلَىٰ التسوية بين مفهومي فقه اللغة وعلم اللغة.

ولهجاتُها، وأصواتُها، وتطورُ دلالتِها، ومدىٰ نمائِها قراءةً وكتابةً»[١].

أما الدكتورُ عبد الصبور شاهين فقد جعلَ مصطلحَ «فقهِ اللغةِ» فِي العَرَبِيَّةِ، يضارعُ مصطلحَ (*philology*) فِي هذا العصرِ، كونَه يدلُّ علىٰ ما كانَ يدلُّ عليه مصطلحُ فقهِ اللغةِ عند القدماءِ[٢].

أما الدكتورُ أحمد محمد قدورة وبعدَ عرضِه جملةً من الآراءِ التي صدرتْ عن باحثي اللغةِ العَرَبِيَّةِ المحدثينَ فِي تحديدِ ماهيةِ وحدودِ مصطلحِ فقهِ اللغةِ وعلاقتِه بعلمِ الفيلولوجيةِ وعلمِ اللغةِ، فقدْ خلصَ إِلَىٰ أنَّ الباحثَ مدعوٌّ إِلَىٰ إنعامِ النظرِ فِي تلكَ المصطلحاتِ تجنباً لأيِّ لبسٍ و وهم[٣]، لأنَّ مصطلحَ فقهِ اللغةِ الذي وصفَ عنده بالعربيِّ القديمِ الذي «بُعثَ فِي هذا العصرِ وأُشرِبَ معاني جديدةً لا تخرجُ عن دراسةِ بعضِ الأصولِ الساميّةِ القديمةِ وثمراتِ المنهجِ المقارنِ»[٤]، وفي هذه الحالِ لم نجدْه يختلفُ كثيراً عن سابقيه فِي عرضٍ ومناقشةِ هذا المصطلحِ غير أنه تبنّاه بوضوحٍ للدلالةِ علىٰ الدرسِ الخاصِّ بالعَرَبِيَّةِ وخصائصِها كونَه الأصلحَ لدرسِنا اللغويِّ[٥].

أما الدكتورُ تمّام حسّان فِي كتابِه الأصول دراسة أبستمولوجية «معرفية» فقد وقفَ عند حدودِ هذا المصطلحِ وعرضَ لدلالتِه القديمةِ التي ترشحتْ عن المصنفاتِ التي حملتْه عنواناً لها، والحديثةِ المتمثلةِ بالدراسةِ المقارنةِ للغاتِ العروبيةِ، ودراسةِ اللهجاتِ، وأصواتِ العَرَبِيَّةِ[٦].

وكانتْ دراسةُ الدكتور تمام حسان تنظرُ إِلَىٰ فقهِ اللغةِ ومن وجهةٍ أبستمولوجية، من بابِ العلمِ غيرِ المضبوطِ أَوْ المعرفةِ، يحصلُ بالاستيعابِ، وهو قائمٌ علىٰ الاستقراءِ

---

١. المَصْدَرُ نفسه: ٦

٢. يُنْظَرُ: في علم اللغة العام: د. عبد الصبور شاهين: ٥-٨

٣. يُنْظَرُ: مدخل إِلَىٰ فقه اللغة: ٣٦.

٤. المَصْدَرُ نفسه: ٣٦

٥. المَصْدَرُ نفسه: ٣٨

٦. يُنْظَرُ: الأصول دراسة أبستمولوجية، د. تمام حسان: ٢٧٠.

التامِّ أي الإحصاء، لذلكَ خالفَ علمَ اللغةِ كونَ الأخيرِ يقومُ على الاستقراءِ الناقصِ بغيةَ ضبطِ النتائجِ والتحققِ منها، فضلاً عن ذلكَ قيامُه على «أعني علمَ اللغةِ» الشمولِ والقياسِ لسدِّ النقصِ الحاصلِ فِي الاستقراءِ، والتماسكِ والاقتصادِ[1].

ويتضحُ من خلالِ ما تقدمَ أنَّ علماءَ القرنِ الرابعِ الهجريِّ قصدُوا إِلَىٰ دراسةٍ جديدةٍ للغةِ العَرَبِيَّةِ، إذْ تمثَّل ذلك الأمرُ بطرائقِ تأليفِ الكتبِ المتخصصةِ فِي اللغةِ العَرَبِيَّةِ وخصائصِها وما يتعلقُ بها من مسائلَ وقضايا لغويةٍ، وصارتِ المادةُ اللغويةُ محتاجةً إِلَىٰ نظرٍ كليٍّ يتجاوزُ «أصولَ النحوِ» ليصيرَ علماً لأصولِ اللغةِ عامةً، ولم يكنْ ثمةَ ما يلبّي هذه الحاجةَ إلاّ محاكاةُ علمِ أصولِ الفقهِ وعلمِ الكلامِ لما عُرفا به من تأصيلٍ للظواهرِ واستخلاصِ القواعدِ وضبطٍ للمسائلِ.

وبهذهِ الحالِ وفي أدنىٰ مقارنةٍ لا يمكنُ أنْ ندرجَ تلكَ الموضوعاتِ فِي بابِ الفيلولوجيا الغربيةِ، لأنَّ فقهَ اللغةِ عندَ ابنِ فارسٍ يعنىٰ بدراسةِ اللغةِ علىٰ المستوياتِ الصوتيةِ والصرفيةِ والنظميةِ أوْ التركيبيةِ والدلاليةِ والأسلوبيةِ والبلاغيةِ، فضلاً عن ذلك نجدُ أنَّ معظمَ موضوعاتِ الكتابِ متداخلةٌ تداخلاً شديداً بحيثُ يصعبُ فصلُ كلِّ موضوعٍ عن الآخرِ لأنَّ كلاًّ من هذهِ المستوياتِ لابدَّ من أنْ يرتكنَ فِي عمليةِ التحليلِ إِلَىٰ المستوىٰ الآخر، وتلكَ كانتْ سمةَ العصرِ التي تميزُ منهجَ القدماءِ فِي التأليفِ أوْ فقدانِ المنهجِ كما يقولُ بعضُ المحدثينَ.

فمصطلحُ فقهِ اللغةِ العَرَبِيَّةِ كما أوردَهُ اللغويونَ العربُ القدماءُ والمحدثونَ علمٌ يعنىٰ بدراسةِ لغةِ العربِ كونَها لغةً حيةً منطوقةً متمثلةً بالقرآنِ الكريمِ وقراءاتِه وفي الحديثِ النبويِّ الشريفِ وفي دراسةِ كلامِ الصحابةِ، وفي دراسةِ أشعارِ العربِ وخطبِهم وأقوالِهم وأمثالِهم.

وقد درسوا اللغةَ العَرَبِيَّةَ بكونِها وسيلةً لغايةٍ، وهي فَهمُ النصِّ القرآنيِّ، ومعنىٰ ذلكَ أنّهم ينتهونَ بها إِلَىٰ درسِ لغةِ القرآنِ الكريمِ، والحقُّ أنَّ العربَ وإنْ كانوا قد

١. يُنْظَرُ: المَصْدَرُ السَّابق: ١١-١٧، ٢٧٢-٢٧٥

اتخذوا الدرسَ اللغويَّ وسيلةً، فإنَّ هذا الدرسَ قد انتهى بهم إِلَى أنْ يكونَ غايةً فِي حدِّ ذاتِه لأنهم درسُوا اللغةَ العَرَبِيَّةَ فِي مستوياتِها الصوتيِّ والصرفيِّ والتركيبيِّ والدلاليِّ وكانتْ دراساتُهم تلحظُ هذهِ المستوياتِ دونَ أنْ تفرِّقَ بينها فهي عندهم كلٌّ متكاملٌ وقد تكونُ منهجيتُهم فِي الدرسِ أقربَ إِلَى روحِ اللغةِ العَرَبِيَّةِ وسننِها فِي بقيةِ المناهجِ.

الفَصْلُ الثَّانِي

نَشْأَةِ الُّلغَةِ في البحثِ الِّلسَاني قَدِيْماً وحَدِيثاً

مدخــل إلـــى نشــأةِ الّلغَــةِ

أَصْبَحَتْ مُشْكِلَةُ نَشْأَةِ الُّلغَةِ مِن المُعضلاتِ الفلسفيةِ الَّتي حفلَ تأريخُها بالمُجاذباتِ الحادَّةِ، دونَ أنْ تَنْتَهيَ إلى رأيٍ قاطعٍ، إذْ أخذَ البَحْثُ في نَشْأَةِ الُّلغَةِ طَابِعاً ميتافيزيقياً، وهذا ما جعلَ علماءَ الُّلغَةِ يُحجمونَ عن البحثِ في هذهِ الإشكاليةِ، لعدمِ إمكانيةِ الوصولِ إلى القولِ الفصلِ، ممّا حَدا بالجمعيةِ الفرنسيةِ إلى أنْ تمنعَ إلقاءَ المحاضراتِ من هذا النوعِ بموجبِ قانونٍ يُلزمُ الباحثينَ بهذا القيدِ[1] فالقولُ بأوليةِ الُّلغَةِ يحتاجُ إلى شيءٍ من التَّأملِ، كونَ الأمرِ فيها خفيٌّ لا يعلمُه إلاّ اللهُ وحدَه سبحانَه، وهذا ما جعلَ عُلماءَ الُّلغَةِ القُدَمَاءَ والمُحدثينَ مُترددينَ في قَبُولِ هذه النَّظريَّةِ أو تلكَ، وعلى الرغمِ من أنَّنا لا يُمكنُنا أَنْ نُدْرِكَ كينونةَ الُّلغَةِ، وَكيفَ كانتْ في أوليتِها، وربّما يكونُ مِنَ العَبَثِ إثباتُ كلَّ شيءٍ، ولكنَّ العَمَلَ وفقَ الخصائصِ والمَعالمِ الواضحاتِ يمكنُ إثباتُ ما يكونُ قابلاً للإثباتِ، لذا يُمكنُنا الوصولُ إلى الُّلغَةِ من خلالِ ذاكرةِ الُّلغَةِ نفسِها حسبَ ارتباطِها بالأشياءِ، لا سيَّما القضايا العامةُ اليقينيةُ الَّتي ما تزالُ محفورةً في الذهنِ البشريِّ، وفقَ الأنموذجِ اللغويِّ الذي

---

١. يُنظر محاضرات في اللهجات وأسلوب دراستها، أنيس فريحة:١٢-١٣، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٥٥م.

لا يمكنُ تجاهلُه ألا وهو النصُّ القرآنيُّ، فضلاً عن ذلكَ ندركُ بأنَّ الُّلغَةَ من الأشياءِ الحيةِ وهنالكَ من يبرِّرُ وجودَها أو بالأحرىٰ ارتباطَها بها هو كائنٌ متحركٌ يعتمدُ خصائصَ ذهنيةً قائمةً في الذهنِ، مستقرةً في الأشياءِ الحيةِ نفسِها، ومع ذلكَ أعتقدُ أنَّ من الممكنِ أنْ نتجاوزَ تلكَ النظرياتِ ونسلكَ ما نسمّيه اليقينَ في فهمِ الُّلغَةِ، ما دامَتِ العلاماتُ والإشاراتُ تذهبُ بنا إلىٰ أبعدَ مما ذهبَ إليهِ القدماءُ، وسيكونُ حالُنا يقيناً بأنَّ الُّلغَةَ وجدتْ قبلَ خلقِ الإنسانِ، ومن العبثِ أنْ نشكَّ بهذِهِ الحقيقةِ ما دُمْنا مؤمنينَ باللهِ تعالىٰ، وما دمنا لا نضعُ اليدَ علىٰ قولٍ صدرَ عن القدماءِ في حقيقةِ هذا الأمرِ، لأنَّ القولَ في أوليةِ الُّلغَةِ وما فيهِ من نقصٍ يعرِّضُ المتلقي إلىٰ الاضطرابِ في الذهنِ، لذلكَ أتجهْنا إلىٰ هذهِ الوجهةِ الحسنةِ لفهمِ حقيقةِ وطبيعةِ الخلقِ لهذهِ الُّلغَةِ.

أصلُ الّلغَةِ في مباحثِ القدماءِ والمحدثِينَ

قالوا بأنَّها وحيٌ من عندِ الله تعالىٰ، أو أنَّ أصلَها لابُدَّ فيه من المواضعةِ، أو أنّها وجدتْ بفعلِ الأصواتِ والمسَموعاتِ، ولكلِّ نظريةٍ من تلكَ مذهبٌ واعتلالٌ.

قيلَ إنَّ أكثرَ أهلِ النظرِ يرون أنَّ أصلَ الُّلغَةِ تواضُعٌ واصطلاحٌ، لا وحيٌ وتوقيفٌ[1]، وأنَّ أصحابَ هذهِ النَّظريَّةِ يرون أنَّ مستعملَ الُّلغَةِ هو مصدرُها، وهذا يتَّضِحُ في ما حدَّدَهُ أفلاطونُ في أنَّ الاسمَ الَّذي نطلقُه علىٰ الشيءِ هو الاسمُ الصحيحُ، فإذا استعضْنا عنه أتىٰ الثَّاني صحيحاً كالأولِ نُغيِّرُ أسماءَ عبيدِنا بدونِ أنْ يكونَ الاسمُ الجديدُ أقلَّ حظاً في الدقةِ من السابقِ، فالتسميةُ وليدةُ التكرارِ والعادةِ

١. يُنظر الخصائص لابن جني: ١-٩٤

عند الذينَ زاولوا فعلَها[1] وهذا يتَّسِقُ مع قولِ القائلِ «وذلكَ كأنْ يجتمعَ حكيمانِ أو ثلاثةٌ فصاعداً، فيحتاجوا إلىٰ الإبانةِ عن الأشياءِ والمعلوماتِ، فيضعوا لكلِّ واحدٍ منها سمةً ولفظاً، إذا ذُكِرَ عُرِفَ به ما مسمّاه، ليمتازَ به من غيرِه، وليغنيٰ بذكرِه عن إحضارِه إلىٰ مرآةِ العينِ، فيكونَ ذلكَ أقربَ وأخفَّ وأسهلَ من تكلُّفِ إحضارِه لبلوغِ الغرضِ في إبانةِ حالِه»[2].

وحاول ابنُ جنّيٍّ تقريبَ هذهِ النَّظريَّةِ من ذهنِ المتلقي علَّهُ يقنعُ بها، بذكرِه لجملةٍ من اختراعاتِ الصنّاعِ لآلات صنائعِهم من الأسماءِ «النجارةِ، و الصائغِ، والبناءِ» ودلّلَ علىٰ تواضعِها من قِبَلِ العامةِ بقولِه: «قالوا ولكنْ لابدَّ لأولِها من أنْ يكونَ متواضعاً بالمشاهدةِ والإيماءِ، قالوا والقديمُ سبحانَه لا يجوزُ أنْ يوصفَ بأنَّه يواضعُ أحداً من عبادِه علىٰ شيءٍ، إذْ قد ثبتَ أنَّ المواضعةَ لابدَّ معها من إيماءٍ وإشارةٍ بها منه، فبطلَ عندهم أنْ يصحَّ المواضعةُ علىٰ الُّلغَةِ منه، تقدستْ أسماؤُه، قالوا يجوزُ أنْ ينقلَ اللهُ الُّلغَةَ الَّتي قد وقعَ التواضعُ بين عبادِه عليها، بأنْ يقولَ: الذي كنتم تعبّرونَ عنه بكذا عبِّروا عنه بكذا والذي كنتم تسمّونه كذا ينبغي أنْ تسمّوه كذا جوازُ هذا منه سبحانَه كتجوزِه من عبادِه»[3]، وعلىٰ هذا تكونُ الُّلغَةُ من ابتكارِ البشرِ عن طريقِ التواضعِ والتوافقِ والارتجالِ، وهذا ما ذهبتْ إليهِ المعتزلةُ لاسيَّما شيخُهم عبدُ السلامِ الجبائيُّ «ت٣٢١هـ»، إذْ ذهبَ إلىٰ أنَّ اللغاتِ لا تدلُّ علىٰ مدلولاتِها العقليةِ، ولهذا المعنىٰ يجوزُ اختلافُها، ولو ثبتَ توقيفُها من جهةِ الله تعالىٰ ينبغي أنْ يخلقَ اللهُ العلمَ بالصيغةِ، ثمَّ يخلقَ لنا العلمَ بالمدلولِ، ثمَّ يخلقَ لنا العَلمَ بجعلِ الصيغةِ دليلاً علىٰ ذلكَ المدلولِ، ولو خلقَ لنا العلمَ بصفاتِه لجازَ أنْ يخلقَ لنا العلمَ بذاتِه، ولو خلقَ لنا العلمَ بذاتِه بطلَ التكليفُ وبطلتِ المحنةُ[4]، لذلكَ قيلَ إنَّ الُّلغَةَ وليدةُ اجتماعِ الناسِ لقيامِهم بعملٍ مشتركٍ، والأصواتُ الَّتي صدرتْ عنهم كانتْ نتيجةَ ذلكَ

١.يُنظر فلسفة اللغة، كمال يوسف الحاج، دار النهضة:١٨
٢. المصدر نفسه:١-٩٦
٣. المصدر نفسه:١-٩٧
٤. يُنظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها للشيخ جلال الدين السيوطي:١-٢٠

العملِ، وهذا ما يتمثلُ بالُّلغَةِ النَّفعيةِ عندَ العامةِ من البشرِ، لذلكَ عدّةُ الأصواتِ اللغويةِ على الرغمِ من تمايُزِها واختلافِها من حيثُ الأداءِ والوظيفةِ اللغويةِ البؤرةُ الأساسيةُ لنشوءِ الُّلغَةِ.

ومن الباحثينَ المحدثينَ الذينَ قالوا بالمواضعةِ والاصطلاحِ «جون لوك» وينقلُ الأستاذُ كمال الحاج حجة جون في التواطؤِ مع من يمتلكُ الكفايةَ اللغويةَ والقدرةَ على ابتكارِ الألفاظِ، يرى أنَّ الكلمةَ تدلُّ على معنى والمعنى لا يأتي من الشيءِ الماديِّ «أي الواقعِ الخارجيِّ» فالكلمةُ الدالّةُ مع المجرَّدِ هي الَّتي تَعني، والذي يَعني في الكلمةِ هو الفكرُ، فالفكرُ عانٍ «فاعلٌ»، والإنسانُ هو مصدرُ الفكرِ، وقد لوحِظَ أنَّ هذهِ التواطؤيةَ ذاتَ قاعدةٍ، يَعني أنَّ وضعَ الكلماتِ يتطورُ من الحسِّ إلى المجرَّدِ، ومن المنظورِ إلى اللامنظورِ، ومن الخاصِّ إلى العامِّ[1]. ومن المآخذِ على هذهِ النَّظريَّةِ، هو أنَّ الكلامَ لو كانَ اصطلاحاً لَمَا جازَ أنْ يَصطلحَ عليه إلاّ قومٌ قد كمُلتْ أذهانُهم وتدرَّبتْ عقولُهم وتمَّتْ علومُهم، و وقَفُوا على الأشياءِ كلِّها الموجودةِ في العلمِ وعرفُوا حدودَها واتفاقَها واختلافَها وطبائعَها[2] وقيلَ أيضاً إنَّ «الاصطلاحَ يقتضي وقتاً لم يكنْ موجوداً قبلَهُ، لأنَّه من عملِ المُصطلِحينَ، وكلُّ عملٍ لابدَّ منْ أنْ يكونَ لهُ أولٌ، فكيفَ كانَ حالُ المصطلحينَ على وضعِ الُّلغَةِ قبلَ اصطلاحِهم عليها؟ فهذا من الممتنعِ المحالِ ضرورةً»[3]، وقيلَ في بطلانِ القولِ بالتواضعِ إنَّه لا يكونُ ضرورةً إلاّ بكلامٍ متقدمٍ بينَ المتواضعِينَ على وضعِ الُّلغَةِ، أو بإشاراتٍ قد اتفقُوا على فهمِها، وهذا لا يكونُ إلاّ بكلامٍ ضرورةً، ومعرفةُ جوهرِ الأشياءِ وطبائعِها الَّتي يعبَّرُ عنها بالألفاظِ لا يكونُ إلاّ بكلامٍ وتفهيمٍ، فبطلَ الاصطلاحُ على ابتداءِ الكلامِ[4]، وينقلُ الدكتورُ هادي نهر نصاً للدكتور محمد المبارك[5] في بيانِ ضعفِ مذهبِ القائلينَ

١.يُنظر فلسفة اللغة:٢٤-٢٥.

٢.يُنظر الإحكام في أصول الأحكام، لابن حزم، تح: أحمد شاكر، نشر: زكريا علي يوسف، مطبعة القاهرة:١-٢٨.

٣.المصدر نفسه:١-٢٨.

٤.يُنظر الإحكام في أصول الأحكام:١-٢٩.

٥.يُنظر: فقه اللغة وخصائص العربية:٦٦

بالمواضعةِ، قالَ «فلا يُعقَلُ أنْ يخلقَ خالقٌ شيئاً لا يملكُ عنه أيةَ فكرةٍ، ولكـي توجـدَ هذه الفكرةُ عن الُّلغَةِ عند الإنسانِ يجبُ أنْ يكونَ مفكراً، أي أنْ يكونَ لاغياً ومعنـى هذا أنَّه لكي يخلقَ الإنسانُ الُّلغَةَ يجبُ أنْ يكونَ مالكاً للغةِ، وبعبارةٍ أخرى أنَّ وجودَ الُّلغَةِ شرطٌ لخلقِ الُّلغَةِ، أو أنَّ الُّلغَةَ واجبُ وجودٍ لمنشأِ الُّلغَـةِ ذاتِهـا، ولمـا كـانَ هـذا مستحيلاً على الإنسانِ فقد وجبَ أنْ تكونَ الُّلغَةُ هبةً من لدُنِ الله»[1]، وإلاّ كيـفَ لنـا أنْ نفسِّرَ قولَه تعالى في قصةِ عيسى «(عليه السلام)» ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً﴾ مريم:٢٩، ٣٠.

أمّا القولُ بالتوقيفِ كونَها إلهاماً من الله تعالى فمبنيٌّ على ما جاءَ من دليلٍ في بعضِ الحواراتِ القديمةِ الَّتي ترشَّحُ عن الفلسَفةِ اليونانيةِ كونَ الأسماءِ تُعطى من قوةٍ إلهيةٍ[2] وفي العصرِ الوسيطِ آمنَ بعضُ علماءِ الدينِ المسيحيِّ بحرفيةِ ما وردَ في الكتبِ السماويةِ ففي الإنجيل نجدُ قولَهُ: ﴿في البَدْءِ كانتِ الكلِمةُ وكانتِ الكلمةُ هيَ اللهُ﴾[3]، وهذا يدعو إلى أنَّ الُّلغَةَ وحيٌ من السماءِ، وأنَّ منشأَها توقيفيٌّ من عندِ الله، وأخذَ هذا الاتجاهُ مجالَه في العصرِ الحديثِ على «دي بونالد» الذي يرى «أنَّ الُّلغَةَ ليستْ تواطؤيةً من خلقِ الإرادةِ البشريةِ، والناسُ لم يتفقوا فيما بينهم على أنْ تكونَ ثمةَ لغةً فكأنَّ هناكَ لغةً سابقةً، هذا التفكيرُ السكونيُّ لمنشأِ الُّلغَةِ بعيدٌ كلَّ البعدِ عن واقعِ الحقيقةِ، لأنَّ الإنسانَ لا يقدرُ على خلقِ شيءٍ ما لم يكنْ لديه فكرةٌ صريحةٌ عنه، ولكي يحصلَ على هذهِ الفكرةِ الصريحةِ ينبغي له أنْ يعبّرَ عنها. إذاً الُّلغَةُ واجبُ وجودٍ لمنشأِ الُّلغَةِ ذاتِها، مما يفيدُ أنَّ الُّلغَةَ ليستْ من عملِ القوى البشريةِ، إنما هبةٌ من لدُن الله»[4]، وإلى جانبِ دي بونالد نجد «أرنلديز» يسيرُ في الاتجاهِ نفسِه كونَ الُّلغَةِ إبداعاً إلهياً يقولُ: «والقضيةُ هنا ليستْ قضيةَ الكلامِ، ولكنَّ القضيةَ قضيةُ تكوينٍ أو خلقٍ، أو تعليمِ الكلامِ، فالفاعلُ يجبُ إذاً أنْ تكونَ لهُ الأسبقيةُ بالنسبةِ للفعلِ، ولكنَّ الإنسانَ

١.الأساس في فقه اللغة:٥٣.
٢. يُنظر في فلسفة اللغة:١٨.
٣.الإنجيل: ف:٢، الآية (٢٠).
٤.في فلسفة اللغة:٢١-٢٦.

لا يمكنُ أنْ يعيشَ بدونِ لغةٍ قبلَ أنْ وجدَ هذهِ الُّلغَةَ، إذاً فالإنسانُ ليسَ الفاعلَ، وبما أنهُ كائنٌ ولا يمكنُ أنْ ينتجَ خلقاً إلهياً، إذنْ يكونُ إلهٌ هو الذي أبدعَ الُّلغَةَ وعلَّمَها للإنسانِ»[1]

أمّا في العصرِ الوسيطِ لاسيَّما في الثقافةِ العربيةِ الإسلاميةِ، نجدُ أعلامَ الفكرِ الإسلاميِّ قالوا بالتوقيفِ، إذ لابدَّ من التوقيفِ في أصلِ الُّلغَةِ الواحدةِ لاستحالةِ وقوعِ الاصطلاحِ على اللغاتِ من غيرِ معرفةِ المصطلحينِ بعينِ ما اصطلحوا عليه[2]، ومن هنا ذهبَ مفكرو العربِ إلى القولِ بالتوقيفِ معتمدينَ على أدلةٍ نقليةٍ متمثلةٍ بالقرآنِ ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ ٱلْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[3]، وهذ النصُّ القرآنيُّ الذي يفصحُ عن كيفيةِ الإلهامِ وردَ عينُه في الإنجيلِ بقولِه: ﴿فَدَعَا آدَمُ جَميعَ البَهَائِم وطيرَ السماءِ وجميعَ وحشِ الصحراءِ﴾[4]، والنظرُ في تلكَ النصوصِ المقدسةِ لا يقطعُ الطريقَ أمامَ مُنكري هذهِ النَّظريَّةِ فضلاً عن القائلينَ بالمواضعةِ أو المناسبةِ الطبيعيةِ، كونَها لا تدلُّ دلالةً قاطعةً على معنى ومفهوم الإلهام لأنَّ للنصِّ القرآنيِّ في أعلى تتمةٍ تتمثلُ بقولِه تعالى: ﴿ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَائِكَةِ﴾ لم يقلْ سبحانَه«ثُمَّ عَرَضَهَا» نعني بذلك عودةَ الضميرِ على الأسماءِ» فضلاً عن ذلكَ العرضِ يعني المعاينةَ للأشياءِ وهذا لا ينسجمُ مع مدلولِ الآيةِ، ثمَّ قال سبحانَه: ﴿فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ واسمُ الإشارةِ هذا يدلُّ على جماعةٍ من العقلاءِ، وإنكارُ الملائكةِ لهم دليلٌ على أنّه سبحانَه وتعالى لايعني بتعليمِ آدَمَ «عليه السلام» أسماءَ المخلوقاتِ أو أنّه تعالى عرضَها على آدَمَ «عليه السلام» ليدعوَها بأسمائِها، لأننا في هذا المقام نتحدثُ عن أوليةِ الُّلغَةِ ونجعلُ بدايتَها معَ هذا النصِّ لاسيَّما لفظةُ «أَسْمَاءَ»، ولم نلتفتْ إلى أنَّ الأمرَ سابقٌ لذلكَ كونَ الحديثِ أو«الحوارِ» قدر جرى ابتداءً مع الله تعالى وملائكتِه وكانوا مدركينَ لحقيقةِ هذا الُّلغَةِ وهذا الخلقُ «الخليفةُ في الأرضِ» الذي يفسدُ ويسفكُ، وهذا دليلٌ على أنَّ الملائكةَ يعرفونَ معنى

1. amaldz: grammaire et the oiogie chez ipn hazm p:43-44

٢.يُنظر فلسفة اللغة:٢١.

٣. سورة البقرة:٣١.

٤.الإنجيل: ف-٢، الآية (٢٠).

ودلالـةَ القتـلِ والسَّـفكِ والفسـادِ ويعرفـونَ دلالـةَ الحمـدِ والتَّسـبيحِ و التقـديسِ ويعرفونَ دلالةَ العلمِ من غيرِه، وهذهِ الطَّائفةُ من الكلماتِ هـيَ مـن مجمـلِ الأسـماءِ الَّتي عُرِضَتْ على الملائكةِ ولم يعرفوها عـلى رأيِ مَـن يعتقـدُ بأنّـه علَّـمَ آدمَ «عليه السلام» الأشياءَ كلَّها!.

وإلى جانبِ ذلكَ نجدُ الدكتورَ هادي نهر قـد بـينَ وجهـةَ نظـرِه في هـذهِ النَّظريَّـةِ بطرحِ جملةٍ من المآخذِ عليها، كونَها تنطلقُ في البحثِ عن أوليةِ الُّلغَةِ، وتنازعُ الجـنسَ البشريَّ في ادّعاءِ شرفِ النَّشأةِ الأولى للغتِه، فضلاً عن أنَّ هذهِ النَّظريَّةَ تغفلُ المشكلةَ الرئيسةَ وهيَ البحثُ عن العواملِ الَّتـي دعـتْ إلى ظهـورِ الُّلغَـةِ في صـورِ أصـواتٍ مركبةٍ ذاتِ مقاطعَ متميزةٍ، والكشفُ عـن الصـورةِ الاولى الَّتـي ظهـرتْ بهـا تلـكَ الأصواتُ، فضلاً عن الأسلوبِ، والأسبابِ الموجبةِ له دونَ غيرِه[1].

نحن لا ننكرُ أنَّ الُّلغَةَ من عندِ الله لكنّنا لا نعتقدُ بأنّها توقيـفٌ ووحـيٌ لأنّهـا لـو كانت كذلكَ فما هو السبيلُ إلى تحديدِ اللغاتِ الأخرى هـل هـي توقيـفٌ و وحـيٌ؟ والقولُ إنَّ «اللهَ تعالى علَّمَ آدمَ «عليه السلام» أسماءَ جميعِ المخلوقاتِ بجميعِ اللغاتِ العربيـةِ والفارسيةِ والسريانيةِ والعبرانيةِ والروميةِ وغيرِ ذلكَ من سـائرِ اللغـاتِ، فكـانَ آدمُ وولدُه يتكلمونَ بها ثم تفرّقوا في الدنيا وعِلقَ كلٌّ منهم بلغةٍ من تلكَ اللغاتِ فغلبتْ عليه واضمحلَّ عنه ما سواها»؟[2] وهل الأمرُ منوطٌ بالنصوصِ المقدسةِ الَّتي تمثلـتْ بخليقةِ آدمَ «عليه السلام»؟ وهل الأسماءُ الَّتي أنبأَ عنها آدمُ «عليه السلام» بجميعِ اللغـاتِ في المقـامِ نفسِه؟.

ثمَّ من هـم ولـدُ آدمَ «عليه السلام» الـذينَ اكتسـبوا تللـكَ اللغـاتِ؟ القـرآنُ والكتـبُ السماويةُ أشارتْ إلى وَلَدَيْ آدمَ «عليه السلام» وهما قابيلُ وهابيلُ، وقُتلَ هابيلُ على يد أخيـه قابيلَ «وهذهِ القصةُ معروفةٌ عند جميـعِ الأمـمِ»، ومـن العقـلِ والمنطـقِ أنْ يكتسـبَ

١.يُنظر الأساس في فقه اللغة العربية وأرومتها:٤٧-٤٨.
٢.الخصائص:١-٩٤

الأبناءُ لغةَ الأبِ، ومن المنطقِ للابنِ أنْ يعلقَ بلغةِ أبيه، وإنْ قبلْنا جدلاً بوجودِ أكثرِ من أخٍ لقابيلَ، فلم تذكرِ الرواياتُ أو كتبُ الأساطيرِ تفرّقهم في الأرضِ أولاً، ومهما كثُر عددُهم فإنهم قد اكتسبوا لغةَ الأبِ ثانياً. والذي نعلمُه أنَّ أولادَ نوحٍ «عليه السلام» هم من تفرّقوا وكلٌّ أصابَ لغتَه بعدَ الطوفانِ! وهذا فيه نظرٌ، لا أنَّ اللهَ تعالىٰ يقولُ ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ ﴾ البقرة/ ٢١٣.

ينقلُ لنا ابنُ جني تأويلَه لقولِ أبي عليٍّ الفارسيِّ الذي يرىٰ بأنَّ الُّلغَةَ هي من عندِ الله، وأنَّه تعالىٰ «أقدرَ آدمَ علىٰ أنْ واضعَ عليها، وهذا المعنىٰ من عندِ الله سبحانَه لا محالَة»[١].

ويرىٰ ابنُ فارسٍ «أنَّ اللهَ تعالىٰ «علَّمَ بعد آدمَ «عليه السلام» من الأعرابِ الأنبياءِ «عليهم السلام» نبياً نبياً ما شاءَ اللهُ أنْ يعلِّمَه، حتىٰ انتهىٰ الأمرُ إلىٰ نبيِّنا محمدٍ «صلى الله عليه وآله وسلم» فآتاهُ اللهُ «لا» من ذلكَ مالم يؤتِهِ أحداً قبلَهُ تماماً علىٰ ما أحسنَهُ من الُّلغَةِ المتقدمةِ ثم قرَّ الأمرُ قرارَه»[٢]، وسنستثمرُ تلكَ المقولاتِ والرواياتِ فيما يأتي من الدراسةِ بعد عرضِنا لجملةٍ من النظرياتِ الَّتي عنيتْ بنشأةِ الُّلغَةِ.

وذهبَ بعضُ العلماءِ إلىٰ أنَّ الُّلغَةَ محاكاةٌ لأصواتِ الطبيعةِ، أو القولِ بالتكوينِ التدريجيِّ للغةِ، والذينَ ذهبوا في هذا الاتجاهِ، رفضُوا أنْ تكونَ الأسماءُ وليدةَ الاتفاقِ العابثِ وهذا متأتٍّ من التواطؤيةِ، وكذلكَ رفضُهم للتوقيفيةِ، رغبةً منهم في إيجادِ قاعدةٍ إيجابيةٍ لبحثِ الُّلغَةِ كعلمٍ صحيحٍ، وهذا يتطلبُ نهجاً استقرائياً قبلياً بنظرياتٍ ذاتيةٍ[٣]، ويرىٰ أصحابُ هذهِ النَّظريَّةِ أنَّ الُّلغَةَ نشأتْ من الإشاراتِ الطبيعيةِ المقصودةِ، ثمَّ من تقليدِ أصواتِ الطبيعةِ أي «من الأصواتِ المسموعاتِ كدويِّ الريحِ، وحنينِ الرعدِ، وخريرِ الماءِ، وشحيجِ الحمارِ، ونعيقِ الغرابِ، ونحوِ ذلكَ، ثمَّ

١.الخصائص:١-٤٩
٢.الصاحبي:٣٣
٣.يُنظر فلسفة اللغة:٢٧.

وُلِدَتْ اللغاتُ عن ذلكَ فيما بعدُ»[1].

وقيلَ إنَّ الإنسانَ في بادئِ الأمرِ كانَ مقلِّداً ومحاكياً للأشياءِ، ومستعيناً في بعضِ ضروبِ القولِ بالإشارةِ للإبلاغ عمّا في نفسِه وإيصالِ ما يريدُ إيصالَه للآخرِ[2]، ويرى الفارابيُّ «أنَّ الإنسانَ إذا احتاجَ أَنْ يعرفَ غيرُه ممّا في ضميرِه أو مقصودة بضميرِه، استعملَ الإشاراتِ أولاً في الدلالةِ على ما كانَ يريدُ ممّن يلتمسُ تفهيمَه إذا كانَ ممّن يلتمسُ تفهيمَه بحيثُ يُبصرُ إشاراتِه، ثم استعملَ بعدَ ذلكَ التصويتِ»[3]، وبنموِّ الُّلغَةِ نمتْ وتطورتْ آلياتُ الفهمِ لدى الإنسانِ حتى تخلّى عن بعضِها كونَها لا تتناسبُ و رقيَّهُ العقليَّ والحضاريَّ، و وجدْنا هذهِ النَّظريَّةَ «محاكاةً لأصواتِ الطبيعةِ» مقبولةً عند ابنِ جني ويراها وجهاً صالحاً، ومذهباً متقبَّلاً[4]. وإنَّ القولَ بالمحاكاةِ ينسجمُ و المراحلَ أو الأطوارَ الثلاثةَ الَّتي مرتْ بها اللغاتُ جميعُها المرتقيةُ وهي القابلةُ للتصريفِ وللاشتقاقِ، وغيرُ المرتقيةِ وهي اللغاتُ الَّتي تكونُ أدنى بياناً وأبسطَ ألفاظاً[5].

وقد نُقضتْ هذهِ النَّظريَّةُ، كونَ الطبيعةِ لا تفعلُ إلاّ فعلاً واحداً لا أفعالاً مختلفةً، وإنَّ تأليفَ الكلامِ اختياريٌّ متصرِّفٌ في وجوهٍ شتى[6]، فضلاً عن أنَّ الذينَ قالوا بها من العربِ المسلمينَ لم يلتفتوا إلى طبيعةِ تلكَ المخلوقاتِ كونَها أمماً مثلَنا وحالُها كحالِنا، كلَّ يسبِّحُ لله وإنْ كُنّا لا نعلمُ تسبيحَهم. فكيفَ لنا أنْ نقلِّدَ أصواتَ الحيواناتِ والجماداتِ؟.

وينقلُ لنا إبراهيم أنيس أنَّ من الباحثينَ مَن هو آخذٌ بنظريةِ داروين في تطورِ الكائناتِ الحيةِ، وعلى ذلكَ تكونُ الُّلغَةُ قد نشأتْ عن الانفعالاتِ والغرائزِ أو ما

١.الخصائص:١-٩٩
٢.يُنظر في فقه اللغة العربية:٢٩
٣.كتاب الحروف للفارابي، تح: محسن مهدي:١٣٥، بيروت، ١٩٧٠م.
٤. يُنظر الخصائص:١-٩٩
٥.يُنظر الأساس في فقه اللغة:٥٩، وسنأتي على هذا الموضوع وبيانه بعد عرضنا لتلك النظريات اللغوية
٦.يُنظر الإحكام في أصول الأحكام:١-٢٩.

يعتري الإنسانَ من حالاتٍ شعوريةٍ كالفرحِ والحزنِ[1]، ومن أشـهرِ مَـن ذهـبَ هـذا المذهبَ «ماكس مولر، وريتان» وقيل إنَّ «الغريزةَ تحملُ كلَّ فردٍ علىٰ التعبيرِ عن كـلِّ مدرَكٍ حسيٍّ أو معنويٍّ بكلمةٍ خاصةٍ به، كما أنَّ الغريـزةَ هـي التعبـيرُ الطبيعـيُّ عـن الانفعالاتِ الَّتي تحملُ الإنسانَ علىٰ القيامِ بحركاتٍ وأصواتٍ خاصةٍ، وأنَّهـا كانـتْ متّحدةً عندَ جميعِ الأفرادِ في طبيعتِها ووظائفِها وما يصدرُ عنهـا، وأنَّـه بفضـلِ ذلـكَ اتّحدتِ المفرداتُ وتشابهتْ طرقُ التعبيرِ عنـدَ الجماعـاتِ الإنسـانيةِ الأولىٰ واسـتطاعَ الأفرادُ التفاهمَ فيما بينهم، وأنَّه بعدَ نشأةِ الُّلغَةِ الإنسانيةِ الأولىٰ لم يسـتخدمِ الإنسـانُ هذهِ الغريزةَ فأخذتْ تنقرضُ شيئاً فشيئاً»[2].

ويرىٰ الشيخُ عبدُالله العلايـلي أنَّ هـذهِ الاختلافـاتِ في أوليـةِ الُّلغَـةِ «في أساسِـه وجوهرِه لا يُرادُ منه الُّلغَةُ، وإنما غايةٌ كلاميةٌ بحتةٌ، ولذا لا تكادُ تسقطُ عـلىٰ مبحـثٍ من الطرازِ عندَ اللغويينَ القدماءِ، وإنما سرىٰ، أو عـدا بسرـيانِه إلىٰ اللغـويينَ الـذينَ نشأوا بعد استشراءِ الخلافِ الكلاميِّ الذي كانتْ هذهِ إحدىٰ مسائلِه»[3].

وهذا ما نلحظُه عند القدماءِ من اللغويينَ لاسيَّما ابنُ جني الـذي ظـلَّ مـتردِّداً في ترجيحِه لتلكَ النظرياتِ وأيُّها أقربُ إلىٰ الواقعِ اللغويِّ، والسببُ في ذلـكَ، أنَّه لم تنتهِ إليه موضوعةُ أوليةِ الُّلغَةِ من شيوخِه، ولم نلحظْ عندَ الرعيلِ الأولِ من علمائِنا كـأبي عمروِ بنِ العلاءِ والخليلِ بنِ أحمدَ وسيبويهَ والكسائيِّ وغيرِهم من القدماءِ أيَّ جهـدٍ أو بحثٍ يعنىٰ بتاريخِ الُّلغَةِ وأوليتِها. قالَ ابنُ جني: «واعلمْ فيما بعدُ، أنّني علىٰ تقادمِ الوقتِ، دائمُ التنقيرِ والبحثِ عـن هـذا الموضـعِ، فأجـدُ الـدواعيَ والخـوالجَ قويـةَ التجاذبِ لي، مختلفةَ جهاتِ التغوُّلِ علىٰ فكري، «أي مشتبهةٌ ومتناكرةٌ» وذلـكَ أنّنـي تأملتُ حالَ هذهِ الُّلغَةِ الشريفةِ، الكريمةِ اللطيفةِ، وجدتُ فيها من الحكمةِ والدقـةِ، والإرهافِ، والرقةِ، ما يملكُ عليَّ جانبَ الفكرِ، حتـىٰ يكـادُ يطمـحُ بـهِ أمـامَ غلـوةِ

١.يُنظر دلالة الالفاظ:١٩

٢.نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، د. علي عبد الواحد:٣٤.

٣.مقدمة لدرس لغة العرب:١٨٩

السحرِ، فمن ذلكَ ما نبَّه عليه أصحابُنا رحمَهم اللهُ، ومنه ما حذوتُه على أمثلتِهم، فعرفتُ بتتابعِه وانقيادِه، وبُعدِ مراميه وآمادِه، صحةَ ما وفّقوا لتقديمِه منه. ولطفَ ما أُسعدوا به وفُرِقَ لهم عنه، وانضافَ إلىٰ ذلكَ واردُ الأخبارِ المأثورة بأنها من عندِ اللهِ جلَّ وعزَّ، فقويَ في نفسي اعتقادُ كونِها توفيقاً من اللهِ سبحانَه وأنّها وحيٌ.

ثمَّ أقولُ في ضدِّ هذا: كما وقعَ لأصحابِنا ولنا، وتنبَّهوا وتنبَّهنا، علىٰ تأمُّلِ هذهِ الحكمةِ الرائعةِ الباهرةِ، كذلكَ لا ننكرُ أنْ يكونَ اللهُ تعالىٰ قد خلقَ من قبلِنا _ وإنْ بَعُدَ مداهُ عنّا _ مَن كانَ ألطفُ منّا أذهاناً، وأسرعُ خواطرَ وأجرأُ جَناناً. فأقفُ بين الخلّتينِ حسيراً، وأكاثرُهما فأنكفئُ مكثوراً، وإنْ خطرَ خاطرٌ فيما بعدُ، يعلقُ الكفُّ بإحدىٰ الجهتينِ، ويكفُّها عن صاحبتِها، قلْنا به، وباللهِ التوفيقُ»[1]، نلحظُ من خلالِ هذا النصِّ أنَّ ابنَ جنّي وأصحابَه الذينَ وقعَ لهم مثلُ الذي وقعَ لهُ من أمرِ هذهِ اللُّغَةِ قد تردَّدَ بين الإلهامِ والمواضَعةِ وما يراهُ «من المحاكاةِ» وجهاً صالحاً، ومذهباً متقبلاً[2]، لذلكَ حاولَ أنْ يزاوجَ بين فِعْلَيِ التوقيفِ والمواضعةِ تاركاً أمرَ المحاكاةِ بعدما قبلَه، كونَ الإنسانِ مولوداً علىٰ الفطرةِ، وهذهِ الفطرةُ أو الغريزةُ متناميةٌ شأنُها في ذلك شأنُ اللُّغَةِ، فبدايتُها توقيفٌ حتىٰ وصلتْ في المجتمعاتِ البدائيةِ إلىٰ منتهاها نتيجةَ الغرائزِ المتوافقةِ ابتداءً، ثم إعادةُ نموِّها من خلالِ مُواضَعاتِ العامةِ بعدما استوتْ عندهم المَلَكَةُ اللغويةُ. لكنْ ما هي وسيلةُ المتواضعينَ في التفاهمِ والاصطلاحِ بينهم ليقفوا علىٰ ألفاظٍ ذاتِ دلالةٍ ومعنىٰ؟ لأنَّ القولَ بالتفاهمِ يكونُ مبنياً علىٰ لغةٍ موجودةٍ من قبلُ.

---

١. الخصائص:١-٩٩

٢. يُنظر الخصائص:١-٩٩

علىٰ الرغم من أنَّ النظرياتِ الَّتي عُرضتْ في أعلاه، ظلّتْ من الموضوعاتِ المبهمةِ كونَها لا ترتكنُ إلىٰ واقعٍ لغويٍّ، وانطلقتْ من الحدسِ وانتهتْ إلىٰ التخمينِ، لذا جيءَ بنظرياتٍ تعرَّضتْ لمسائلِ الُّلغَةِ من ناحيةِ قواعدِها الصوتيةِ والصرفيةِ، والبحثِ في المراحلِ الَّتي عُرفَ فيها الاسمُ من الفعلِ والحرفِ، فضلاً عن بيانِ حالِ المفردةِ وأيُّها أسبقُ في الوجودِ بحسب معانيها ودلالاتِها العامةِ والخاصةِ[١].

والذي يعنينا من بينِ تلكَ النظرياتِ القولُ باللغاتِ المرتقيةِ، كونَ اللغاتِ جميعاً مرتْ في تلكَ المراحلِ أو الأطوارِ من حيثُ نظامِها اللغويِّ الذي تشكلتْ منه، أي أنَّ هذه الأطوارَ مجتمعةٌ أو كون أولِها أسهمَ في رقيِّ ثانيها، وهكذا إلىٰ الطورِ الثالثِ، هي عمادُ الثروةِ اللغويةِ.

فاللغاتُ ذاتُ المقطعِ البسيطِ تمثلُ الطورَ الأولَ، كونَها تعتمدُ علىٰ أدنىٰ المقاطعِ الصوتيةِ نحوَ«ﻫ»، وقيلَ إنَّ هذا الطورَ في غايتِه ولّدَ المقاطعَ الواحديةَ المجموعةَ في حرفِ الهجاءِ، أي ولّدَ الجدولَ الهجائيَّ، فمثَّلَ لذلكَ بـ«عو» قيلَ يدلُّ علىٰ الحيواناتِ الزئيريةِ، و«وا» يدلُّ علىٰ الصوتِ المتكرِّرِ بحركةِ الفكَّينِ، وعنه نشأَ في العبريةِ «وو» بمعنىٰ «وصلَ»[٢].

وهذا الطورُ يمثِّلُ الأصواتَ غيرَ المشكَّلةِ أي الَّتي لم تنطبعْ بطابعٍ خاصٍّ يميزُها بل كانتْ تُقالُ اضطراراً أي الأصواتُ الَّتي تتولّدُ نتيجةَ الانفعالاتِ، كأصواتِ المتوجعينَ، والمغمومينَ، والصوتِ الحاصلِ من تردُّدِ الزفيرِ هماً أو حزناً، إذ أنَّ هذهِ

١.يُنظر تفصيل تلك النظريات في: تهذيب المقدمة اللغوية للشيخ عبدالله العلايلي:٤٤-٤٥، ونشأة اللغة، د. علي عبد الواحد:٤٩-٥٨، واللسان والإنسان د. حسن ظاظا:١٥١-١٥٣.

٢.يُنظر مقدمة لدرس لغة العرب:١٩١

الأصواتَ لا تتميزُ فيها المقاطعُ[1].

ويرىٰ الشيخُ العلايلي أنَّ هذا الطورَ «قد امتدَّ كثيراً وعاصرَ الإنسان أطوالَ العمرِ في حلقاتٍ لا سبيلَ إلىٰ تمييزِها علىٰ وجهِ الدقةِ والوضوحِ»[2].

والملاحظُ علىٰ هذهِ الأصواتِ في هذا الطورِ أنها هي من كوّنتْ أو شكّلتْ الُّلغَةَ الفطريةَ الَّتي توصّلَ إليها الإنسانُ بالمصادفةِ والمحاكاةِ والتقليدِ، وهذا يعني أنَّ لكلِّ صوتٍ معنىٰ ودلالةٌ، ومثالُ ذلكَ كلمةُ «شجرٍ» الَّتي تُحلُّ إلىٰ «ش» ومعناهُ سِنٌّ وهو ينظرُ إلىٰ مُطلقِ النباتِ، و«ج» ومعناه جملٌ وهو ينظرُ إلىٰ مُطلَقِ الارتفاعِ، و«ر» ومعناه رأسٌ. والمعنىٰ المؤلفُ من تلكَ الأصواتِ «نباتٌ و ارتفعَ له رأسٌ»، وهو تمامُ معنىٰ ودلالةِ شجرٍ[3] وكذلكَ كلمةُ «جبلٍ» الَّتي تحلُّ إلىٰ «جـ» ومعناهُ ينظرُ إلىٰ الارتفاعِ، و«ب» ومعناه بيتٌ، و«ل»ومعناهُ الملاصقةُ والمساسُ، والمعنىٰ المؤلَّفُ: بيتٌ مرتفعٌ وكأنَّه ملاصقٌ للسحابِ أو الأرضِ[4]، وهكذا نجدُ الشيخَ العلايلي يبرعُ في تحديدِ دلالةِ تلكَ الأصواتِ أو الحروفِ ذاتِ المعاني الجنسيةِ، ويرىٰ أنَّ الُّلغَةَ العربيةَ قد انفصلتْ عن هذا الطورِ ثنائيةً فثلاثيةً، و يبطلُ المبالغةَ في تقديرِ عملِ النحتِ في الساميّةِ علىٰ الإطلاقِ وخصوصاً في الأدواتِ، لأن هذهِ الأدواتِ كانتْ لها معانٍ أوليةٌ تحجرتْ وبقيتْ علىٰ حالتِها الَّتي انتهتْ إليها، وعلىٰ هذا الأساسِ يمكنُ اعتمادُ الجدولِ الأبجديِّ بمعانيه في تحليلِ الكلماتِ، وردِّها إلىٰ معانيها الأوليةِ[5].

أمّا الطورُ الثَّاني فيُعرَفُ «بذي المقطعينِ»، أي حرفانِ بصوتينِ، وحرفانِ بصوتٍ واحدٍ، وقيلَ هذا الطورُ نشأَ مصادفةً، وبمحاكاةِ الطبيعةِ بمختلفِ أصواتِها، ومن خلالِ هذا الطورِ سعىٰ الإنسانُ إلىٰ التأليفِ من منطقِهِ، فحينما أرادَ التدليلَ علىٰ أنَّ

١.يُنظر المصدر نفسه:١٩٥
٢.المصدر نفسه:١٩٥-١٩٦
٣.يُنظر المصدرنفسه:٢٠١
٤.يُنظر المصدرنفسه:٢٠١
٥.يُنظر المصدر نفسه:٢٠٢

الحيوانَ يعوي، عمدَ إلىٰ حرفِ «ع» ذي الصوتِ المضموم «عو» الذي يدلُّ علىٰ الحيوانِ المفترسِ، والحرفِ الواو ذي الصوتِ «وا» الذي يدلُّ علىٰ الصوتِ المتكرِّرِ بحركةِ الفكَّينِ، فأدغمَهُما وتوصَّلَ إلىٰ «عووا» بمعنىٰ: حيوانٍ يصوِّتُ أو يُواصلُ التصويتَ[1] ونلحظُ هذا الأمرَ في العربيةِ وخاصةً في الصيغِ المعتلّةِ فهيَ ثنائيةُ الوضعِ مؤلَّفةٌ من مقطعينِ، وبعدما استقرتِ العربيةُ عندَ البناءِ الثلاثيِّ صُحِّحَ هذا الأصلُ.

إنَّ العملَ وفقَ هذا الطورِ لا يعني أنَّ الإنسانَ الفطريَّ كانَ يسعىٰ إلىٰ ذلكَ القصدِ من التأليفِ والتركيبِ، بل انتزعَ تلكَ التراكيبَ الصوتيةَ انتزاعاً من خلالِ ضمِّ المقاطعِ الَّتي يستدعيها التعبيرُ خاصةً إذا كانتْ هذهِ المقاطعُ تدلُّ علىٰ معنىٰ شخصيٍّ واحدٍ، ولعلَّ هذهِ النَّظريَّةَ مقبولةٌ إلىٰ حدٍّ ما إذا ما علمْنا أنَّ اللغاتِ الجزريةَ وفي هذا الطورِ لم يكن أصحابُها علىٰ درجةٍ من التواصلِ اللغويِّ في المعاملاتِ اليوميةِ، بل كانتْ عمليةُ التواصلِ مقيدةً باستعمالِ صيغةِ الطلبِ أي الأمرُ والنهيُ افعلْ ولا تفعلْ.

ثمَّ يرىٰ الشيخُ العلايلي أنَّ التضعيفَ في الثنائيِّ جيءَ به لطردِ كلمِ العربيةِ علىٰ ثلاثةِ أحرفٍ والتحلُّلِ من الصوتيةِ، ومثَّلَ لذلكَ بـ: شحَّ الَّتي بمعنىٰ «بخلَ» ينظرُ إلىٰ «شيحَ» و«شحَّ» بمعنىٰ وسعَ ينظرُ إلىٰ «شَحىٰ»، وقد عُولِجَ هذا الضربُ من المباني بالصقلِ اللغويِّ مما أدّىٰ إلىٰ قلةِ المعل مما سيُشعرُ بأنّه أخذَ بالإماتة[2].

أمّا الطورُ الثالثُ والأخيرُ، فقد كان الإنسانُ قاصداً إليهِ قصداً، لأنه سعىٰ إلىٰ ضمِّ المقاطعِ الصوتيةِ البسيطةِ والمركبةِ ويؤلفُ منها تركيباً ذا دلالةٍ بعينِها، وفي هذا الطورِ استقرتْ بعضُ اللغاتِ لاسيَّما الُّلغَةُ العربيةُ في النظامِ الثلاثيِّ للكلمةِ.

وتميزتِ الُّلغَةُ في هذا الطورِ بأنّها لغةٌ مصطنعةٌ من قِبَلِ الإنسانِ لبيانِ تصوراتِه وأفكارِه ومكنوناتِ نفسِه، فضلاً عن اختراعِه للكتابةِ الَّتي عملتْ علىٰ التقليمِ

١.يُنظر مقدمة لدرس لغة العرب:١٩٢

٢.المصدرنفسه:٢٠٩

والتهذيبِ وتقديمِ النماذجِ اللغويةِ للمقارنةِ فضلاً عن دعوتِها للإماتةِ والإيجادِ، والاختزالِ والإطنابِ. و استطاعَ الإنسانُ فيه معرفةَ الألوانِ، على الرغمِ من أنَّ الساميينَ كانوا لا يعرفونَ إلاّ الألوانَ الواضحةَ كالسوادِ والبياضِ. وفي هذا الطورِ اكتسبتِ اللغاتُ التصريفَ لاسيَّما مع الأزمنةِ والضمائرِ والإلحاقِ والإلصاقِ، وتحديدِ بنيةِ الكلمةِ الثلاثيةِ والرباعيةِ، والزيادةِ في المباني، وإقرارِ الأفعالِ على بابِها والمصادرِ والجموعِ، حتى استوتْ على حالِها الَّتي عليها[١].

إنَّ القولَ في مجملِ هذه النظرياتِ الَّتي حاولتْ أنْ تقتربَ من أوليّةِ الُّلغَةِ محلُّهُ التصورُ والاعتقادُ، لأننا لا نسمحُ لأنفسِنا ولو مجردُ تصورٍ أو شبهُ اعتقادٍ بأنَّ الإنسانَ «الخليقةَ أي عامةَ البشرِ» قد ترشّحَ وتشعّبَ عن شخصيةٍ بدائيةٍ جهولةٍ تمثلتْ الُّلغَةُ عندَه بتلكَ الأطوارِ أو الأطوارِ الثلاثةِ!.

فَضْلاً عن ذلكَ أنَّ العملَ وفقَ تلكَ التصوراتِ يفصحُ عن إنسانٍ هو خالقٌ للمعرفةِ، بحيثُ يَعرفُ دلالاتِ الأصواتِ وبالتالي هو خالقٌ للّغةِ! وهذا غيرُ ممكنٍ، لاعتبارينِ الأولِ في مسألةِ خَلقِ الُّلغَةِ لابدَّ من معرفةٍ تسبقُ خلقَ الُّلغَةِ، الثاني التباينِ والاختلافِ بينَ اللغاتِ، أمّا القولُ بضمِّ المقاطعِ كي تصبحَ كلاماً فيفصحُ بأنَّ الناسَ قد أحدثُوا لغةً واحدةً و وقفوا عليها، بها علموا ماهيةَ الأشياءِ وكيفياتِها وحدودِها، فلماذا هذا التشعُّبُ والاختلافُ في اللغاتِ حتى صُنّفتْ إلى مرتقيةٍ وغيرِ مرتقيةٍ؟.

إنَّ النَّظريَّةَ الَّتي قامتْ على تلكَ الأطوارِ مقبولةٌ من جانبِها الكتابيِّ أي التَّأصيلُ لتاريخِ الكتابةِ أو النَّظرُ للرسومِ أو ما يُعرَفُ بالكتابةِ الصوريةِ الَّتي عُثرَ عليها في الكهوفِ والمغاراتِ وبعضِ الأماكنِ الأثريةِ القديمةِ والمقارنةُ بينها وبين النقوشِ الَّتي صاحبتْها وبالتالي فكُّ رموزِها وتحليلُها لغوياً وإعادةُ تشكيلِها من جديدٍ وإخضاعُها لقانونِ التطورِ اللغويِّ، وجعْلُ الأمرِ في سلسلةٍ لغويةٍ لا يمكنُ فرطُ عقدِها.

١.يُنظر تلك الموضوعات في الطور الثالث وحلقاته الخمس من المقدمة لدرس لغة العرب

إنَّ حقيقةَ الأمرِ بعدَ هذا التباينِ في آراءِ القدماءِ والمحدثينَ في تحديدِ الأسسِ الَّتي بُنيتْ عليها أوليةُ الُّلغَةِ، يمكنُنا أنْ نلمسَ لهذهِ الُّلغَةِ بدايةً، مبتعدينَ عن المتناقضاتِ اللغويةِ واختلافاتِها الكبيرةِ.

نقولُ: إنَّ الُّلغَةَ هي المعرفةُ، والبشرُ لا يستطيعُ خلقَ تلكَ المعرفةِ، فلابدَّ من خالقٍ فاعلٍ لها، ولا يمكنُ للغةِ أنْ تتشكَّلَ أصواتُها ومبانيها وتراكيبُها دونَ مصوِّتٍ لهذهِ الأصواتِ، وناطقٍ بتلكَ المباني والكلماتِ، ومعربٍ للمعاني والدلالاتِ. نعم إنَّه الإنسانُ الذي له القدرةُ على فعلِ كلِّ ذلكَ في شتى استعمالاتِه اللغويةِ، ونظراً لما لوجودِ الله تعالى من ارتباطٍ ضروريٍّ بوجودِنا، فإنَّ أفكارَنا الَّتي يمكنُ أنْ نحصلَ عليها عن شيءٍ ما، لن نثبتَ وجودَ هذا الشيءِ، بأكثرَ ما يمكنُ أنْ يثبتَ الإنسانُ نفسَه في الوجودِ، لذلكَ نحنُ نبحثُ عن المعرفةِ بأثباتِ وجودِنا والغايةِ من هذا الوجودِ، ونعتقدُ بوجودِ الأشياءِ وخلقِها، تلكَ الَّتي نراها أو نحسُّها أو هي جزءٌ من كينونتِنا.

خلقُ الُّلغَةِ

إنَّ إشكاليةَ خلقِ الُّلغَةِ من المسائلِ الشَّائكةِ الَّتي تحتاجُ إلى استدلالٍ عقليٍّ وحدسٍ عرفانيٍّ، لأنَّ موضوعَها خفيٌّ، أعمقُ من أنْ يُضرَبَ له المثالُ، لذا يجبُ علينا أنْ نجهدَ الفكرَ ونكدَّه ونردِّدَ النظرَ في معرفةِ الكيفيةِ الَّتي خُلِقَتْ بها الُّلغَةُ، وأنَّ معرفةَ الموجوداتِ بطريقةِ الاستدلالِ العقليِّ لا تعطي كُنهَ المعرفةِ، وإنما تعرّفُ الأشياءَ على حقيقتِها من ابتدائِها وإنشائِها وجمعِ مركباتِها من مفرداتِها وإظهارِ عللِها من معلولِها.

فباتَ من الواضحِ وبعدَ عرضِ جملةٍ من النظرياتِ ندركُ بأنَّ الُّلغَةَ ليستْ من اختراعِ الإنسانِ، ولا هيَ من فعلِ الطبيعةِ، بل هيَ مخلوقةٌ من طرفِ الله تعالى، ونعتقدُ بأنَّ اللهَ تعالى خلقَ الُّلغَةَ معَ المخلوقِ الأولِ وهو موجودٌ واحدٌ خُلِقَ بطريقٍ مباشرٍ خلقَهُ بذاتِه ولذاتِه في بدءِ الخليقةِ، وهذا الموجودُ الأولُ هو جنسُ الملائكةِ،

«وهذا الخلقُ ليس صدوراً ضرورياً بل هو فعلُ إرادةٍ مطلقةٍ تامةٍ لها معرفةٌ وشعورٌ بما تفعلُ وجميعُ المخلوقاتِ ترجعُ إلى الله بالذاتِ»[1]، ولعلَّ اللُّغَةَ من الأشياءِ الَّتي خلقَها اللهُ تعالى وهو جوهرٌ بسيطٌ مجردٌ مغايرٌ لهذهِ الأجسامِ والأعراضِ، شأنُها في الخلقِ شأنُ الروحِ، لكنَّها قديمةٌ في الذاتِ الإلهيةِ، حادثةٌ في مخلوقاتِه، كونَها حصلتْ بفعلِ الله تعالى وتكوينِه وإيجادِه، ثم احتيجَ إلى الحدوثِ عند البشرِ لا عندَ الملائكةِ، كونَها تكونُ مصاقِبةً للروحِ فهيَ بسيطةٌ في مبدأِ الفطرةِ ثمَّ تحصلُ فيها المعرفةُ، وما تزالُ في تغيرٍ ونموٍ وتبدلٍ وتلكَ من إماراتِ الحدوثِ.

فمتى تكلَّمَ الإنسانُ بلغتِه؟

الإنسانُ يُمَثِّلُ الطَّورَ الثانيَ من الخلائقِ، بعدَ جنسِ الملائكةِ. والملائكةُ ومن خلالِ النصِّ القرآنيِّ يمتلكونَ مَلَكَةً لغويةً تواصُليةً سواءٌ بينهم وبينَ الله تعالى أو بينهم وبينَ الخاصةِ من البشرِ ألا وهم الأنبياءُ والمرسلون أو ممّن حباهُمَ اللهُ بمنزلةٍ منهُ كقولِه تعالى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ آل عمران:١٨، و قولِه تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَّ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ﴾ آل عمران:٤٢، وقولِه ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَّ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ﴾آل عمران:٤٥، وقولِه ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ النساء:١٦٦، وقولِه: ﴿فَلَمَّا جَاءَ آَلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ * قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ * قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ * وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾، الحجر:٦١_٦٤، وكثيرٌ من هذه النصوصِ الَّتي تُفصحُ عن العمليةِ التواصليةِ بين الملائكةِ وجنسِ البشرِ، فضلاً عن ذلكَ هنالكَ نصوصٌ تواصليةٌ بينَ الله تعالى والملائكةِ لامجالَ لذكرِها فهيَ كثيرٌ وتفصحُ عما نريدُ بيانَه، ثمَّ هنالكَ شيءٌ وجدَ ابتداءً وهو تسميةُ الملائكةِ بأسمائِهم ولو أنَّ النصَّ القرآنيَّ لم يفصحْ لنا عن جميع تلكَ الأسماءِ، فإنَّ الأسماءَ هذهِ هيَ من عندِ الله تعالى وكلٌّ يدلُّ على مُسَمَّاهُ وهذهِ الأسماءُ

١.يُنظر أبو البركات البغدادي وفلسفة الإلهية:١١٤.

أطلقتْ على الملائكةِ من قِبلِه تعالى، بعدَ الاستواءِ على العرشِ وخلقِ السماواتِ والأرضِ، وأخذَ الملائكةُ يسبّحونَ ويهلّلونَ تحتَ العرشِ ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ الزمر:٧٥، فاكتسبوا ما اكتسبوا من لغةٍ عباديةٍ من عندِ الله تعالى في باديءِ الأمرِ.

ثمَّ خلقَ اللهُ الإنسانَ فأحسنَ خلْقَه «أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ البلد:٩، وقالَ تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾ التغابن:٣.

إذن ما هي الحكمةُ من خلْقِ الإنسانِ؟ الجوابُ حاضرٌ من عندِه تعالى قالَ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات:٥٦، وقالَ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ البقرة:٢١ ثم تكرّرَ هذا المطلبُ على جميع الأنبياءِ والرسلِ، وإليكَ جملةً من الآياتِ في هذا المعنى:

قالَ تعالى:

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾	النحل:٣٦
﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ﴾	نوح::٢-٣
﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾	الاعراف:٦٥
﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾	هود:٦١
﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	النحل:١٢٠
﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾	الشعراء:١٦١-١٦٣
﴿إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا	البقرة:١٣٣

وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ العنكبوت:٣٦

﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ الاعراف:١٠٤

﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ يونس:٨٧

أذن هي العبادةُ لله سبحانَه وتعالىٰ الَّتي خُلقَ الإنسانُ من أجلِها، فكيفَ للإنسانِ أنْ يؤديَ طقوسَ هذهِ العبادةِ؟ قالَ اللهُ تعالىٰ:﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ البقرة:٣٧، في هذا المقامِ دعا آدمُ ربَّه ليغفرَ لهُ سيئتَه وطلبَ التوبةَ والمغفرةَ، وهذا الأمرُ كانَ عن طريقِ التوجُّهِ بالدعاءِ والتوسُّلِ لله سبحانَه وتعالىٰ، أي ثمةَ عمليةٌ لغويةٌ تواصليةٌ بينَ العبدِ وخالقِه ﴿ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ طه:١٢٢.

إذن العبادةُ ممارسةُ عمليةٍ عقليةٍ وروحيةٍ وجسديةٍ تتجلّى من خلالِها عظمةُ الخالقِ و وحدانيتُه، وأساسُ ذلكَ وعمادُه الإقرارُ قولاً بـ لا إله إلاّ اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لهُ، ومن ثمَّ تأتي الأفعالُ العباديةُ.

فالُّلغَةُ مخلوقةٌ قبلَ خلقِ الإنسانِ، لأنّها مستعملةٌ عندَ الله تعالىٰ جدُّه وملائكتِه قبلَ خلقِه للإنسانِ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ﴾ الرحمَن:٣ واللهُ سبحانَه حينما خلقَ الإنسانَ خلقَ له آلةَ الُّلغَةِ وهي «اللسانُ»، كما خلقَ الجسدَ آلةً للروحِ، فالُّلغَةُ وُجِدتْ قبلَ وجودِه لأنَّ النصَّ القرآنيَّ أعربَ عن ذلكَ من خلالِ وصفِ الله لخلقِ السماواتِ والأرضِ وبيّنَ لنا طبيعةَ ذلكَ من خلالِ استعمالِه سبحانه وتعالىٰ لمفرداتِ هذهِ للغةِ، قالَ تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ الأنبياء:٣٠، ثمَّ نجدُه سبحانه استعملَ العددَ في بيانِ مدةِ الخلقِ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ﴾ السجدة:٤، وقوله تعالىٰ: «الذي خلقَ سبعَ سماواتٍ طِباقاً» الملك:٣، وهذه الأمورُ قد حدثتِ

ابتداءً وقبلَ كلِّ شيءٍ، ثمَّ استعملتِ الُّلغَـةُ بـين الله سـبحانه وتعـالىٰ وملائكتِـه قـال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَـالُوا أَتَجْعَـلُ فِيهَـا مَـنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَـدِّسُ لَـكَ قَـالَ إِنِّي أَعْلَـمُ مَـا لَا تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٣٠، و قالَ تعالىٰ: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدمَ﴾ الكهـف:١٨، وقول إبليسَ عليه اللعنةُ: ﴿أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ الإسراء:٦١، ثـمَّ قـالَ: ﴿قَـالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَـهُ إِلَّا قَلِـيلًا﴾ الإسراء:٦٢. تلحظ أنَّ الُّلغَةَ مخلوقةٌ ومستعملةٌ قبلَ خلقِ الإنسانِ، فخلـقَ الإنسـانَ وبُثَّتْ في داخلِه تلكَ الُّلغَةُ كأنّها الروحُ الَّتي بـين جنبَيـه، قـالَ تعـالىٰ: ﴿فَـإِذَا سَـوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ ص:٧٢. لأنـه بعـدَ ذلـكَ عقـلَ أسـماءَ الأشياءِ وحدَّثَ الملائكةَ وأخبرَهم بأسماءِ من جِهلـوه، ثـمَّ كانـتْ لـهُ محاوراتُـه مـع إبليسَ في الجنةِ وعن الملكِ الذي لا يفنىٰ، فهذه الأشياءُ نراهـا دلائـلَ علىٰ مخلوقيـةِ الُّلغَةِ فريثما خرجتِ الروحُ خرجتِ الُّلغَةُ من الإنسانِ، إلاّ أنها ظلتْ مصاقبةً للروح ووجهُ الاستدلالِ في ذلكَ ما رُويَ عن رسولِ الله صلىٰ اللهُ عليهِ وآلِـه وسـلمَ بــ«أنَّ حالَ كونِ الجسدِ محمولاً علىٰ النعشِ بقيَ هنـاكَ شَيءٌ ينـادي ويقـولُ: يـا أهـلي و يـا ولدي جمعتُ المالَ من حِلِّه وغيرِ حِلِّه» وهذا تصريحٌ بأنَّ في الوقتِ الذي كان الجسدُ ميتاً محمولاً علىٰ النعشِ كان ذلكَ الإنسانُ حياً باقياً فاهماً ناطقاً[1].

١.يُنظر: بحار الأنوار: ٥٨-٨ «باب٤٢-حقيقة النفس والروح وأحوالهما).

اللهُ سبحانهُ وتعالىٰ صوّرَ المخلوقاتِ كلَّها في علمِه الأزليِّ بإرادةٍ أزليةٍ قديمـةٍ، ثـمَّ أخرجَها إلىٰ حيزِ الوجودِ بإرادتِه المتجددةِ والمستمرةِ علىٰ الـدوامِ، واللُّغَـةُ مـن قَبيـل تلكَ المخلوقاتِ المتجددةِ والمتحولةِ، وبوصفِها وسيلةَ تفاهمٍ بـينَ النـاسِ كونَهـا أداةَ توصيلِ ما في النفسِ لما استبانتْه عن الأشياءِ الموجوداتِ إلىٰ نفسِ المخاطـبِ بصـوتٍ مفهومٍ مؤلفٍ من حروفٍ مقطعاتٍ هي أساسُ المبـاني والكلـماتِ، ومـن خـلالِ مـا تقدمَ ندركُ بأنَّ اللُّغَةَ هي موجودٌ واحدٌ قديمٌ، ترشحتْ عنه تلـكَ اللغـاتُ المختلفـةُ بفعلِ الخلقِ المستمرِّ، فضلاً عن كونِها آيةً من آياتِ الله تعالىٰ بحيثُ ربطَ بينَ اختلافِ الألسنِ واختلافِ الصورِ، ونحـنُ نعلـمُ بـأنَّ الخلـقَ في تناسـلِه يعـودُ إلىٰ آدمَ عليـهِ السلامُ، وبالمقابلِ فإنَّ هذهِ الألسنَ هي الأخـرىٰ تعـودُ إلىٰ أصـلٍ هـو أتـمُّ اللغـاتِ وأبينُها عبارةً، وأقلها إشكالاً، وأشدُّها اختصاراً، وأكثرُها وقوعُ أسـماءَ مختلفـةٍ عـلىٰ المسمياتِ كلِّها المختلفةِ من كلِّ ما في العالمِ من جوهرٍ أو عَرَضٍ[1]، فمسـألةُ التحـولِ والتشعبِ والتطورِ تتمظهرُ بتنظيمٍ جديدٍ للفعلِ الإلهـيِّ القـديمِ ويكـونُ ذلـكَ عـن طريقِ الملائكةِ، والفعلُ هنا هو التعليمُ والإرشادُ والدعوةُ إلىٰ الابتكـارِ مـعَ الحفـاظِ علىٰ جـوهرِ الأصـلِ، وكـلُّ ذلـكَ لا يخـرجُ عـن الإرادةِ الإلهيـةِ، فتشـعُّبُ اللغـاتِ واختلافُ الألسنِ، قد جاءَ في سِفْرِ التكوينِ الأصـحاحِ الحـادي عشرَ ـ الآيـةِ الأولىٰ قولُه: ﴿وكانَ لأهلِ الأرضِ لغةٌ واحـدةٌ وكـلامٌ واحـدٌ* فلـمّا رحلُـوا مـن المشرقِ وجدُوا بقعةً في سهلِ شنعارَ، فأقامُوا هناكَ*وقالَ بعضُهم لبعضٍ» تعالُوا نصنعُ لبنـاً ونشويهِ شيَّاً «فكانَ لهم اللـبنُ بـدلَ الحجـارةِ والـترابُ الأحمـرُ بـدلَ الطينِ*وقـالوا «تعالوا نبنِ مدينةً وبرجاً رأسُه في السماءِ، ونُقِمْ لنا اسماً فلا نتشتتُ علىٰ وجهِ الأرضِ كلِّها»*ونزلَ الربُّ لينظرَ المدينةَ والبرجَ اللذينِ كانَ بنو آدمَ يبنونهما*فقالَ الربُّ: ها

١.يُنظر الإحكام في أصول الأحكام: ٣٠.

هم شعبٌ واحدٌ، ولهم جميعاً لغةٌ واحدةٌ! ما هذا الذي عملوه إلاّ بدايةٌ، ولن يصعبَ عليهم شيءٌ مما ينوون أنْ يعملوه!*فلننزلْ ونبلبلْ هناكَ لغتَهم، حتى لا يفهمَ بعضُهم لغةَ بعضٍ»[1]، ومضمونُ هذا النصِّ يتّسقُ معَ قولِه تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا﴾ البقرة:٢١٣، وهذا يعني أنَّ الناسَ وفي هذهِ الحالِ كانوا يتواصلونَ بلغةٍ واحدةٍ، ونعتقدُ بأنَّها الُّلغَةُ العربيةُ كونَ القرآنِ جاءَ بهذهِ الُّلغَةِ الَّتي تجلّتْ فيها عظمةُ الخالقِ، ودلَّتْ على ذاتِها بذاتِها من خلالِ النصوصِ القرآنيةِ الَّتي أوردْناها تبياناً لها، فضلاً عن كونِها الُّلغَةَ العروبيةَ الَّتي ما تزالُ مستعملةً إلى يومِنا هذا، لابل ستبقى ما بقيَ الليلُ والنهارُ، وبها وبأصواتِها تقالُ كلمةُ الفصلِ ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ (٤٨) أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٤٩)﴾ الأعراف/ ٤٨ -٤٩.

١.سفر التكوين الأصحاح الحادي عشر.

الفَصْلُ الثَّالِثُ

فقهُ اللغاتِ العروبيةِ

في بعضِ الأحيانِ تكونُ المُصْطَلَحاتُ المستعمَلةُ سبباً في إشكاليةِ الفهمِ والتحديدِ، وكيفَ بنا ونحنُ نتأرجحُ بينَ ثلاثةِ مُصْطَلَحاتٍ «اللغاتِ السَّاميةِ، أو الجزريةِ أو العروبيةِ» ولعلَّ القارئَ لا يدركُ أيهما أقرب إلى الواقعِ اللغويِّ؟ لو أخذْنا بالمُصْطَلَحِ الأولِ سيكونُ لِزاماً علينا إبعادُ اللغةِ الحبشيةِ عن أرومةِ تلكَ اللغاتِ فضلاً عن اللهجةِ البونيةِ الفينيقيةِ. أمَّا إذا قلْنا بالمُصْطَلَحِ الثَّاني«الجزريةِ» نسبةً إلى جزيرةِ العربِ، فهذا أيضاً تحديدٌ غيرُ دقيقٍ للغاتِ الجزريةِ وهذهِ التسميةُ لا تنطبقُ على بعضِ اللغاتِ التي خرجتْ عن هذا التحديدِ لاسيَّما اللغاتُ التي وجدتْ في شمالِ أفريقيا ومنطقةِ سيناءَ والحبشةِ. إلاّ إنَّ بعضَ الباحثينَ يرى أنَّ مُصْطَلَحَ اللغاتِ العروبيةِ أو الجزريةِ بديلاً صحيحاً لِما يُعرَفُ باللغاتِ السَّاميةِ، ونحنُ نرى أنَّ مُصْطَلَحَ اللغاتِ العروبيةِ وحدَه هو البديلُ لتلك المُصْطَلَحاتِ، كونَ اللغاتِ العروبيةِ قد ترشحتْ عن اللغةِ الأمِّ وأخذتْ منها خصائصَ لغويةً أصبحتْ فيما بعدُ خصائصَ لغويةً مُشتركةً، واللغةُ العربيَّةُ جمعتْ جميع تلكَ الخصائصَ اللغويةَ فضلاً عن كونها اللغةَ الوحيدةَ التي ما زالَ يتكلمُ بها أبناؤها، كأنَّها هي اللغةُ الأمُّ، لذلكَ اصطُلِحَ على هذه اللغات هذا المُصْطَلَح كونَها تنتمي إلى لغةٍ أو أصلٍ لُغَويٍّ واحدٍ يضارعُ اللغةَ العربيَّةَ.

فالأستاذُ عباس محمود العقاد يبحثُ في كتابِه[1] مسائل تتعلقُ بالعروبـةِ، يـرى أنَّ الصحيحَ هو تسميةُ الشعوبِ السَّاميـةِ بالعربيَّـةِ وتسميةُ لغاتِها بالعربيَّـةِ القديمةِ. أمّا الأستاذُ طه باقر «في دراستِه للدخيلِ في لغةِ العربِ» فَيَرىٰ مُصْطَلَحَ أقوامِ الجزيـرةِ أو الأقوامِ العربيَّـةِ القديمةِ صحيحاً من النَّاحيةِ التاريخيةِ والقوميةِ والجغرافيةِ، وذهـبَ الدُّكتورُ نجيب البهبيتي هذا المذهبَ، في كتابِـه «المُعلقـةُ العربيَّـةُ الأولىٰ»[2] ملحمـةُ كلكامش، إذْ يذكرُ أنَّ الشُّعوبَ التي هاجرتْ من الجزيرةِ صدرتْ عـن الـيمنِ، لأنَّ اليمنَ أصلُ المعدنِ، إذْ يَصِفُهم بالعربِ البائدةِ العاربةِ، أمّا ما دخلَ عليهم بعدَ ذلـكَ من إسماعيلَ وأبنائِه فهُم من العربِ المستعربةِ، فإسماعيلُ «الآكـاديُّ» الـذي نشـأَ في الحجازِ بين قبيلةِ جُرْهُم العربيَّـةِ القديمةِ، تعلّمَ العربيَّـةَ القديمـةَ ممتزجـةً بآثـارٍ مـن الآكاديةِ والمصريةِ التي كانتْ لغةَ أمِّه، فكانَ من جماعِ ذلكَ كلِّه نشأةُ اللهجةِ العربيَّـةِ العدنانيةِ التي صارتْ بينَ يَدَيْ أبنائِه لينـةً فحملـتْ عـواطفَهم وعقـولَهم. ويـذهبُ البهبيتيُّ إلىٰ أنَّ السُّومريينَ هم الموجاتُ اليمنيةُ الأولىٰ التي انثالتْ علىٰ العـراقِ بعـدَ الطُّوفانِ، واستناداً إلىٰ تلكَ المُعطياتِ يرىٰ أنَّ ملحمـةَ كلكـامشَ عربيـةٌ مـلءَ الفـمِ والشدقِ[3].

ويرىٰ الأستاذُ محمد خليفة التونسي في كتابِه[4] أنَّ مُصْطَلَحَ «العروبيـةِ» أقـربُ إلىٰ الواقعِ اللغويِّ كونَ تلكَ اللغاتِ شقيقاتٍ للغةِ العربيَّـةِ، وإلىٰ ذلـكَ ذهـبَ الـدُّكتورُ علي فهمي خشيم ويراهُ «أعني مُصْـطَلَحَ العروبيةِ»بـديلاً صـالحاً لمُصْـطَلَحِ اللغـاتِ السَّاميـةِ.

والحقُّ أنَّ مُصْطَلَحَ العروبيةِ مُصْطَلَحٌ موافقٌ في صحةِ دلالتِه اللغويةِ والتَّاريخيـةِ، فالعروبةُ هيَ الَّتي تربطُ بينَ جميعِ الشعوبِ المهاجرةِ من الجزيرةِ لأنَّها جزيرةُ العربِ،

---

١. أبو الأَنْبياء:١٤٨-١٦٤.

٢. المعلقة العربية الأولىٰ:١-٥٨-٦٢.

٣.يُنْظَرُ: رأي الدكتور نجيب البهبيتي في المعلقة العربية الأولىٰ:١-٦٠، ٥٨.

٤. أسرة اللغة العروبية السامية: ١٦٩.

ولأنَّ العروبةَ صفةٌ لتلكَ الخصائصِ اللغويةِ المشتركةِ بينَ لغاتِ المهاجرينَ من أقوام الجزيرةِ والمقيمينَ فيها على حدٍّ سواءٍ، وليسَ أدلَّ من ذلكَ من أنَّ لغةَ القرآنِ العربيّةُ الفصحىٰ هي أقربُ اللغاتِ إلىٰ الأصلِ الذي دُعي باللغةِ السَّاميةِ الأمِّ، والسَّاميةُ مُجَرَّدُ تسميةٍ افتراضيةٍ. ولكي يستقرَّ مُصْطَلَحُ العروبيةِ في ذهنِ الباحثينَ ويستقرَّ في الدراساتِ اللغويةِ الأكاديميةِ لابدَّ من الشيوعِ والانتشارِ، وهذا ما نسعىٰ إليهِ.

حقيقةُ وطبيعةُ هذه اللغاتِ

يرىٰ الدُّكتورُ سامي سعيد الأحمد أنَّ مُصْطَلَحَ السَّاميةِ الذي أصبحَ شائعاً في حقلِ الدراساتِ اللغويةِ الحديثةِ يطلقُ علىٰ مجموعةٍ من اللغاتِ المتقاربةِ نسبةً إلىٰ سام أحدِ أولادِ نوحٍ «عليه السلام»، إذْ أُطلِقَ هذا الاسمُ علىٰ العربِ والكنعانيينَ والآراميينَ والفينيقيينَ والعبريينَ والبابليينَ والآشوريينَ، وهذه التسميةُ «لا تستندُ علىٰ أساسٍ رصينٍ من الواقعِ التاريخيِّ ولا تدعمُها المصادرُ المعتمَدةُ والأدلّةُ المستنِدةُ علىٰ التمحيصِ الموضوعيِّ والدقةِ العلميةِ»[1]

و أولُ مَنْ أطلقَ تلكَ التَّسميةَ الباحثُ: شلوتسر علىٰ تلكَ الشعوبِ مستنداً إلىٰ العهدِ القديمِ، عندما كانَ يبحثُ عن تسميةٍ مشترَكةٍ للعبريينَ والعربِ والأحباشِ الذينَ ظهرَ في لغاتِهم تشابهٌ وصِلاتُ قرابةٍ، وقد استندَ في هذهِ التسميةِ إلىٰ نصٍّ توراتيٍّ يتحدثُ عن أنسابِ نوحٍ بعدَ الطوفانِ[2]. «وكانَ بنو نوحٍ الذينَ خرجوا من السفينةِ ساماً وحاماً ويافثاً، وحامٌ هو أبو كنعانَ، هؤلاءِ الثلاثةُ هم بنو نوحٍ ومنهم

١. المدخل إلىٰ دراسة تاريخ اللغات الجزرية:٣

٢. يُنْظَرُ: علم اللغة العربية:١٣٢

انتشرَ كلُّ سكانِ الأرضِ» [1].

فالسَّاميونَ هم أبناءُ سامٍ بحسبِ ما وردَ في النصِّ التوراتيِّ الَّـذي أتـىٰ علىٰ ذكـرِ شعوبهم وفقَ ما أرادَه اليهودُ، إذْ أبعدَ اليهودُ الشَّعبَ الكنعانيَّ عـن دائـرةِ الشُّـعوبِ السَّاميـةِ -إنْ صحَّتْ هذه التسميةُ- وأدخَلوا بالمقابلِ شعبينِ آخرينِ هما عيلامُ ولودُ في جدولِ بني سامٍ علىٰ الرَّغمِ من أنَّه ليستْ هنالكَ صلةُ قرابةٍ بـينَ هـذينِ الشعبينِ من جهةٍ، كما أنَّه ليستْ بينهما وبينَ الشعوبِ السَّاميـةِ أيّةُ قرابةٍ مـن جهـةٍ أُخـرىٰ [2]، وهذا ما قالَ بهِ كثيرٌ من باحثينا العـربِ، إلاّ أنّنـا راجعْنـا تـاريخَ الشـعوبِ في سِـفْرِ التكوينِ الفصلِ العاشرِ الصفحةِ التاسعةِ فوجدْنا الآتيَ: «٢١وولدَ لسامٍ أيضاً بنونٌ، وهو أبو جميعِ بني عابرٍ، وأخو يافثٍ الاكبرُ٢٢، وبنو سامٍ: عيلامُ وآشورٌ، وأرفكشادُ، و لودُ، وآرامُ٢٣» [3].

مهما يكُنْ من شيءٍ حولَ طبيعةِ هذا التقسيمِ للشعوبِ التي صدرتْ عـن أنسـابِ نوحٍ «عليه السلام»، فإنَّها من أصلٍ لغويٍّ واحدٍ، وهذا ما يعنينا في هذا المقامِ، ودليـلُ ذلـكَ هو إفادةُ الأوربيينَ من البحثِ في اللغةِ العربيَّـةِ في القرنِ السادس عشر، بهدفِ قراءةِ العهدِ القديمِ في نصِّهِ العبريِّ، لذلكَ استُعينَ باللغةِ العربيَّـةِ لفهـمِ بعـضِ الجوانـبِ الغامضةِ في النصِّ العبريِّ للعهدِ القديمِ [4]، وهـذا مـا يجعـلُ الباحـثَ يـذهبُ إلىٰ أنَّ اللغةَ العربيَّـةَ هي أقربُ اللغاتِ العروبيةِ إلىٰ اللغـةِ الأمِّ إنْ لم تـكُ هـيَ عينَهـا تلـكَ اللغةُ التي خُلِقَتْ قبلَ خلقِ الإنسانِ وهي لغةُ أهلِ الجنةِ.

أمّا طبيعةُ تنظيمِ تلكَ اللغاتِ وجمعُها فلمْ تكُ في بـادئِ الأمـرِ تـرتكنُ إلىٰ تنظـيمٍ منهجيٍّ واضحٍ، لكنَّ القائمينَ علىٰ هذهِ اللغاتِ قد توسّـلُوا أخـيراً بـالمنهجِ العلمـيِّ

---

١. سفر التكوين: الفصل التاسع:٧

٢. فقه اللغات السامية:١١.

٣. سفر التكوين: الفصل العاشر.

٤. يُنْظَرُ: علم اللغة العربية:١٣٢.

الذي أُعتُمِدَ في تصنيفِ اللغاتِ الهندوأوربيةَ، وكـانَ لهـذا المـنهجِ أثـرُه في أبحـاثِهم التاريخيةِ والأثريةِ، وحصيلةُ هذا الجهدِ العلميِّ الكشـفُ عـن الآلافِ مـن النقـوشِ تنوعتْ بين أكاديةٍ وفينيقيةٍ وعربيةٍ بائدةٍ، ومن نتائجِ هـذهِ الأبحـاثِ أنّهـا أثبتـتْ أنَّ هذهِ اللغاتِ تتشابهُ في ما بينها من حيثُ المادةُ اللغويةِ، فضلاً عن أنَّ اللغاتِ الحديثـةَ منها التي ترشّحتْ عن ذلكَ الأصلِ القديمِ ما زالتْ تحتفظُ بجملةٍ مـن الخصـائصِ اللغويةِ المشتركةِ.

موطـنُ العروبـيينَ «الجزريينَ - الساميينَ)

وقعَ الدارسونَ في اختلافٍ كبـيرٍ حـولَ تحديـدِ الأصـلِ الـذي بـدأتِ الموجـاتُ السَّاميـةُ تخرجُ منه تباعـاً، قيـلَ إنَّ مـوطنَهم منطقـةُ أرمينيّـةَ وهـذا لـهُ صـلةٌ بقصـةِ الطوفانِ، وقيلَ شمالُ أفريقيا وخرجوا إلى آسـيا عـن طريـقِ السـويسِ، وقيـلَ بـلادُ الحبشةِ ومنها انتشروا عن طريقِ بابِ المندبِ، وقيلَ العراقُ وهذا مـذهبُ جويـدي، وقيلَ بلادُ الشامِ حيثُ موطنُ الكنعانيينَ، وقيلَ بلادُ الحجـازِ ونجـدٍ والـيمنِ وهـو مذهبُ رينان و بروكلمان و غيرهما[1] لأنَّ ثمةَ أسباباً تؤيدُ هذا المذهبَ منها:

إنَّ هذا الموطنَ هو المكانُ الَّذي بدأتْ منـه الهجـراتُ السَّاميـةُ الأولى كالبـابليينَ والأشوريينَ وإنَّ أولَ من هاجر إلى الحبشةِ من اليمنِ فضلاً عـن اشـتراكِ الشـعوب السَّاميـةِ بصفاتٍ لغويةٍ واحدةٍ ترجعُ جميعاً إلى المحسوساتِ الماديةِ التـي لا تنشـأُ إلاّ في مواطنَ صحراويةٍ قليلةِ الظواهرِ الطبيعيةِ فقيرةِ المناخِ وهـذا مـا يتمثـلُ بـالجزيرةِ العربيَّـةِ كونَها الموطنَ الأصليَّ لتلكَ الشعوبِ[2].

١.يُنْظَرُ: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام:١/ ٢٢٩-٢٤٤.
٢.يُنْظَرُ: المدخل إلى دراسة اللغات السامية:٤ وما بعدها.

لقد ثبتَ تاريخياً أنَّ هذه المواطنَ كانَت كثيفَةَ السكانِ والخيراتِ خصبةَ الأرضِ لكنها أُصيبتْ بتغيراتٍ مناخيةٍ وجيولوجيةٍ أدّتْ إلى تركِها والنزوحِ عنها إلى منطقةِ بلادِ الرافدينِ أو ما يُعرَفُ بالجزيرةِ الفراتيةِ، إذْ وُجدَ كثيرٌ من المستوطناتِ التي تعودُ إلى العصرِ الأكديِّ، وهذا ما يتَّسِقُ و تاريخَ نزوحِ أولِ جماعةٍ عروبيةٍ من مكانِها الذي كانتْ فيهِ[1].

وتتكونُ هذهِ البيئةُ الجغرافيةُ من بيئاتٍ صغيرةٍ ذاتِ مواردِ مياهٍ محدودةٍ يسهلُ التحكمُ فيها، وقيلَ لصغرِ تلكَ المستوطناتِ من حيثُ المساحةُ جعلَها عرضةً لأنْ تضيقَ بسكانِها بعدَ مدةٍ منَ الزمنِ ما يستوجبُ خروجَ جماعاتٍ منها على شكلِ هجراتٍ بشريةٍ قصدتْ مناطقَ السهولِ من أرضِ العراقِ وسوريا وفلسطينَ[2].

والملاحظُ أنَّ هذهِ الشعوبَ تمتلكُ قدراً من الحضارةِ والرقيِّ وهذا الأمرُ قد تمثلَ بما عُثِرَ عليه من نقوشٍ ومسكوكاتٍ وحليٍّ، فضلاً عن كونِ عائلتِها اللغويةِ تنتمي إلى أصلٍ لغويٍّ[3]، إذْ تشتركُ اللغاتُ «العروبيةُ» السَّاميةُ بخصائصَ وصفاتٍ تدلُّ على وحدةِ المنشأِ والتناسلِ ولكنَّ أيَّ واحدةٍ منهنَّ لا تدلُّ على أنَّها الأصلُ لجميعِ اللغاتِ السَّاميةِ.

وحاولَ الباحثون المُستشرقونَ الوصولَ إلى معرفةِ أقدمِ لغةٍ ساميةٍ فكانتْ ثَمّةَ

١. يُنْظَرُ: المصدر نفسه:٧.

٢. المصدر نفسه:٩

٣. روي عن النبي ص أنَّه قال: «خمسة أنبياء من العرب وهم :محمد و إسماعيل وشعيب وصالح و هود»، في رواية عن العرب القدماء: أنَّهم عرفوا بالعرب لأنَّ لسانهم عربي، هذه الرواية تدل على أنَّ اللسان العربي قديم، وهؤلاء الأنبياء عرب وكانوا يسكنون بلاد العرب. ونلحظ أنَّ سلسلة الرجال بين سام و هود :قيل إنَّ هود (عليه السلام).هو ابن شالح بن أرفخشد بن سام. وعن ابن عباس: أنَّ هودا أول من نطق بالعربية، مساكن قوم هود، كانت مساكن عاد أرض الأحقاف أي في شمال الربع الخالي، وهذا ما يتسق مع ما ذهب إليه بعض الباحثين في تحديد البيئة الجغرافية التي انطلقت منها الجماعات السامية فضلا عن التماثل اللغوي الذي يرجع إلى أصل لغوي هو أقرب إلى اللسان العربي.

خلافاتٍ يرجعُ بعضُها إلىٰ عواملَ عصبيةٍ و أخرىٰ إلىٰ عواملَ علميةٍ صِرفةٍ، فاليهودُ يعدّونَ العبريةَ أقدمَ لغةٍ ساميةٍ، وهذا الأمرُ قد أشرْنا إليهِ في سببِ تسميةِ تلكَ اللغاتِ باللغاتِ السَّاميةِ، ويعتقدُ آخرونَ أنَّ الأكديةَ هي الأقدمُ وهذا مرتبطٌ بالتسلسلِ والتوزيعِ الجغرافيِّ لهجراتِ تلكَ الشُّعوبِ، علىٰ حين تنقصُ الذَّاهبينَ هذا المَذهبَ دلائلُ كثيرةٌ أهمُّها:

قلةُ ما وردَ من نصوصٍ آشوريةٍ أو بابليةٍ واختلاطُ الكثيرِ منها بكلماتٍ سومريةٍ يتعذّرُ معرفةُ قِدَمِها، كونَ بعضِهم يرىٰ أنّ اللغةَ السومريةَ هي اللغةُ الأقدمُ والأبعدُ زمناً عن الأكديةِ، كونَ الأخيرةِ قد حوتْ جملةً من الكلماتِ السومريةِ في معجمِها اللغويِّ.

وقد حاولَ آخرونَ أنْ يجمعوا الأمورَ المُشتركةَ بينَ اللغاتِ السَّاميةِ في البنيةِ والتَّنظيمِ والأصواتِ ليتخذوا منها صورةً للغةِ السَّاميةِ الأولىٰ، غيرَ أنَّهم قد فاتَهم أنَّ هذهِ اللغاتِ جميعاً قد مرتْ بمراحلَ من التَّطورِ فتركتْ أشياءَ واستحدثتْ أشياءَ وتفاعلتْ مع غيرِها من اللغاتِ المجاورةِ فأخذتْ وأعطتْ جَرْياً مع القوانينِ الطَّبيعيةِ للغةِ الإِنْسَانِيَّةِ.

التوزيـعُ الجغرافـيُّ اللغـاتِ العروبيـةِ «السَّاميـةِ»

أولاً: اللغـاتُ الشرقيـةُ

ومن لغاتِها: الأكديةُ

تُنسَبُ إلىٰ مدينةِ أكادَ التي بناها سرجونُ الأكديُّ في الجزءِ الشماليِّ من أرضِ بابلَ وهي أولىٰ الدولِ التي أنشأَها الساميونَ في أرضِ الرافدينِ، ولابدَّ لنا أنْ نعتقدَ بأنَّ وجودَهم في جنوبِ العراقِ كانَ سابقاً لوجودِ السُّومريينَ[1]، إلاّ أنَّ الأستاذَ محمود فهمي حجازي ينقلُ لنا أنَّ الأكديينَ قد اختاروا هذهِ التسميةَ لهم وأطلقوها علىٰ لغتِهم تمييزاً لها عن اللغةِ السائدةِ في جنوبِ أرضِ الرافدينِ وهي اللغةُ السومريةُ[2]. وهذا يعني أنَّ اللغةَ السومريةَ أقدمُ وجوداً من الأكديةِ.

ومن خلالِ ما قامَ بهِ العالِمُ الإنكليزيُّ «رولنسون» في منتصفِ القرنِ التاسع عشر من الكشفِ عن كثيرٍ من النقوشِ وحلِّ رموزِها بدتْ لنا خصائصُ هذهِ اللغةِ[3]، إذْ اعتمدَ الأكديونَ الكتابةَ المسماريةَ واستعملوها نطقياً باستعمالِ علامةٍ واحدةٍ وهذا ما يعني أنَّ ثمةَ ازدواجاً لغوياً بينَ الشعبِ الأكديِّ والسومريِّ استمرَّ أكثرَ من ستةِ قرونٍ «٢٥٠٠-١٩٠٠ ق.م» أدىٰ في النهايةِ إلىٰ سيادةِ اللغةِ الأكديةِ في تلكَ البيئةِ الجغرافيةِ[4].

---

١. يُنْظَرُ: المدخل إلىٰ دراسة تاريخ اللغات الجزرية:١٣

٢. يُنْظَرُ: علم اللغة العربية:١٥١.

٣. يُنْظَرُ: فصول في فقه اللغة العربية:٢٧.

٤. يُنْظَرُ: علم اللغة العربية:١٥٣

خصائصُ اللغةِ الأكديةِ:

اعتمادُها الكتابةَ المسماريةَ التي تقومُ أساساً على المقطعِ الصَّوتيِّ، أي أنَّ الكلمةَ تقسمُ على مقاطعِها الَّتي كونتْها، ولكلِّ مقطعٍ رمزٌ كتابيٌّ يُعرَفُ به، وهي بذلكَ تختلفُ عن الكتابةِ الهيروغليفيةِ التي ظهرتْ في الوقتِ نفسِه في مصرَ لأنَّ الأخيرةَ لا تدونُ الصَّوتَ المَنْطوقَ بل الكتابةُ فيها كتابةٌ صوريةٌ.

وجودُ حرفَي الحلقِ «الهمزةِ، والخاءِ) وسقوطُ أو اختفاءُ «العينِ، والغينِ، والحاءِ، والهاءِ).

بعل	....	*be:l*	العين	يُنطَقُ بمدِّ الحركةِ
قمح	....	*qe:m*	الحاء	يُنطَقُ بمدِّ الحركةِ
نهر	....	*na:r*	الهاء	يُنطَق بمدِّ الحركةِ

ويمكنُ أنْ نلمسَ هذا الأمرَ في الكلمةِ السومريةِ التي كانتْ تُنطَقُ خاليةً من صوتِ الحلقِ، وظلتْ على حالِها في الأكديةِ «*ekallum*) هيكل «بمعنى البيتِ الكبيرِ أو القصرِ أو المعبدِ) ثمَّ انتقلتْ إلى اللغةِ العبريةِ والعربيَّةِ بمعناها الأخيرِ مع نُطْقِ صوتِ الحلقِ[1].

وجودُ شا الشَّرطيةِ، والشَّرطُ لا يشابهُ بالوظيفةِ ما نراهُ في اللغاتِ الجزريةِ بل هو نوعٌ من النَّهاياتِ الظَّرفيةِ للفعلِ المُحددِ الزَّمنِ[2].

اختزالُ الحروفِ الصحيحةِ مما جعلَ حروفَها قليلةً، مثلاً: اختزالُ «ث، ش، س) في «ش) واختزالُ «ز، ذ) في «ز) واختزالُ «ص، ض) في «ص)[3].

١.يُنْظَرُ: المصدر نفسه:١٥٦

٢.يُنْظَرُ: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية:١٦

٣.يُنْظَرُ: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية:١٦

وجودُ كلماتٍ مكونةٍ من حرفينِ صامتينِ مثَل: لقلقو «القلق) و ثلاثةِ أحرفٍ وهي الغالبةُ في هذهِ اللغةِ، أو من أربعةِ أحرفٍ نحـوَ: بورشـؤو «برغـوث) و خنـد شـانو «عريس)[1].

يُعرَبُ الاسمُ في اللغةِ الأكديةِ، فقد ظهرَ ومن خلالِ النقوشِ على ثلاثةِ أشـكالٍ، إذْ يطابقُ في أحدِ هذهِ الأشكالِ حالةَ الرفعِ في العربيَّـةِ، وفي الثانيةِ حالةَ النصبِ، وفي الثالثةِ حالةَ الخفضِ، واستعملتْ التمويمَ مقابلاً للتنوينِ في العربيَّـةِ.

Kalbu	في حالةِ الرفعِ	kalbum	في حالةِ الرفعِ والتنوينِ
Kalba	في حالةِ النصبِ	kalbam	في حالةِ النصبِ والتنوينِ
Kalbi	في حالةِ الجرِّ	kalbim	في حالةِ الجرِّ والتنوينِ[2]

وجودُ ضمائرَ منفصلةٍ ومتصلةٍ في اللغةِ الأكديةِ:

فمن ضمائرِ الرفعِ المنفصلةِ: «أنـاكو: أنـا) «أتتـا: أنـت) «أتتـي: أنـت للمؤنـث) «أتتونو: أنتم) «شوو: هم) «شي: هي) «شونو: هم) «شينا: هن)[3].

ومن الضمائرِ المتصلةِ: النونُ في بدايةِ الفعلِ للدلالةِ على المتكلمِ الجمعِ، والتـاءُ في البدايةِ للمفردِ المخاطبِ، و الياءُ في النهايةِ للمفردِ المتكلمِ نحوَ: يلي «ربي)، وكا وكي للمتكلمِ المفردِ المذكَّرِ والمؤنثِ «بيتكا) بيتك[4].

يكونُ الجمعُ في اللغةِ الأكديةِ بتطويلِ حرفِ العلةِ بعد إسقاطِ التمويمِ:

kalb<u>uu</u> Kalbum

وأحياناً يكونُ الجمعُ بإضـافةِ «*anu*) في حالـةِ الرفـعِ و«*ane*) في حالـةِ النصـبِ

١ .يُنْظَرُ: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية:١٦

٢ . يُنْظَرُ: المصدر نفسه:١٥٤، و المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية:١٦

٣.يُنْظَرُ: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية:١٦

٤ .يُنْظَرُ: المصدر نفسه:١٦

والجرِّ.

ei<u>lanu</u>	*Eil*	رب
sharr<u>anu</u>	*Sharru*	ملك[1]

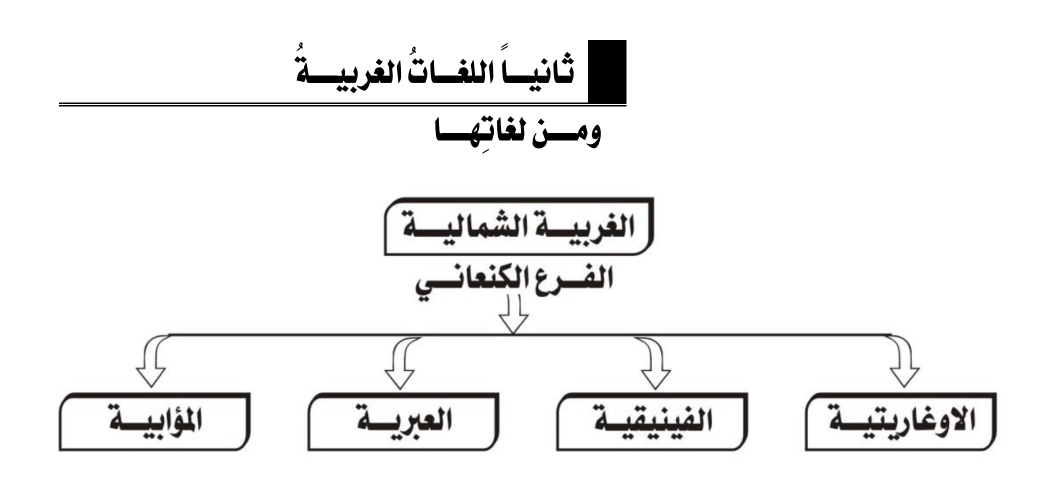
فضلاً عن وجودِ التثنيةِ في اللغةِ الأكديةِ القديمةِ.

Shiuerin aneeam هذينِ الخاتمينِ[2].

وخلاصةُ القولِ في هذهِ اللغةِ أنّها من أهمِّ اللغاتِ العروبيةِ لغةً وحضـارةً فضـلاً عن كونِها أقدمَ لُغةٍ مدونةٍ، وشابهتِ اللغةَ العربيَّـةَ في كثيرٍ من خصائصِها اللغويةِ.

وباتتْ هذهِ اللغةُ تحتضرُ بنهايةِ الدولةِ الآشوريةِ في القرنِ السابعِ قبـلَ المـيلادِ أي أنّها عاشتْ أكثرَ من خمسةٍ وعشـرينَ قَرناً، وفي هـذهِ الحـالِ أخـذتِ اللغـةُ الآراميـةُ بالانتشار كلغةِ استعمالٍ، وهذا لا يعني أنَّ اللغـةَ الأكديـةَ لم تنـدمجْ أو تـؤثرْ باللغـةِ الآراميةِ بل على العكسِ من ذلكَ إذْ بدا ذلكَ الاندماجُ واضـحاً مـن خـلالِ حركـةِ التغيرِ البطيءِ الذي ظلَّ قائماً لقرونٍ عدةٍ بين الأكديةِ والآراميةِ.

ثانيـاً اللغـاتُ الغربيـةُ ومـن لغاتِهـا



١.يُنْظَرُ: المصدر نفسه:١٦

٢.يُنْظَرُ: المصدر نفسه:١٦

الكنعانيـــةُ

تمثلتْ هذهِ اللغةُ بالكنعانيينَ السكانِ الأوائلِ لمنطقةِ الهلالِ الخصيبِ منطقةِ بـلادِ الشامِ وساحلِ البحرِ المتوسطِ «شمالِ أفريقيا) وهذا يعني أنَّ مجموعَ هـذهِ اللهجـاتِ غادرتْ بيئاتِها اللغويةَ إلى بيئاتٍ أخرى بـل خـرجَ بعـضٌ منهـا عـن هـذا التحديـدِ الجغرافيِّ لاسـيَّما اللغـةُ الآراميـةُ والفينيقيـةُ التـي وصـلتْ إلى بعـضِ جـزرِ البحـرِ المتوسطِ[1].

وباعتمادِ التوزيعِ الجغـرافيِّ اللغـويِّ يمكـنُ لنـا أنْ نقسـمَ اللغـاتِ أو اللهجـاتِ الكنعانيةَ على ثلاثةِ أقسامٍ:

القسم الأول: يُعرَفُ بالكنعانيةِ الشماليةِ ويتمثلُ باللغةِ الأوغاريتيةِ، أمّا القسمُ الثـاني فيعرفُ بالكنعانيةِ المتوسطةِ ويتمثلُ هذا القسـمُ باللغـةِ الفينيقيـةِ، أمـا القسمُ الثالثُ فيعرفُ بالكنعانيةِ الجنوبيةِ ويتمثلُ بالعبريةِ والمؤابيةِ.

القســمُ الأولُ

الأوغاريتيةُ: عُرِفَتْ بهذه التسميةِ نسبةً إلى منطقةِ «أوغاريتَ) شمالَ مدينـةِ اللاذقيـةِ السوريةِ، وقد عُثرَ على بقايا لهذهِ اللغـةِ في منطقـةِ «رأس شـمرا) سـنة ١٩٢٨م، وهي عبارةٌ عن مجموعةِ نقوشٍ مدونةٍ على ألواحٍ من الطينِ، كُتبتْ بخطٍّ مسماريٍّ يسيرُ على النظامِ الأبجديِّ خلافـاً للغـةِ الأكديـةِ التي اعتَمَدتِ النظامَ المقطعيَّ في طريقـةِ الكتابـةِ[2]، علـماً إنَّ الأكـديينَ استعملوا مئاتِ الرموزِ، ولكـنَّ الأوغـاريتيينَ كتبـوا برمـوزٍ قليلـةٍ لا

١. يُنْظَرُ: الأساس في فقه اللغة:١١٦.

٢. يُنْظَرُ: مدخل إلى فقه اللغة العربية:٥٩، والأساس في فقه اللغة:١١٦.

يتجاوزُ عددُها الثلاثينَ، وهـذا يعنـي أنَّ الأوغـاريتيين بسّـطوا نظـامَ الكتابةِ، فلم تعُدْ هناك حاجةٌ لتعلمِ مئاتِ الرموزِ[1].

أهمُّ خصائصِهــا:

١. كتاباتُها بالخطِّ المسماريِّ الذي يسيرُ علىٰ النظـامِ الأبجـديِّ خلافـاً للأكديةِ التي تسيرُ علىٰ النظامِ المقطعيِّ.

٢. تقومُ كتابتُهم علىٰ الحروفِ الساكنةِ، وتركوا كتابـةَ الحركـاتِ مثـلَ اللغةِ الفينيقيةِ.

٣. خلتْ كتاباتُها من حرفِ الفاءِ التي استُعيضَ عنها بالباءِ.

٤. تركوا علاماتِ الإعرابِ.

٥. وجودُ أصواتِ الإطباقِ كاملةً أمّا أصواتُ الحلقِ فقـدْ سـقطَ منهـا صوتُ: الخاءِ، الهمزةِ.

٦. تقتربُ من العربيَّـةِ في:

- ميّزتْ بين صوتَي الحاءِ والخاءِ.
- ميزتْ بين العـينِ والغـينِ، لكـنَّ العبريـةَ جعلـتْ منهما صوتاً واحداً وهو «العين».
- انتظمتْ عندهم حروفُ الهجاءِ علىٰ النحـوِ الآتي: أبجد هوز حطي كلمن سعفص قرشت[2].

فالنقوشُ الأوغاريتيةُ من الناحيةِ الزمنيةِ تلي اللغةَ الأكديةَ، لذلكَ تحمـلُ سِـماتٍ لغويةً قديمةً تختلفُ عن بعضِ اللغاتِ العروبيةِ، وتقتربُ مـن اللغـةِ العربيَّــةِ كـونَ الأخيرةِ احتفظتْ بصفةٍ عامةٍ بالأصواتِ العروبيةِ.

---

١. يُنْظَرُ: علم اللغة العربية:١٥٩.

٢. يُنْظَرُ: المدخل إلىٰ دراسة اللغات الجزرية:٢٣، وعلم اللغة العربية:١٦٠.

الفينيقيةُ: انتشرتْ في كثيرٍ من البلادِ الواقعةِ علىٰ سواحلِ البحرِ المتوسطِ، كسوريا وفلسطينَ وبعضِ الجزرِ، وقيلَ إنَّ موطنَها «صورُ و صَيدا وجبيلُ وقبرصُ»[1] وقد عُثرَ علىٰ نقوشٍ كثيرةٍ في قبرصَ وعلىٰ ساحلِ البحرِ المتوسطِ، وكان يُطلَقُ علىٰ اللغةِ الفينيقيةِ في المغربِ العربيِّ اسمُ اللغةِ البونيةِ التي قُسّمتْ علىٰ قسمينِ البونيةِ القديمةِ التي انتشرتْ في الساحلِ التونسيِّ حوالي القرنِ التاسعِ قبلَ الميلادِ وانتهتْ بسقوطِ الدولةِ علىٰ يدِ الرومانِ، الذينَ نازعوا الفينيقيينَ علىٰ سيادةِ البحرِ المتوسطِ، وبعدَ سقوطِ قرطاجنة، تبدأُ المرحلةُ الثانيةُ في حياةِ اللغةِ البونيةِ الحديثةِ التي تأثرتْ باللغةِ اللاتينيةِ، إذ أدىٰ هذا التأثرُ إلىٰ ضعفِ النطقِ بأصواتِ الحلقِ فضلاً إلىٰ عدمِ تمييزِهم في الكتابةِ بين العينِ والهمزةِ و بينَ الحاءِ والهاءِ، والخلطِ بينَ الألفِ والهاءِ. وفي مرحلةٍ متأخرةٍ استُعملتْ أصواتُ الحلقِ وسيلةً لكتابةِ الحركاتِ القصيرةِ[2].

ومن خصائصِ اللغةِ الفينيقيةِ عامةً:

١. شابهتِ العبريةَ في طبيعةِ الأصواتِ الساكنةِ التي تتكونُ منها الكلماتُ، وهي أطولُ عمراً من اللغةِ العبريةِ.
٢. لم يستعملوا حروفَ العلةِ لذلكَ لم يستعملوا علاماتِ الإعرابِ.
٣. احتفظَ الفينيقيونَ بفكرةِ النظامِ الأبجديِّ الذي أوجده الأوغاريتيون[3].

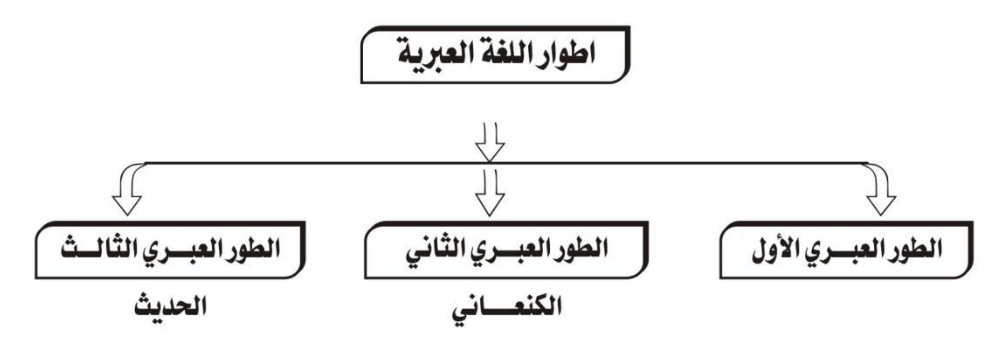
١. يُنْظَرُ: الأساس في فقه اللغة:١٢٠.
٢. يُنْظَرُ: علم اللغة:١٦٣.
٣. يُنْظَرُ: المدخل إلىٰ دراسة تاريخ اللغات الجزرية:٢٢-٢٤، وعلم اللغة العربية:١٦١-١٦٣. ومدخل إلىٰ

القسمُ الثَّالثُ
أولاً: العبريةُ

وهيَ من أهمِّ اللغاتِ العروبيةِ، وأوسعِها وأكثرِها إنتاجاً في فنونِ القولِ والأدبِ والتاريخِ، ويمكنُ تحديدُ بداياتِ هذهِ اللغةِ مع بداياتِ القرنِ الثاني عشرَ قبلَ الميلادِ، عندما دخلتْ قبيلةُ إسرائيلَ أرضَ فلسطينَ، ويكادُ العهدُ القديمُ يكونُ المصدرَ الوحيدَ للتعرفِ على تاريخِ اللغةِ العبريةِ[1]. ومن أقدمِ المصادرِ عن اللغةِ العبريةِ نقشُ السلونَ الذي عُثرَ عليهِ في بيتِ المقدسِ[2].

ويقالُ إنَّ العبريةَ عُرفتْ بهذا الاسمِ نسبةً إلى «عَبرا» أو «عابرا» الذي يعدُّهُ اليهودُ أباً لهم، ويرى ولفنسون أنَّ كلمةَ «عبري» مثلَ كلمةِ «بدوي» وترتبطُ بكلمةِ «عربي» ارتباطاً لغوياً، لأنَّهما مشتقتانِ من أصلٍ واحدٍ وتدلاّنِ على معنىً واحدٍ[3].

ويمكنُ تقسيمُ اللغةِ العبريةِ على ثلاثةِ أطوارٍ:



فقه اللغة العربية:٦١.

١. يُنْظَرُ: علم اللغة:١٦٥.

٢. يُنْظَرُ: مدخل إلى فقه اللغة:٦٠.

٣. يُنْظَرُ: تاريخ اللغات السامية:٧٨.

الطورُ العبريُّ الأولُ: كانَتِ اللغةُ العبريةُ التي تكلمَ بها العبرانيـونَ الأوائـلُ الذينَ سكنوا مصرَ قبلَ هجرتِهم إلىٰ أرضِ كنعانَ، وكانَ العبرانيونَ علىٰ صلةٍ بالكنعانيينَ الشرقيينَ لا سيَّما بعدَ ظهورِ الجماعاتِ العموريةِ في فلسطينَ، وكانت هذهِ اللغةُ لا تحتوي علىٰ نهاياتٍ إعرابيةٍ في الأسماءِ العبريةِ.

الطورُ العبريُّ الثاني «الكنعانيُّ» الذي تمثلَ في لغةِ العهدِ القديمِ، وهو الكتابُ المقدسُ عندَ اليهودِ، إذ دُوِّنَ العهدُ القديمُ بالخطِّ العبريِّ غيرِ المضبوطِ بالشكلِ، أي أنَّه اعتمدَ الصوامتَ في التدوينِ وأهملَ الحركاتِ، وفي هذهِ الحقبةِ التاريخيةِ من عمرِ اللغةِ العبريةِ كانَ العهدُ القديمُ يُتلىٰ بعدَ أنْ يُحفَظَ، فلم تكنْ هنالكَ نصوصٌ مدونةٌ تذكّرُ القارئَ بالنطقِ، ثمَّ أخذوا يستعملونَ بعضَ الحروفِ كعلاماتٍ للحركاتِ تساعدُهم علىٰ ضبطِ النطقِ وحفظِ الكلماتِ من التحريفِ، وكانتِ «الألفُ والهاءُ والواو» تقومُ بهذهِ الوظيفةِ[1].

وفي هذهِ المرحلةِ تأثروا بالقلمِ الآراميِّ، إذْ نشأَ عندهم نوعٌ جديدٌ من الرسمِ عُرفَ بـ«الرسمِ العبريِّ الحديثِ» أو «المربَّعِ»: الذي استُعملَ أولاً في الشؤنِ الَّدينيةِ، حتىٰ نهايةِ القرنِ الثاني ق.م. وفي القرنِ السادسِ الميلاديِّ استعملوا حروفَ العلةِ كعلاماتٍ

١. يُنْظَرُ: المدخل إلىٰ تاريخ اللغات الجزرية:٦٥.

للحركاتِ، وفي بدايةِ القرنِ الثـامنِ المـيلاديِّ اخترعـوا أبعاضَ الحروفِ كنظامٍ للحركاتِ يضارعُ ما موجودٌ في لغةِ العربِ، واتخذَ ثلاثَ طرقٍ:

١. طريقةَ طبريةَ: وترمزُ إلى أصواتِ المدِّ القصـيرةِ تحتَ الحروفِ.
٢. الطريقةَ البابليةَ أو العراقيـةَ ترمـزُ إلى أصـواتِ المدِّ فوقَ الحروفِ.
٣. الطريقةَ الفلسطينيةَ شـابهتِ الطريقـةَ العراقيـةَ لكنَّها تختلفُ في الصورةِ والدلالةِ.

الطورُ العبريُّ الثالثُ « الحديثُ»

فهي مادةٌ جديدةٌ أُعيدَ بناؤُها بصورةٍ جبريةٍ لتكـونَ لغةَ مجاميعَ بشريةٍ هي ليستْ لغتَهم ويرفضُ علمُ اللغـةِ الحديثُ أن تكونَ هذهِ وسـيلةَ التفـاهمِ الطبيعيـةِ لهـذهِ الجماعاتِ المتنافرةِ، فمن الناحيةِ الصوتيةِ تأثرتِ العبريةُ الحديثةُ باللغاتِ الأوربيةِ مثلاً إنَّ الصادَ باتـتْ تُنطَـقُ z إلى جانَبِ كونِ العبريةِ الحديثةِ مليئةً بالكلماتِ والألفاظِ والتراكيبِ والتعابيرِ الأوربيةِ[1].

ثانياً: المؤابيـةُ: وهـي لهجـةُ المـؤابيينَ نسـبةً إلى بـلادِ «مؤابَ) في الجنوبِ الشرقيِّ من البحـرِ الميـتِ، ويعـودُ أصلُ المؤابيينَ إلى نبيِّ الله لوطٍ (ع)، وأهمُّ ما وصلَ إلينا من بقايا هذه اللغةِ نقشُ الملـكِ المـؤابيِّ «ميشـعَ) الـذي سجلَ فيه حروبِه وغزواتِه لملكِ بني إسرائيـلَ، ويرجـعُ تاريخُـه إلى حـوالي«٨٥٠) ق.م. ولا تختلـفُ لغـةُ هـذا

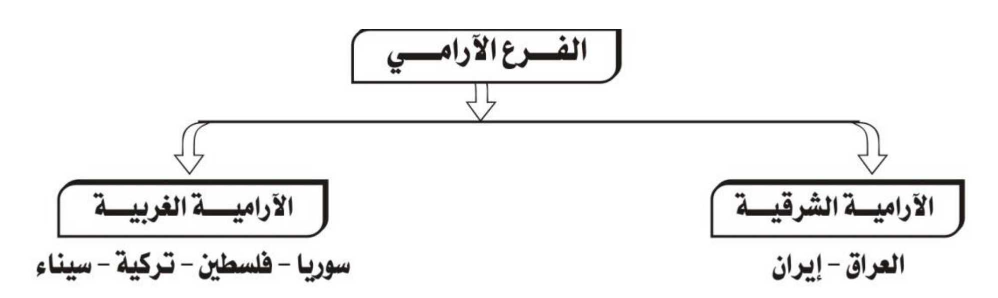
١ .يُنْظَرُ: علم اللغة العربية (حجازي):١٧١، والمدخل إلى تاريخ اللغات الجزرية:٦٩.

النقشِ أو أسلوبُه كثيراً عن لغةِ العهدِ القديمِ وأسـلوبِه، ومن المؤكَّدِ أنَّ اللغةَ في فهـمِ المـؤابيينَ تختلـفُ عنهـا في فهمِ اليهودِ من الناحيـةِ الصـوتيةِ، لأنَّ النقـوشَ تهمـلُ الحركاتِ أو بعضَ الأصواتِ وحتى نبرَ الصوتِ[1].

الفـرعُ الآرامـيُّ

وهو الفرعُ الثاني من اللغاتِ الغربيةِ الشماليةِ، ويضـمُّ هـذا الفـرعُ مجموعـةً مـن اللهجاتِ المتقاربةِ في بنيتِها اللغويةِ، وقد اتسعَ المجالُ الجغرافيُّ لهذا الفرعِ حتى شملَ كلَّ بلادِ الشامِ وفلسطينَ، فضـلاً عـن بـلادِ وادي الرافـدينِ وغـربِ جبـالِ أرمينـا وكردسـتان، وقـد سُـمّيَتْ هـذهِ البيئـةُ و منطقـةُ مـدائنِ الملـوكِ الساسـانيينَ «بلـدَ الآراميينَ» أو «بلدَ السريانِ»[2].

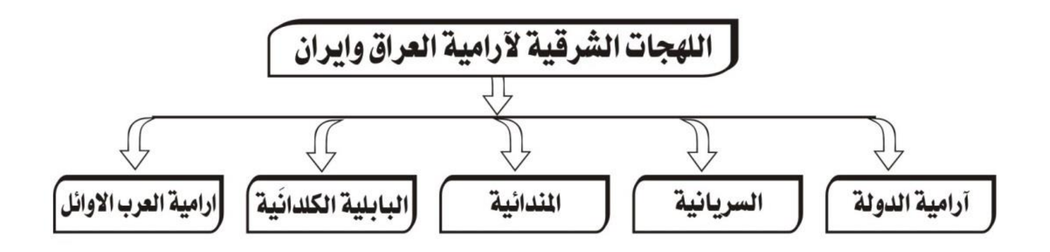
والآراميةُ، وهي لغةُ مَنْ تنقَّلَ في أطرافِ الجزيرةِ العربيَّـةِ بـالقربِ مـن الخليـجِ العربيِّ فضلاً عن مناطقِ جنوبِ سورية، وتقسمُ على قسمينِ: شرقيةٍ و غربيةٍ.



أما الشَّرقيةُ فشملتْ آراميةَ العراقِ وإيرانَ:

١.يُنْظَرُ: الأساس في فقه اللغة (هادي نهر):١١٩.

٢.يُنْظَرُ: الأساس في فقه اللغة العربية:١٢٠



ومن أهمِّ لهجاتِها[1]:

١. آراميةُ الدولةِ: وهي اللغةُ المستعملةُ في الكتاباتِ قبيلَ القرنِ السابعِ إلىٰ الخامسِ قبلَ الميلادِ، وسميتْ بهذهِ التسميةِ لأنّ الدولةَ الأخمينيةَ قد اعترفتْ رسمياً باللغةِ الآراميةِ كلغةٍ رسميةٍ للدولةِ.

٢. السريانيةُ وقيلَ هي الآثوريةُ إذْ أطلقتْ هذهِ التسميةُ علىٰ جماعةٍ من السريانِ النساطرةِ الذينَ يسكنونَ أورميةَ إيرانَ فضلاً عن مناطقِ شمالِ العراقِ وتركية، وكانوا يتكلمونَ اللهجةَ الآراميةَ العامةَ.

وبعد انقسامِ الكنيسةِ السريانيةِ انقسمتِ اللغةُ السريانيةُ علىٰ قسمينِ:

١. السريانِ الغربيين الذينَ خضعوا للإمبراطوريةِ اليونانيةِ الذينَ اعتنقوا مذهبَ «يعقوبَ بارادوس» القائلِ بوحدةِ المسيحِ، وقد عرفوا «باليعاقبةِ».

٢. السريانِ الشرقيين الذينَ خضعوا لسلطةِ الإمبراطوريةِ الايرانيةِ الذي اعتنقوا مذهبَ «نستوريوس» القائلِ بازدواجِ طبيعةِ المسيحِ «الطبيعةِ الإلهيةِ والطبيعةِ الإِنْسَانِيَّةِ» وعرفوا بالسناطرةِ.

ومن خصائصِها: استبدالُ صوتِ «ح» بـ «خ» والـ «هـ» بـ «ء»، وفقدانُ فِعلَي الماضي والمضارعِ والاستعاضةُ عنهما باسمَي الفاعلِ والمفعولِ.

٣. المندائيةُ: وهيَ لهجةٌ آراميةٌ شرقيةٌ ارتبطتْ بجماعةٍ دينيةٍ عُرفتْ

---

١. يُنْظَرُ: تاريخ اللغات السامية:١١٥، والأساس في فقه اللغة:١٢١.

باسمِ الصابئةِ، وللمندائيينَ كتابٌ مقدسٌ يعرفُ «جنزا» أي الكنز، وقد جمعوا في هذا الكتابِ ترانيمَهم الّدينيةَ وآراءَهم في الدينِ، وما زالَ المندائيونَ يتعاملونَ داخلياً بلهجتِهم الآراميةِ[1] ومن بعضِ خصائصِ هذهِ اللهجةِ[2]:

- عنايتُها الشديدةُ بأصواتِ المدِّ حتى أنها لم تتركْ صوتاً دونَ أنْ يُرمزَ إليهِ.
- استحالةُ صوتِ «الحاءِ» إلى صوتِ «الهاءِ» وقد يذوبُ هذا الصوتُ تاركاً محلَّه صوتَ الألفِ أو الفتحةِ، أو يتحولُ إلى ياءٍ.
- تكتبُ العينُ وتلفظُ همزةً أو هاءً.
- يحذفُ صوتُ الحاءِ من الكلمةِ تاركاً تشديدَ الحرفِ الذي سبقَه.
- تُبدَلُ القافُ كافاً مثلَ «كوشطا» «قسط» «قشتا».
- سقوطُ واوِ الجماعةِ من فعلِ الأمرِ.

٤. آراميةُ التلمودِ البابليِّ[3]: وهي الآراميةُ التي دُوِّنَ بها التلمودُ البابليُّ بالآراميةِ الشرقيةِ التي كانتْ سائدةً في العراقِ، إذْ ارتبطتْ هذهِ اللهجةُ بكتبِ اليهودِ المقدسةِ، فقد سلكَ علماءُ اليهودِ في بابلَ إلى شرحِ «المنشا» وهو نصٌّ دينيٌّ يهوديٌّ أُلِّفَ بعدَ سنةِ «٧٠» ميلاديةً حينَ انتهى آخرُ كيانٍ يهوديٍّ في فلسطينَ، بالآراميةِ في أسفارٍ عُرفتْ بـ«الجمارا».

٥. آراميةُ الكلدانِ: وهي اللغةُ التي يتكلمُ بها الكلدانيونَ في شمالِ العراقِ، وقد تأثرتْ هذه اللهجةُ كثيراً باللغةِ العربيَّةِ والكرديةِ والتركيةِ.

١. يُنْظَرُ: علم اللغة العربية:١٨٢-١٨٣.
٢. يُنْظَرُ: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية:٣٣
٣. يُنْظَرُ: علم اللغة العربية:١٦٩-١٧٠

٦. آراميةُ العربِ الأوائلِ: إذْ تكلمَ بها:

- **التدمريونَ**: ولهجتُهم قريبةُ الشبهِ باللهجةِ النبطيةِ التي كانتْ على صلةٍ تجاريةٍ معها، وقد تأثرتْ هذهِ اللهجةُ أيضاً باللغةِ اليونانيةِ و اللاتينيةِ، وذلكَ لكثرةِ الكلماتِ التي تعودُ إليهما مثلَ: جراماتس، أركونيا، سدقيا، هبطيقيا، بيلوطا[1] من خصائصِ هذهِ اللهجةِ:

 ١. أسماؤُهم عربيةٌ خالصةٌ.
 ٢. تمثلتْ كتاباتُهم بالألفاظِ والتعابيرِ العربيَّةِ.
 ٣. تضمنتْ بعضَ أسماءِ الأسرِ والقبائلِ قبلَها لفظةُ «بني) بمعنى «آل).

- والحضريون: هم من سكنوا مدينةَ الحضرِ في مدينةِ الموصلِ، من خصائصِ هذه اللهجةِ:

 ١. وجدَ كثيرٌ من الأسماءِ والأعلامِ العربيَّةِ.
 ٢. خلتْ من علاماتِ الإعرابِ.

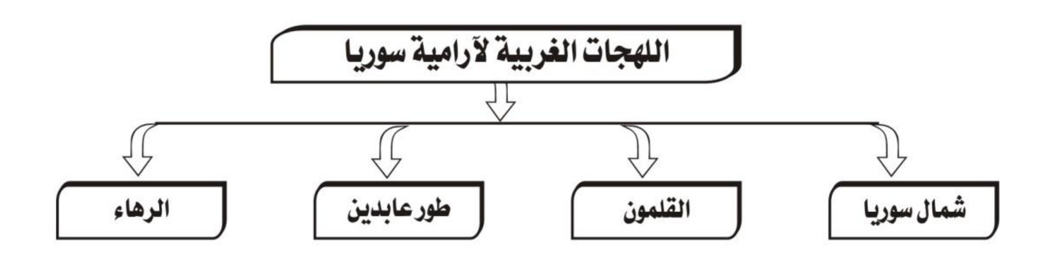
- والأنباطُ[2]: هم العربُ الذينَ سكنوا شرقَ الأردنِ وسينا وشمالَ بلادِ العربِ، عُرفَ عنهم الخطُّ النبطيُّ الذي امتازَ بالميلِ إلى ربطِ الحروفِ مع بعضِها، فضلاً عن قراءةِ السينِ شيناً مع وجودِ حرفِ السينِ، واستعمالِ التاءِ محلَّ الطاءِ والعكسِ. كما تُدغَمُ الغينُ والخاءُ عندَ اجتماعِهما، استعملوا الإعرابَ بحركاتِه الضمةِ والفتحةِ والكسرةِ. ليسَ للتنوينِ وجودٌ في النبطيةِ، غالبيةُ أسماءِ الأنباطِ عربيةٌ «حسنو) حسن، «لطفو) لطف، أداةُ التعريفِ فيها هي الألفُ الممدودُ بنهايةِ الاسمِ «نفشا) نفس.

---

١. يُنْظَرُ: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية: ٣٤.
٢. يُنْظَرُ: علم اللغة العربية: ١٨١-١٨٢.

تصغيرُ الأسماءِ عندهم يكونُ باستعمالِهم وزنَ «فُعَيلٍ وفُعَيلتٍ) بضمِّ الفاءِ وفتحِ العينِ.

أما الغربيةُ ومن لهجاتِها «آراميةُ سوريا، وفلسطينية، وتركية، وآرامية سينا)



آراميةُ سوريا

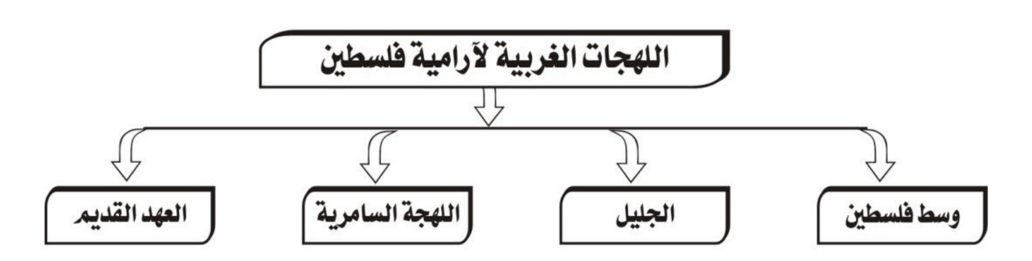
- آراميةُ دويلاتِ شمالِ سوريا: وهي أقدمُ اللهجاتِ الآراميةِ التي وصلتْ من خلالِ التماثيلِ والهياكلِ وما دوِّنَ على الصخورِ، إذْ تعدُّ مدوَّناتُ الملكِ شمئلَ من أقدمِ المدوناتِ التي تمثلُ دويلاتِ سوريا من القرنِ الثامنِ قبلَ الميلادِ. ومن خصائصِ هذهِ اللهجةِ: استعمالُها صوتَ «القافِ) الذي تحولَ في اللهجاتِ الأخرى إلى صوتِ «العينِ) مثالُ ذلكَ كلمةُ «أرقا) بمعنى «الأرض) إلى «أرعا).[1]
- آراميةُ قرى منطقةِ القلمونَ: وهي لهجةٌ آراميةٌ حديثةٌ يتكلمُ بها الآنَ بعضُ قرى هذه المنطقةِ لاسيَّما قريةُ معلولة، وتتميزُ يقلبِها القافَ إلى كافٍ في كثيرٍ من الألفاظِ.
- آراميةُ طورِ عابدينَ: وهي لهجةٌ حديثةٌ، تُعرَفُ بالطورانيةِ يتكلمُ بها

١. يُنْظَرُ: علم اللغة العربية: ١٧٣.

سكانُ المنطقةِ الجنوبيةِ الشرقيةِ من تركيا، وتحتوي هذه اللهجةُ على كثيرٍ من الكلماتِ العربيَّةِ والكرديةِ والتركيةِ، و تستعيضُ عن الفعلِ الماضي والمضارعِ باسمَي الفاعلِ والمفعولِ.

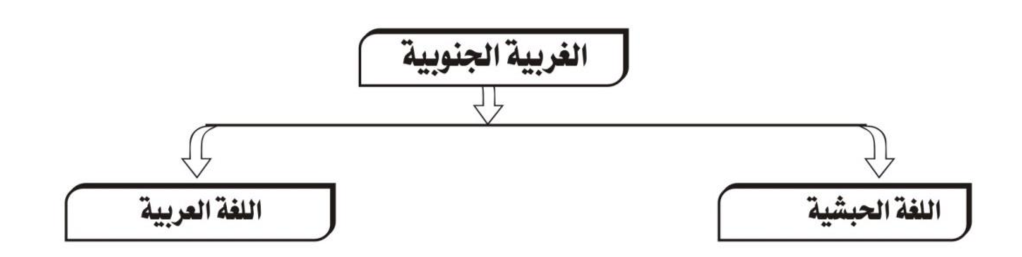
- آراميةُ الرهاءَ «أديسا) وتُعرَفُ أيضاً بالسريانيةِ، ومن سماتِها مدُّهم للحرفِ «أ) الطويلِ إلى «واوٍ طويلةٍ)، الشرقيون يقولونَ «الاها«الله) والغربيون يقولون «الوهو) دونَ تشديدٍ.

آراميةُ فلسطينَ:



- آراميةُ وسطِ فلسطينَ: وهي اللهجةُ التي كانت سائدةً في العهدِ الرومانيِّ وقد جاءتْ متأثرةً بالعبريةِ.
- آراميةُ الجليلِ: وهي مشابهةٌ للسابقةِ.
- اللهجةُ السامريةُ: وهي لهجةٌ تكلمَ بها قومٌ كانوا بالأصلِ من اليهودِ وانفصلوا عنهم في أواخرِ القرنِ الثامنِ ق.م. وهذه اللهجةُ في الحقيقةِ خليطٌ من آراميةِ سوريا وبابلَ، وقيلَ إنَّ لهجتَهم لم تختلفْ كثيراً عن آراميةِ وسطِ فلسطينَ والجليلِ، ومن خصائصِ هذهِ اللهجةِ أنَّ أصواتَ الحلقِ) الحاءَ والهاءَ والعينَ، تُلفظُ همزةً.
- آراميةُ أسفارِ العهدِ القديمِ: تتمثلُ هذهِ الآراميةُ بالفصولِ المدونةِ بالآراميةِ من العهدِ القديمِ من أسفارِ عزره ودانيال.

الغربيةُ الجنوبيةُ
ومن لغاتِها /الحبشيةُ والعربيَّـةُ



أولاً: الحبشيةُ قيلَ: هي لغةُ القبائلِ العربيَّـةِ التـي هـاجرتْ مـن جنـوبيِّ الجزيـرةِ العربيَّـةِ، وأهمُّ هذهِ القبائلِ، قبيلةُ حبشت وقبيلةُ الأجعازي، وسُمّيَتْ هـذهِ المنطقـةُ بالحبشةِ نسبةً إلى القبيلةِ الأولى، ولعلَّ أصلَ أقوامِ هذهِ البيئةِ جعلَ منها بيئةً ساميّةً.

وقيلَ إنَّ العشائرَ اليمنيةَ التـي هـاجرتْ إلى الحبشـةِ قـد امتزجـتْ مـع السـكانِ الأصليينَ في هذهِ البيئةِ اللغويةِ، وأثرتْ فيهم لغوياً، إذْ تركتِ اللغةُ اليمنيـةُ القديمـةُ آثارَها الواضحةَ على اللهجـةِ الحبشـيةِ، ويمكـنُ أنْ نلحـظَ هـذا التـأثرَ في المسـتوى الصوتيِّ والتركيبيِّ فضلاً عن المفرداتِ، وإلى جانبِ ذلـكَ ظلَّ الخطُّ السبئيُّ والحبشيُّ يُستعملانِ معاً مدةً طويلةً[1].

أشهرُ اللهجاتِ الحبشيةِ

اللهجةُ الجعزيةُ: التي تُعرف بالحبشيةِ القديمةِ، وقد عُثرَ عـلى نقوشِـها في منطقـةِ «كيسومَ» وتُنسبُ نقوشُها إلى الملكِ «عَزانَا» والملكِ «آل عميد» وقد اميت هذهِ اللغةُ

١. يُنْظَرُ: الأساس في فقه اللغة:١٢٨،

بعدَ قيامِ مملكةِ «كوا) الأمهريةِ[1] ومن خصائصِها: كُتبتْ بخطٍّ مقطعيٍّ يتكونُ من «١٨٢) رمزاً أي لكلِّ صوتٍ صامتٍ معَ الحركةِ التَّاليةِ رَمزٌ مُستقلٌ، وعددُ رموزِها ٢٦ صوتاً صامتاً، ولها سبعُ حركاتٍ هي، فتحةٌ قصيرةٌ، وفتحةٌ طويلةٌ، وفتحةٌ مُمالةٌ طويلةٌ، وفتحةٌ قصيرةٌ ممالةٌ، وضمةٌ طويلةٌ، وضمةٌ قصيرةٌ، وكسرةٌ طويلةٌ. تُستعملُ الفتحةُ في النصبِ «نيكوشا) ملك، والضمةُ في حالةِ الرفعِ «نيكوش) والجمعُ «نيكوشان)، والتأنيثُ بإضافةِ التاءِ «نيكشت)، يكونُ التعريفُ بإضافةِ «يا) نقولُ: ساو «رجل) ياساو «الرجل).

مرَّ الخطُّ الجعزيُّ بثلاثةِ أطوارٍ:

- الطورِ الذي خلتْ فيه الكتاباتُ من الحركاتِ
- الطورِ الذي ظهرتْ به الحركاتُ.
- الطورِ الذي ظهرتْ به الحركاتُ شبيهةً بتلكَ الحركاتِ الموجودةِ في الكتاباتِ المتأخرةِ.

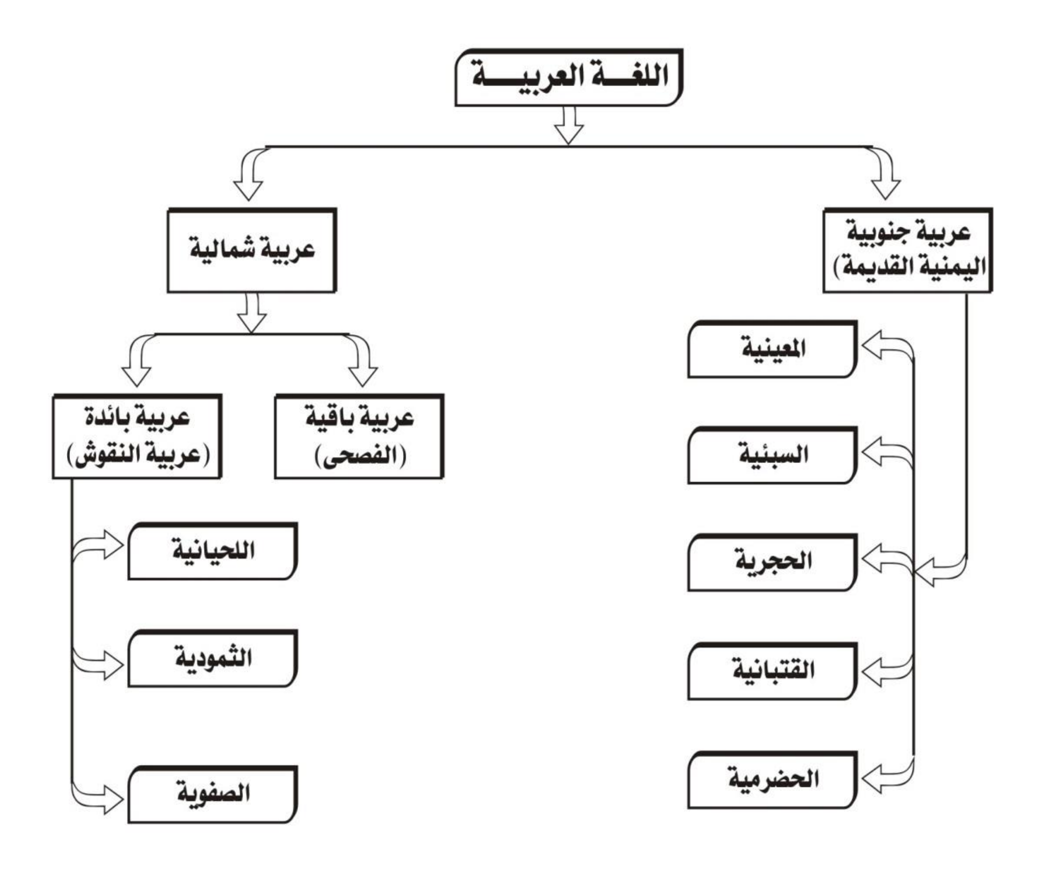
اللهجةُ الأمهريةُ وهي اللهجةُ المستعملةُ بينَ العامةِ والخاصةِ في أغلبِ مناطقِ الحبشةِ إلى يومِنا هذا، وقيلَ إنَّ هذهِ اللغةَ تعودُ إلى أصلٍ جزريٍّ، غيرَ أنَّها أشدُّ تأثراً باللغةِ الحاميّةِ، لأنَّ أغلبَ مفرداتِها مأخوذةٌ عن الحاميّةِ الكوشيّةِ[2] ومن خصائصِ هذهِ اللهجةِ، وجودُ أصواتِ الحلقِ «الهاءِ والهمزةِ)، استعارتُها لكثيرٍ من الكلماتِ الأفريقيةِ من البيئاتِ المجاورةِ.

الضمائرُ في اللغةِ الحبشيةِ: أَنَا...أَنَا، أنتِ...أنتِ، يعيتو.. هو يعيتي...هي «ينحنا...نحن) أنتيمو...أنتم وأنتنَّ «أيونتو هم) أيمأنتو ويعيتون هن.

ومن أسماءِ الإشارةِ: «زه:ذا) « زا:ذه هذه) «زيكتو و زيكوتو: ذلك) «اينتاكي و اينتيكو: تلك) «ايلليكتو: هؤلاء)

١.يُنْظَرُ: فصول في فقه اللغة:٢٧.

٢.يُنْظَرُ: فقه اللغات السامية:٣٤.



العربيَّـةُ الشِّماليةُ وتتقسمُ على قسمينِ: بائدةٍ وباقيةٍ العربيَّـةُ الباقيةُ فهي الفُصحى

لم تَعرفِ العربيَّـةُ التدوينَ الواسعَ، فليسَ هناكَ آثـارٌ أو نقـوشٌ كثـيرةٌ تـدلُّ عـلى نشاطٍ لغويٍّ متكاملٍ، وفي ضوءِ هذا النقصِ في الآثـارِ المدوَّنـةِ يجـدُ الـدارسُ نفسَـه مضطراً إلى البحثِ عن الآثارِ الشفهيةِ التي نُقلتْ عن العربيَّــةِ إذ تمثلـتْ أساسـاً في الشعرِ الجاهليِّ المتداوَلِ بالحفظِ والروايةِ.

ومن خلالِ هذا المـرويِّ و النظـرِ بتلـكَ النصـوصِ الجاهليـةِ القديمـةِ والآثـارِ اللغويةِ التي جُمعتْ من بيئاتِها اللغويةِ نجدُ أنَّ اللغـةَ العربيَّــةَ هـي إحـدى اللغـاتِ

العروبيةِ، التي تربطُها بأخواتِها العروبياتِ خصائصُ مشتركةٌ، وقد بقيتْ أقربَ تلكَ اللغاتِ إلىٰ الأصلِ، إنْ كانتْ أحدثَها نشأةً و تاريخاً، وذلكَ لموقعِ العربِ في بيئتِهم الصحراويةِ، فلمْ تتعرضْ إلىٰ ما تعرضتْ له اللغاتُ العروبيةُ الأخرىٰ من الاختلاطِ والتميع. إلاّ أنّ بدايةَ هذهِ اللغةِ مازالتْ غيرَ معروفةٍ من حيثُ الاستعمالُ اللغويُّ لها عندَ العربِ، وجلُّ ما نعرفُه أنَّ هناكَ لغتينِ تفرَّعتْ عنهما سائرُ اللهجاتِ العربيَّةِ، هما لغةُ الجنوبِ أو اللغةُ الحميرية، ولغةُ الشمالِ وهي اللغةُ المضريةُ.

لغةُ الجنوبِ و لغةُ الشمالِ: قسمتْ هذهِ اللغةُ علىٰ قسمينِ و وسمَ كلُّ قسمٍ منها باسمِ البيئةِ الجغرافيةِ التي تمثلتْ بها، فثمةَ لغةٌ يمنيةٌ جنوبيةٌ و حجازيةٌ شماليةٌ، فكانتْ لغةُ اليمنِ القحطانيةِ تختلفُ عن لغةِ الحجازِ العدنانيةِ، في الأوضاعِ و التصاريفِ و أحوالِ الاشتقاقِ، وكانتْ لغةُ اليمنِ أكثرَ اتصالاً باللغةِ الحبشيةِ و الأكديةِ، و تعرفُ بالعربيَّةِ الجنوبيةِ و موطنُها اليمنُ بلادُ العربِ الجنوبيةُ، ويُطلق عليها اسمُ «اليمنيةِ القديمةِ» أو «القحطانيةِ» ويرىٰ بعضُ الباحثينَ[1] أن هذه اللغةَ ليست من اللغةِ العربيَّةِ في شيءٍ، علىٰ الرغمِ من أنّها تؤلفُ معها شعبةً لغويةً واحدةً، وذلك اعتماداً علىٰ ما وردَ عن أبي عمروِ بنِ العلاءِ الذي قالَ: «ما لسانُ حميرٍ وأقاصي اليمنِ بلسانِنا ولا عربيتُهم بعربيتِنا» ونحنُ لا نسلّمُ بهذا القولِ كونَ اللغةِ العربيَّةِ الجنوبيةِ فيها من الخصائصِ اللغويةِ المشتركةِ فضلاً عن الأصلِ الواحدِ الذي صدرتْ عنه اللغةُ العربيَّةُ بفرعيها «القحطانيِّ والعدنانيِّ».

ومن لهجاتِها، المعينيةُ: نسبةً إلىٰ المعينينَ الذينَ أنشأوا في جنوبِ اليمنِ أقدمَ مملكةٍ في بلادِ العربِ، وقد وصلتْ لهجتُهم عن طريقِ النقوشِ[2].

والسبئيةُ: نسبةً إلىٰ السبئينَ الذينَ أقاموا علىٰ أنقاضِ المعينينَ مملكةَ سبأٍ، وقد

---

١. يُنْظَرُ: فقه اللغة للدكتور علي وافي:٨٦.

٢. يُنْظَرُ: دراسات في تاريخ العرب قبل الإسلام (الدكتور منذر البكر):١٦٩.

عُثِرَ علىٰ نقوشِ هذهِ اللهجةِ في منطقةِ مأربٍ[1].

والحجريةُ القديمةُ، والقتبانيةُ[2]، والحضرميةُ: وهذهِ لهجاتٌ قديمةٌ أتتْ عليها اللهجةُ السبئيةُ، وقد وصلتْ إلينا عن طريقِ النقوشِ أيضاً.

ومن أهمِّ خصائصِها: كُتبتْ بالخطِّ المسندِ، انتهاءُ الجمعِ السالمِ بالميمِ «حميرم»: الحميريون، والمؤنثِ السالمِ بالياءِ، أداةُ التعريفِ فيها النونُ، ذي مسندن: هذا المسند. وأداةُ التنكيرِ هي الميمُ، امسدم: جندي، واستعمالُ الواوِ للعطفِ، وحروفُ الجرِّ «ين، بعد، لن، عم بمعنىٰ«مع) عد بمعنىٰ«حتىٰ) إلىٰ)) عددُ حروفِ الهجاءِ فيها «٢٩ حرفاً)، إلا أنها استغنتْ عن حروفِ المدِّ[3].

و أمّا لغةُ الحجازِ فهي أكثرُ اتصالاً باللغةِ العبريةِ و النبطيةِ. لأننا ومن خلالِ التقسيمِ نجدُها تقسمُ علىٰ قسمينِ: الباقيةِ «وهي العربيَّةُ الفصحىٰ) و البائدةِ وهي عربيةُ النقوشِ تكلمتْ بها قبائلُ عربيةٌ سكنتْ الحجازَ علىٰ مقربةٍ من حدودِ الآراميينَ، وقد بادتْ هذهِ اللغةُ قبلَ الإسلامِ، ولم يصلْ منها سوىٰ النقوشِ التي عُثرَ عليها في مساحةٍ واسعةٍ تمتدُّ من دمشقَ إلىٰ مدائنِ صالحٍ، وقد عُرفتْ نقوشُها باللحيانَيةِ[4]، نسبةً إلىٰ قبائلِ لحيانَ، والثَّموديةِ نسبةً إلىٰ ثمودَ التي وردَ ذكرُها في القرآنِ الكريمِ، والصفويةِ[5] نسبةً إلىٰ منطقةِ الصَّفا علىٰ مقربةٍ من جبلِ الدروزِ. وقد دلت الكتاباتُ علىٰ أن أصحابَ هذهِ البيئةِ كانوا من الجاهليةِ ففيهم أسماءُ مثلَ «عبدُ مناة، وعبدُ إيل، وعبدُ يغوث، وتيمُ اللاتِ) ومن خصائصِها أيضاً: عددُ حروفِها ٢٨ حرفاً، فيها ضمائرُ متصلةٌ و منفصلةٌ فضلاً عن أسماءِ الإشارةِ فيها حروفٌ للعطفِ «و، ف، ل) أما حروفُ الجرِّ فهي «الباءُ، وعن، وعلىٰ، ومن) كلماتُها خاليةٌ

---

١ يُنْظَرُ: المصدر نفسه:٢١٣، و دراسات في فقه اللغة:٥٢.

٢.يُنْظَرُ: دراسات في فقه اللغة:٥٢-٥٤.

٣.يُنْظَرُ: الأساس في فقه اللغة العربية و أرومتها:١٢٨

٤.يُنْظَرُ: دراسات في فقه اللغة:٥٦.

٥.يُنْظَرُ: المدخل إلىٰ تاريخ اللغات الجزرية:٥٠

من النقطِ وهذا ما يشكّلُ صعوبةً في القراءةِ. استعمالُ الفعلِ الماضي والمضارعِ والأمر، وقد استعملوا الخطَّ النبطيَّ في كتاباتِهم أو ما كانَ مشتقاً منهُ.

وقد ذهبَ بعضُ العلماءِ إلى أنَّ لغةَ الجنوبِ القحطانيةَ كانتْ أصلاً من أصولِ العدنانيةِ، واعتمدوا على النقوشِ المكتشفةِ حديثاً في اليمنِ، فقد وجدوا فيها عباراتٍ تتفقُ والعربيَّةَ المضريةَ لفظاً وتركيباً. ففي أقدمِ النقوشِ مئاتٌ من الكلماتِ المشتركةِ بين اللغتينِ وبعضُها مطابقٌ في رسمِه ومعناهُ لما في اللغةِ العربيَّةِ مثلَ أخٍ، أختٍ، وثنٍ، شِبلٍ، أسدٍ، شهرٍ.....

وقد تطورت اللغةُ المضريةُ الحجازيةُ بالتمازجِ و الاختلاطِ حتى وصلتْ إلى الحالةِ التي رأينا صورتَها في الأدبِ العربيِّ الجاهليِّ وفي القرآنِ الكريمِ، وإليكَ الخطواتِ التي خطَّتْها في سبيلِ اكتمالِها:

١. اختلاطُ الحميريةِ بالعدنانيةِ: لقد ثبتَ أنَّ قبائلَ جنوبيةً هجرتْ ديارَها وانتشرتْ في الحجازِ وشماليِّ الجزيرةِ قبلَ الميلادِ، وثبتَ أنَّ عربَ الجنوبِ كثيراً ما ارتادوا الَّديارَ الشماليةَ للاتّجارِ، واختلطَ القحطانيونَ بالعدنانيينَ اختلاطاً شديداً، وتقاربت اللغتانِ الحميريةُ و المضريةُ للتفاهمِ، واشتدَّ التفاعلُ و التطورُ مدةَ خمسةِ قرونٍ تقريباً. وقد تغلبتِ المضريةُ العدنانيةُ أخيراً على الحميريةِ القحطانيةِ لانهيارِ دولةِ الجنوبِ، ولأنَّ المضريةَ من أكثرُ اتساعاً، وأكثرُ انفتاحاً على الحضارةِ وأسبابِها.

٢. اللهجاتُ القبليةُ: وكانَ للقبائلِ العربيَّةِ لهجاتٌ مختلفةُ الفروعِ متحدةُ الأصولِ، فمن ذلكَ كانَ الإبدالُ كقولِهم في «الخِباءِ» «الخِباع» ومنها كانَ بتقديم بعضِ أحرفِ الكلمةِ كقولِهم «الصاعقة» و «صاقعة»، ومن ذلكَ ما كانَ في أوجُهِ الإعرابِ كنصبِ خبرِ ليسَ عندَ الحجازيينَ مطلقاً ورفعِه عند تميمٍ إذا اقترنَ الخبرُ «بإلاّ» وإلى غيرِ ذلكَ من الظواهرِ اللغويةِ الخلافيةِ.

٣. اللغةُ الانتقائيةُ: وتكونتْ بجانبِ اللغاتِ القبليةِ المختلفةِ التي تنطقُ بها كلُّ قبيلةٍ ولا يعسرُ فهمُها على سائرِ القبائلِ، لغةٌ مثاليةٌ خاليةٌ من العيوبِ و الهفواتِ هي لغةُ المجتمعاتِ الأدبيةِ، ولغةُ الشعرِ والخطابةِ، انصهرتْ فيها جميعُ اللهجاتِ و اللغاتِ العربيَّةِ. وتكونتْ من أحسنِ ما في تلكَ اللغاتِ من عناصرَ، ونفضتْ عنها جميعَ العيوبِ التي وَسمتْ سائرَ اللهجاتِ، فبرزتْ أحسنَ بروزٍ في القرآنِ الكريمِ وفي ما وصلَنا مِن الأدبِ الجاهليِّ الرفيعِ. وقد طغتْ على تلكَ اللغاتِ المثاليةِ لهجةُ قريشٍ لأسبابٍ سنأتي على ذكرِها، وكانتْ لهجةُ قريشٍ أقلَّ اللهجاتِ عيوباً وأفصحَها بياناً.

أسبابُ تكوينِ هذهِ اللغةِ الأدبيةِ «العربيَّةِ المشتركةِ»

أ. الأسواقُ: كانَ العربُ يختلفونَ إلى تلكَ الأسواقِ في أوقاتٍ معيَّنةٍ لشؤونٍ تجاريةٍ و قضائيةٍ و أدبيةٍ و نَسَبيةٍ و غيرِها وهي أمكنةٌ شتى في الجزيرةِ العربيَّةِ، ومن أشهرِها سوقُ عُكاظٍ قربَ مكةَ، ومجنّةٌ وذو المجازِ وكلاهما في ضواحي مكةَ المكرمةِ. أمّا سوقُ عكاظٍ فهي مِلكةُ الأسواقِ، وكانتْ تُقامُ من أولِ ذي القعدةِ إلى العشرينَ منهُ، وكان يجتمعُ فيها الأشرافُ و الزُّعماءُ للمتاجرةِ و المنافرةِ و التحكيمِ في الخصوماتِ و أداءِ الحجِّ. فكانَ للأسواقِ أثرٌ بليغٌ في توحيدِ اللسانِ وتعميمِ اللغةِ المثاليةِ، و تغليبِ لغةِ قريشٍ على سائرِ اللغاتِ، لأنَّ أشهرَ الأسواقِ كان في بلادِهم.

ب. قريشٌ: كانتْ مكةُ محطّاً للقوافلِ من عهدٍ عهيدٍ، وكانتْ موطنَ قريشٍ موضوعَ إجلالٍ للعربِ لما ورثتْه من شرفٍ و سؤددٍ وثراءٍ، كما كانتْ مقامَ الكعبةِ يفدُ إليها الحجاجُ من كلِّ الآفاقِ. فكانَ لقريشٍ نصيبٌ وافرٌ في توحيدِ اللغةِ، تهذّبُ لهجتَها بما تأخذُه من لغاتِ القبائلِ الوافدةِ على بلادِها، مما خفَّ على اللسانِ و عذُبَ في السمعِ، وكانَ العربُ يقلّدونَ لسانَها، الشعراءُ و

الخطباءُ يؤثِرونَ ما هو من ذلكَ اللسانِ لأنَّ أهمَّ الأسـواقِ كانـتْ في قـريشٍ والمحكَّمين فيها منهم أحياناً كثيرةً، وكانَ الشعرُ ينتشرُ في تلـكَ الأصـقاعِ في جميعِ أنحاءِ البلادِ حاملاً إليها لهجةَ قريشٍ وأسلوبَها.

ت. الحضاراتُ المتاخمةُ: لم ينحصرِ العربُ في جزيـرتِهم بمعـزلٍ عـن الحضـاراتِ المتاخمةِ، بل كانوا دائماً في احتكاكٍ مع من جاورَهم. فأُضيفتْ إلى لغـةِ عـدنانٍ ثروةُ الحضارةِ القحطانيةِ و حضارةُ مصرَ و فـارسَ و الـرومِ و الحبشـةِ عـن طريقِ التجارةِ أو عن طريقِ التنافسِ بين الحيرةِ و غسانٍ، والفـرسِ و الـرومِ من ورائِهما. فكانتِ اللغةُ تُواصلُ تطورَها مكمّلةً ما ينقصُها بـما تأخـذُه مـن لغاتِ تلكَ الحضاراتِ الواسعةِ النطاقِ.

وهكذا وصلتِ اللغةُ العربيَّـةُ إلى عصرِ الأدبِ الجاهليِّ، راقيةً، مـزوَّدةً بمحاسـنِ لغاتٍ عديدةٍ و حضاراتٍ كثـيرةٍ، تسـتطيعُ التعبـيرَ عـن كـلِّ شيءٍ و الإفصـاحَ عـن خلجاتِ النفوسِ و لواعجِ الصـدورِ، و تصـويرَ المنـاظرِ و الخـواطرِ، ومـا أنْ ظهـرَ القرآنُ الكريمُ حتى ثبّتَها وعملَ على حفظِها بـالرغمِ مـن تقلبـاتِ الأيـامِ وأحـداثِ الأزمانِ.

اللغةُ العربيَّـةُ والآثارُ المنقولةُ:

المقصودُ بالأثارِ المنقولةِ النصوصُ اللغويةُ الاستعماليةُ سواءً في اللغةِ النفعيةِ «لغةِ الاستعمالِ اليوميِّ أو اللغةِ الأدبيةِ، إذْ تمثلتِ اللغةُ العربيَّـةُ بهـذينِ الأثـرينِ لتحديـدِ تاريخِها وخصائصِها وملامحِها اللغويةِ. والأثـرُ الأكثـرُ دورانـاً في لغـةِ العـربِ قبـلَ الإسلامِ هو الشعرُ الجاهليُّ وعلى الرغمِ ممّا صاحبَه من شكوكٍ وسلامةِ الأثرِ المنقولِ، إلاّ أنَّ الاعتمادَ على نصوصِه بحسبِ توثيقِ الرواةِ وعلماءِ اللغةِ يعودُ بالفائدةِ الكبرى على دراسةِ اللغةِ العربيَّـةِ الفصحى وتبيُّنِ أصولِها قبلَ نزولِ النصِّ القرآنيِّ.

وبالنظرِ إلى طبيعةِ التناقلِ الشفهيِّ الذي وسمَ تداولَ الشـعرِ الجـاهليِّ صـارَ مـن الصعوبةِ بمكانٍ افتراضُ تاريخٍ بالقدمِ قبلَ ظهورِ الإسلامِ تعييناً لأيِّ بدايةٍ على وجهِ

التحديدِ، ولذلكَ يقدّرُ الباحثونَ أنَّ نصوصَ الشعرِ الجاهليِّ لا تبتعدُ عن ظهورِ الإسلامِ «بدايةِ نزولِ القرآنِ سنةَ ٦١٢م) بأكثرَ من ثلاثةِ قرونٍ ونصفِ القرنِ أو قرنينِ على أبعدِ تقديرٍ.

وبناءً على تلكَ المعطياتِ تكونُ العربيَّةُ الفصحى التي مثّلتْها تلكَ النصوصُ غيرَ بعيدةٍ عن ظهورِ الإسلامِ، أمّا المراحلُ التي سلختْها من تاريخِها حتى انتهتْ إلى ما وصلتْ إليهِ من الاكتمالِ، فليسَ من المتيسِّرِ التعرفُ عليهِ.

ومن خلالِ الاستعمالِ اللغويِّ اصطلحتِ القبائلُ العربيَّةُ على لغةٍ مشتركةٍ متداولةٍ في أنحاءَ واسعةٍ امتدتْ من اليمنِ حتى الفراتِ، وللعربِ في نشوءِ هذهِ اللغةِ الفصحى رأيٌ يذهبُ إلى أنّها عينُ اللهجةِ القُرَشيةِ لأنَّ قريشاً كانتْ أجودَ العربِ انتقاءً للفصيحِ، وأصرحَها لبُعدِها عن بلادِ العجمِ.

آراءُ المستشرقينَ في أصلِ العربيَّةِ الفصحى[1]

لقد ذهبَ المستشرقونَ في أصلِ العربيَّةِ مذاهبَ شتّى، فـ«نولدكه»، يرى أنَّ الفصحى تركبتْ من اللهجاتِ الأساسيةِ في جزيرةِ العربِ كالحجازِ ونجدٍ وإقليمِ الفراتِ، لأنَّ الاختلافَ بين هذهِ البيئاتِ قليلٌ، وذهبَ جويدي إلى هذا المعنى.

أما **نالينو** فذهبَ إلى أنَّها تولدتْ من إحدى اللهجاتِ النجديةِ وتهذبتْ في زمنِ مملكةِ كندةَ ثم صارتِ اللغةَ الأدبيةَ السائدةَ بينَ العربِ. أما **فيشر** فقد ذهبَ إلى أنّها لهجةٌ معينةٌ ولكنّه لم ينسبْها إلى أيَّةِ قبيلةٍ من قبائلِ العربِ. ويرى **فولرز** أنّها لهجةُ أعرابِ نجدٍ واليمامةِ وقد أدخلَ الشعراءُ عليها تغييراتٍ كثيرةً، وزعمَ أنَّ بقيةَ بلادِ العربِ كانتْ تتكلمُ لغةً مخالفةً.

وهناكَ من زعمَ بأنَّ الفُصحى لم تكنْ لغةَ كلامٍ بل هي لغةٌ فنيةٌ قائمةٌ فوقَ

١. يُنْظَرُ: فصول في فقه اللغة (رمضان عبد التواب).:٧٦-٧٧.

اللهجاتِ وإن غذّتْها جميعاً، كبروكلمان، ومارسيه.

ويرىٰ أغلبُ الدارسينَ والباحثينَ بأنَّها لغةٌ انتقائيةٌ مشتركةٌ تشكلتْ أصولُها وتوضحتْ مقاييسُها لدىٰ قبيلةِ قريشٍ، ويرىٰ الدُّكتورُ رمضان عبد التوّاب أنَّ اللغةَ العربيَّةَ المشتركةَ ليستْ لهجةَ قريشٍ وحدَها بدليلِ وجودِ الهمزِ فيها وقريشٌ لا تهمزُ. ويرىٰ الدُّكتورُ تمّام حسّان أنَّ الفصحىٰ لغةُ العربِ جميعاً نمتْ في المجتمعِ العربيِّ في عمومِه لا في قبيلةٍ بعينِها، وتقبّلتْ في نموِّها عناصرَ لغويةً من جميعِ اللهجاتِ العربيَّةِ حتىٰ بدتْ قريبةً إلىٰ كلِّ لهجةٍ، ونحنُ نذهبُ هذا المذهبَ لأنَّ الأساسَ الَّذي قامَ عَلَيهِ الوصفُ والتحديدُ هو الانعزالُ في كَبِدِ الصَّحراءِ وعَدَمُ الاتصالِ بالأجانبِ قَدْ تَبَدَّدَ إذا مَا عَلِمْنَا أنَّ قُرَيْشَاً_ الَّتي وَصَفَهَا الفارابيُّ ومَن قالَ بقولِه فيما بعدُ «في أول نصِّهِ من كتابِه الحروفِ/ ١٤٥)_ كانَ لها في الجاهليةِ مِن اتصالٍ ببلادِ الشامِ واليمنِ وبالعراقِ وبالحبشةِ فَضْلاً عَن وُجودِ جالياتٍ أعجميةٍ وعددٍ كبيرٍ مِنَ الرَّقِيقِ بينهم، وَمَا وجودُ المُعَرَّبَاتِ في لُغَتِهم إلا حُجَّةٌ علىٰ تأثرِ لسانِهم بالأعاجمِ وأخذِهم منه فكيفَ تكونُ هيَ اللغةَ الفصحىٰ أو هي مَن تمثّلتْ بها العربيَّةُ المشتركةُ؟.

خصائصُ اللغاتِ العروبيةِ والمثالُ العربيُّ «في العربيَّةِ الفصحى)

عنيتْ كتبُ النحوِ المقارنِ في اللغاتِ السَّاميةِ/ وكلُّها كتبٌ أوربيةٌ/ ببيانِ الخصائصِ التي تتّسمُ بها اللغاتُ العروبيةُ، ومن الطبيعيِّ أنْ تتناولَ هذهِ الدراساتُ الجوانبَ الصوتيةَ، والصرفيةَ، والنحويةَ، والمعجميةَ.

في الصوتِ[1] :

وقد لاحظَ الباحثونَ الغربيونَ أنَّ اللغاتِ العروبيةَ تضمُّ مجموعةَ أصواتٍ لا توجدُ في اللغاتِ الأوربيةِ، ولذلكَ بيّنوا وجودَ هذه الأصواتِ في حديثِهم عن الخصائصِ العامةِ للغاتِ العروبيةِ، والمقصودُ بهذِهِ الأصواتِ مجموعةُ أصواتِ الحلقِ وهذا أهمُّ ما يميّزُ اللغاتِ العروبيةَ وهو احتواؤُها على مجموعةٍ من الأصواتِ اللغويةِ الخاصةِ بها، بحيثُ يندرُ أنْ ترى نظيرَها في اللغاتِ الأوربيةِ أو غيرِها، و الأصواتُ هيَ: أصواتُ الحلقِ «ع، غ، ح، خ، ه، ء» وهيَ تلكَ الأصواتُ التي تخرجُ من الحلقِ:

حروفُ الحلق		
ع تغيرُ إلى	ء	الأكادية
ح تغيرُ إلى	هـ > ء	الأكادية
خ تغيرُ إلى	ح	العبريةَ والآراميةَ
غ تغيرُ إلى	ع > ء ع	الأكاديةُ العبريةُ، الآراميةُ، الأثيوبيةُ

فضلاً عن أصواتِ الإطباقِ «ص، ض، ط، ظ» وهي أصواتٌ تشتركُ في سمةٍ واحدةٍ تتلخّصُ في اتخاذِ اللسانِ شكلاً مقعَّراً منطبقاً على الحنكِ الأعلى ويرجعُ إلى الوراءِ قليلاً، والواقعُ أنَّ هاتينِ المجموعتينِ موجودتانِ بدرجةٍ متفاوتةٍ في اللغاتِ العروبيةِ المختلفةِ:

حروفُ الإطباق		
ض تغيرُ إلى	ص ع	الأكاديةَ، العبريةَ، الأوغاريتيةَ الآراميةُ
ظ تغيرُ إلى	ص ط	الأكاديةَ، العبريةَ، الإثيوبيةَ الآراميةُ

١ .يُنْظَرُ: علم اللغة العربية:١٣٩-١٤٢.

فضلاً عن صوتِ الفاءِ، فليسَ كلُّ لغةٍ عروبيةٍ تضمُّ كلَّ الأصواتِ الحلقيةِ والمطبقةِ الموجودةِ في العربيَّةِ، وليسَ هنالكَ لغةٌ عروبيةٌ تخلو من أصواتِ الحلقِ والإطباقِ كونَها وحداتٍ صوتيةً متميزةً ففي العربيَّةِ مثلاً هنالكَ فرقٌ دلاليٌّ بينَ «سألَ» و«سالَ» وهذا الأمرُ لا نجدُه في اللغاتِ الأوربيةِ كرمزٍ صوتيٍّ بل هي وسيلةٌ نطقيةٌ لبيانِ نطقِ الحركةِ الصوتِ كصوتِ «*a*» من كلمة(*abart*) في اللغةِ الألمانيةِ.

ويرى أكثرُ الباحثينَ أنَّ أصواتَ الحلقِ في اللغاتِ العروبيةِ موروثةٌ عن اللغةِ العروبيةِ الأمِّ، واللغةُ العربيَّةُ تُعَدُّ بصفةٍ عامةٍ أصدقَ تعبيراً عن العروبيةِ الأولى، إذْ تضمُّ اللغةُ العربيَّةُ بفرعَيها الشماليةِ والجنوبيةِ ستةَ أصواتٍ حلقيةٍ، وتضمُّ اللغاتُ العروبيةُ الأخرى أصواتاً حلقيةً بعددٍ أقلَّ، والسببُ في ذلكَ اختزالُ بعضِ الأصواتِ بصوتٍ واحدٍ كصوتَي الخاءِ والحاءِ أصبَحا في العبريةِ صوتاً واحداً وهو«الخاءُ»، وهذا الأمرُ عينُه في أصواتِ الحلقِ نجدُ ثمةَ أصواتاً حلقيةً أكثرَ ثباتاً في أرومةِ اللغاتِ العروبيةِ هي «الصادُ والقافُ والطاءُ»، ولكنَّ «الضادَ والظاءَ»قد تعرَّضا للتغييرِ الصوتيِّ في عددٍ من اللغاتِ العروبيةِ، فكلُّ «ضادٍ وصادٍ وظاءٍ»في العربيَّةِ يقابلُها صوتُ «الصادِ»في العبريةِ. وهذا الأمرُ نفسُه بالنسبةِ للغةِ الأكديةِ، أمّا صوتُ الضادِ في اللغةِ الآراميةِ فقد تحوّل إلى قافٍ ثم إلى عينٍ، ويعدُّ هذا التحولُ من أصعبِ التحولاتِ الصوتيةِ تفسيراً.

في بنيةِ الكلمةِ[1]

تكوينُ المادةِ اللغويةِ: تتكونُ المادةُ اللغويةُ في العروبياتِ من أصولٍ ثلاثيةٍ في مرحلةِ النضجِ والتكاملِ، لأنَّ ثمةَ اتجاهاً علمياً يقضي بأنّ الأصلَ الثنائيَّ مرحلةٌ متقدمةٌ من مراحلِ المادةِ اللغويةِ.

ترتيبُ المادةِ اللغويةِ: الأصلُ الثلاثيُّ في السامياتِ يلزمُ ترتيباً واحداً إذْ تبقى

١. يُنْظَرُ: المصدر نفسه:١٤٢-١٤٦.

الأصواتُ الساكنةُ في المشتقِّ، مهما اشتقَقْنا من الأصلِ، فمادةُ: دَرَسَ مثلاً يُشتَقُّ منها: دارسٌ، مدروسٌ، دراسةٌ.... فنجدُ موضعَ الدالِ هو الفاءُ، والراءِ هو العينُ، والسينِ هو اللامُ.

التزامُ المادةِ اللغويةِ على دلالةٍ واحدةٍ وهذا يعني أنَّ المادةَ لا تتغيرُ إلاّ بالمجازِ والخروجِ عن الحقيقةِ أو النحتِ من أصولٍ لغويةٍ.

ويتحددُ المعنى الخاصُّ لكلِّ كلمةٍ من هذهِ الكلماتِ المشتركةِ في الجذرِ اللغويِّ بمعاييرَ أخرى، فالحركاتُ المختلفةُ من ضمٍّ وفتحٍ وكسرٍ تشكِّلُ الصيغَ المختلفةَ داخلَ الإطارِ الدلاليِّ الذي حدَّدَتْهُ الصوامتُ كبناءِ الفعلِ للمعلومِ والمجهولِ، أو بإضافةِ السوابقِ كالميمِ في مدرّسٍ من دَرَسَ، أو عن طريقِ إلحاقِ نهايةٍ تؤدّي معنى محدداً كالجمعِ والتثنيةِ.

وعلى هذا يقومُ بناءُ الكلمةِ في اللغاتِ العروبيةِ على أساسينِ متكاملينِ: هُما/ المادةُ اللغويةُ، و الوزنُ.

وتُصَنَّفُ الأسماءُ في اللغاتِ العروبيةِ وفقَ معاييرَ ثابتةٍ يمكنُ تطبيقُها على كلِّ اللغاتِ العروبيةِ لأنَّها مستخرجةٌ منها، وعلى ذلكَ يمكنُ ملاحظةُ تحديدِ معاييرِ تغيراتِ الصيغِ في الأسماءِ وفقَ ثلاثةِ جوانبَ: العددِ/ الحالةِ الإعرابيةِ/ الجنسِ.

والمقصودُ بالعددِ كلُّ ما يتعلقُ بالإفرادِ والتثنيةِ والجمعِ، فكلُّ اسمٍ في اللغاتِ العروبيةِ لابدَّ أنْ يعبِّرَ عن مفردٍ أو عن مثنى أو جمعٍ، وهذا الأمرُ غيرُ موجودٍ في اللغاتِ الأوربيةِ الحديثةِ فتقسيمُ الأسماءِ فيها تقسيماً ثنائياً، فهناكَ صيغةٌ للمفردِ تسمى «(*singular*)وصيغةٌ لغيرِ المفردِ تسمّى *plural*)»[1].

فالاسمُ الدالُّ على اثنينِ أو اثنتينِ له في اللغاتِ العروبيةِ صيغةٌ متميزةٌ هي صيغةُ المثنى القياسيةُ في اللغةِ العربيَّةِ، ويبدو أنَّ صيغةَ المثنى كانتْ هكذا في اللغةِ العروبيةِ

١. يُنْظَرُ: علم اللغة العربية:١٤٨.

الأمِّ، ولكنَّ استخدامَ هذهِ الصيغةِ قَلَّ في بعضِ اللغاتِ الساميّةِ مثلَ العبريةِ، فلمْ تعُدْ صيغةُ المثنىٰ تستخدمُ فيها إلاّ في الأشياءِ التي توجدُ في الواقعِ الخارجيِّ مثنىٰ مثلَ: اليدينِ والرجلينِ.

أمّا الحالةُ الإعرابيةُ: فذاتُ تنوعٍ ثلاثيٍّ، وقد أطلقَ النحاةُ العربُ علىٰ هذهِ الحالاتِ الإعرابيةِ مُصْطَلَحاتِ: الرفعِ والنصبِ والجرِّ، ويعدُّ الإعرابُ علىٰ هذا النحوِ الثلاثيِّ في العربيَّةِ امتداداً للغةِ العروبيةِ الأولىٰ، وقد احتفظتِ اللغةُ العروبيةُ الأكديةُ بظاهرةِ الإعرابِ علىٰ هذا النحو أيضاً، فالخطُّ الأكديُّ يثبتُ الحركاتِ دائماً، ولذا فقد أمكنَ التعرفُ من رموزِه المدونةِ علىٰ حقيقةِ أنَّ الاسمَ في الأكاديةِ كانَ يتّخذُ ثلاثةَ أشكالٍ، ينتهي أحدُها بالضمةِ وثانيها بالكسرةِ وثالثُها بالفتحةِ، وتطابقُ هذهِ الأشكالُ الثلاثةُ للاسمِ الأكديِّ الأشكالَ المقابلةَ في العربيَّةِ بالضمةِ والكسرةِ والفتحةِ.

ولم تحتفظْ أكثرُ اللغاتِ العروبيةِ بالنهاياتِ الإعرابيةِ، ولكنَّ الباحثينَ يَرونَ الإعرابَ علىٰ نحوِ ما تعرفُه العربيَّةُ وما عرفتْهُ الأكديةُ ظاهرةً أصيلةً في اللغاتِ العروبيةِ الأولىٰ.

أمّا من ناحيةِ الجنسِ، فتُصَنَّفُ اللغاتُ علىٰ هذا النحوِ أي ما يُطلَقُ عليهِ بالمذكَّرِ والمؤنَّثِ، ولا علاقةَ هنا بينَ الواقعِ الخارجيِّ والصيغِ اللغويةِ، وإنّما تعارفَ النحويونَ علىٰ وصفِ صيغةِ الاسمِ بأنّها من المذكَّرِ أو المؤنَّثِ علىٰ سبيلِ الاصطلاحِ والتقريبِ فقط، وتتضحُ نسبةُ هذا التقسيمِ بالنظرِ في الأشياءِ التي ليسَ لها بحكمِ طبيعتِها أيُّ نصيبٍ من التذكيرِ والتأنيثِ مثلَ: الكتابِ والشمسِ...إلخ «الجنسُ في هذا يخضعُ للواقعِ الخارجيِّ» ولكنَّ كلَّ اسمٍ في اللغةِ العربيَّةِ أو في اللغاتِ الساميّةِ الأخرىٰ ينبغي أنْ يُصَنَّفَ من ناحيةِ الجنسِ، وهنا تصبحُ بعضُ هذهِ الأشياءِ من المذكَّرِ و بعضُها من المؤنَّثِ لاعتباراتٍ شكليةٍ، أو تعكسُ بعضَ رواسبِ الفكرِ الإنسانيِّ القديمِ، فكلُّ الأسماءِ الدالّةِ علىٰ الجماداتِ التي تنتهي بتاءِ التأنيثِ تُصَنَّفُ في

العربيَّـةِ علىٰ أنّها كلماتٌ مؤنثةٌ، كلفظِ: المنضدةِ. وهناكَ لغاتٌ أخرىٰ لاتصفُ الأسماءَ وفقَ هذا الاعتبارِ «مذكَّرٍ، مؤنثٍ) بل تأتي بقسيمٍ ثالثٍ يسمّىٰ «بالاسمِ المحايدِ) كاللغاتِ الجرمانيةِ.

الصيغةُ الصرفيةُ للفعلِ: تُصَنِّفُ اللغاتُ العروبيةُ الفعلَ فيها إلىٰ صيغٍ عدةٍ، ويُطلَقُ علىٰ هذهِ الصيغِ الموجودةِ في العربيَّـةِ: المضارعُ والماضي والأمرُ، وهكذا حالُ الفعلِ في اللغاتِ العروبيةِ القديمةِ في الشامِ و الحبشةِ، ولكنَّ اللغةَ الأكديةَ طورتْ لنفسِها نظاماً مخالفاً إلىٰ حدٍ ما، ففيها الكثيرُ من الصيغِ الفعليةِ التي لا تعكسُ ظاهرةً موروثةً علىٰ نحوٍ مباشرٍ من اللغةِ الساميـّةِ الأمِّ، لأنَّ الفعلَ في اللغاتِ العروبيةِ لـه زمنانِ الماضي و الحالُ أو الاستقبالُ، ويُستثنىٰ من ذلكَ اللغةُ الأكديةُ ففيها للفعلِ ثلاثةُ أزمنةٍ هي زمنٌ انتهىٰ وزمنُ الحالِ و زمنٌ ممتدٌّ مستمرٌّ. والزمنُ في العربيَّـةِ فيه نوعٌ من التنوعِ وإنْ كانتِ الصيغُ الصرفيةُ غيرَ متنوعةٍ، فالماضي يُستعمَلُ للتعبيرِ عن الحاضرِ أو المستقبلِ كجملةِ الشرطِ، والحالُ عينُها في المضارعِ المنفيِّ وزمنِ الماضي لم يكتبْ، والماضي المستمر، كانَ يكتبُ، ويتحدَّدُ معنىٰ الصيغةِ المستعملةِ وفقَ بنيةِ الجملةِ والقرائنِ اللفظيةِ والمعنويةِ التي تحدِّدُ الزمنَ النحويَّ إلىٰ جانبِ **دلالةِ الصيغةِ الصرفيةِ**.

في بناءِ الجملةِ[1] :

أمّا من ناحيةِ بناءِ الجملةِ فالاختلافُ كبيرٌ بينَ اللغاتِ العروبيةِ في عصورِها القديمةِ واللغاتِ العروبيةِ في العصورِ التاليةِ، ويبدو أنَّ اللغةَ العروبيةَ الأولىٰ لم تكنْ ذاتَ جُمَلٍ طويلةٍ، بل كانتْ جُمَلاً قصيرةً وترتبطُ الجملةُ بالأخرىٰ عن طريقِ الواو، وهذا الأمرُ موجودٌ في العبريةِ والعربيَّـةِ، فالعربيَّـةُ والعِبرانيّـةُ كلتاهما تبدأُ الجملةُ الفِعليّةُ فيهما بالفعلِ ولا يلْزمُ أنْ نذكُرَ اسمًا قبْلَ الفِعلِ لا مضمَراً ولا ظاهرًا، فتقولُ طلعتِ الشّمسُ وظهرَ الحقُّ، ولو ذكّرْنا الضميرَ «أنا) قبلَ الفِعلِ الماضي لمْ يصحَّ

١. يُنْظَرُ: علم اللغة العربية:١٤٨.

إسنادُ الفِعلِ إليه بل تتّصِلُ به وُجوبًا تاءُ متكلّمٍ فنقولُ في العربيَّـةِ: أنـا تعلّمْـتُ وفي العبرانيّةِ: إني لامـذْتِ[1] ولكـنَّ الجملـةَ فـيما بعـدُ أخـذتْ حجـماً وشـكلاً آخـرَ، إذْ أصبحتْ جملةً طويلةً ومعقدةً، فالجملةُ العربيَّـةُ تعقدتْ مع تطورِ الفكرِ ورقيِّهِ تعقداً كبيراً، وأهمُّ مكوِّنٍ للجملةِ العروبيـةِ «الفعـلُ» الـذي يـربطُ بـهِ الاسـمَ أو الضـميرَ ارتباطاً وثيقاً.

الاشتراكُ في الألفاظِ الأساسيةِ:

هنالـكَ ألفاظٌ أساسيةٌ تشتركُ فيها اللغاتُ العروبيةُ، أي أنَّ هذهِ الألفاظَ ترجعُ إلى أصلٍ اشتقاقيٍّ واحدٍ في اللغةِ العروبيةِ الأمِّ. فكلمةُ «هالـك»في العربيَّـةِ يقابِلُهـا في العبريةِ «هالخ»، ومعنى ذلك أنَّ كِلا الفعلينِ يرجعُ إلى الجذرِ اللغويِّ «ه، ل، ك» أمّـا دلالةُ الفعلِ في العربيَّـةِ يدلُّ على الذهابِ إلى العالمِ الآخرِ، أمّا في العبريةِ فيـدلُّ عـلى مُطلَقِ الذهابِ.

ومثلُ ذلكَ كلمةُ «لحم» في العربيَّـةِ و العبريةِ، إلاّ أنَّ دلالتَها في العبريةِ تختلفُ عن العربيَّـةِ أي أنّها تدلُّ على «الخبزِ»، ولعلَّ هذهِ الدلالةَ ترشحتْ مـن اللغـةِ الأمِّ التـي أدّتْ فيها لفظةُ «لحمٍ»معنى الطعامِ اليابسِ، وعلى هذا يكونُ المعنى في العبريةِ ضرْبٌ من التخصيصِ[2].

ومن الكلماتِ المتشابهةِ في اللغاتِ الساميّـةِ «أخٌ، ماءٌ، بيتٌ، عـينٌ، راسٌ، كلـبٌ، لسانٌ...»

---

١ .يُنْظَرُ: حديث مع زائر كريم مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. السنة السادسة. العدد الرابع. ربيع الثاني ١٣٩٤هـ.أبريل ١٩٧٤م.ص:٢٠.

٢ .يُنْظَرُ: علم اللغة العربية:١٤٨.

العربيَّة	الإثيوبيّة	الأكاديّة	الأوغاريتية	الآراميّة	العبريّة
أخ	أخْتُ	أَخُو	أخُ	أحَا	أحُ
بَعْل	باعِل	بيلُ	بعل	بَعلا	بَعَل
كَلب	كلب	كلبُ	كلب	كلبا	كِلف
ذُباب	زمب	زمبُ	.	دَبَّاثا	زفوف
زَرْع	زَرِع	زِيرُ	درع	زرعا	زرَع
رأس	رءِس	رِيشُ	ريش	ريشا	رُأش
عين	عين	ينُ	عن	عينا	عَيِنْ
لسان	لسان	لِشان	لسن	لِشَّانا	لَشُن
سِنّ	سِنّ	شنُّ	.	شِنانا	شِنْ
سماء	سماي	شمو	شمم	شِمَيّا	شمايم
ماء	ماي	مُو	مي	مَيّا	مَيم
بيت	بِت	بيتُ	بت	بيتا	بَيِتْ
سلام	سلام	شلامُ	شلم	شِلاما	شَلُوم
اسم	سِم	شُمُ	شم	شِمَا	شِم

إنَّ أكثرَ هذهِ الخصائصِ المشتركةِ موروثةٌ عن اللغةِ العروبيةِ الأمِّ، فتلكَ الظـواهرُ ميراثٌ عروبيٌّ قـديمٌ، وقـد تواضَـعَتْ هـذهِ اللغـاتُ بعـضَ الألفـاظِ والصيـاغاتِ اللغويةِ.

الفصل الرابع

الْكِتَابَاتُ العروبية وبدايــاتُ الخــطِّ العربـــيِّ

١. الْكِتَابَاتُ العروبية

المرحلــةُ الأوْلــى: المرحلــةُ الصُّورِيَّة

بَدَأَتِ الْكِتَابَةُ فِي بِلادِ مَا بَينَ النَّهرَيْنِ فِي سُومَرَ وَفِيْهَا تَطَوَّرَتْ وَمِنْهَـا انْطَلَقَـتْ إِلَىٰ مِصْرَ ثُمَّ إِلَىٰ بَاقِي أَرْجَاءِ المَعْمُورَةِ، وَكَانَتْ هَذِهِ اللغةُ أَوَّلَ لُغَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ وَجَدَتْ طَرِيْقَهَا إِلَىٰ التَّدْوِيْنِ، فَكَانَتْ الْكِتَابَةُ صُورَيَّةً فِي بِدَايَاتِهَا، ثُمَّ تَطَوَّرَتْ نَحْـوَ الْكِتَابَـةِ المَقْطَعِيَّـةِ، وَفِي الرُّبْعِ الأَخِيْرِ مِنَ الأَلْفِ الرَّابِعِ قَبْلَ المِيْلادِ أَوْ قَبْـلَ ذَلِـكَ بِقَلِيْـلٍ، بَـدَأَتْ بَـوَاكِيرُ الْكِتَابَةِ الصُّورَيَّةِ فِي مَدينَةِ الْوَرْكَاءِ، إِذْ عُثِرَ فِي الطَّبَقَةِ الرَّابِعة مِن مَوْقِـعِ الْوَرْكَـاءِ عَـلَىٰ كِتَابَاتٍ تَمَثَّلَتْ بِأَشْكَالٍ وَصُوَرٍ سُمِّيَتْ بِـ(الْكِتَابَاتِ الصُّورِيَّةِ)، ثُـمَّ تَطَـوَّرَتْ الْكِتَابَـةُ الصُّورِيَّةِ فِي مَرَاحِلَ لاحِقَةٍ إِلَىٰ الْكِتَابَـةِ الرَّمْزِيَّـةِ المَقْطَعِيَّـةِ، ثُـم إِلَىٰ الْكِتَابَـةِ المِسْـمَارِيَّةِ المَعْرُوْفَـةِ، وَالمِسْـمَارِيَّةُ تَرْجَمَـةٌ لِلْمُصْـطَلَحِ الإِنْكِلِيـزِيِّ (Cuneiform) الَّتِـي تَعْنِـي (شَكْلَ الإِسْفِيْنِ أو المِسْمَارِ)، لِأَنَّ رُمُوزَ هَذِهِ الْكِتَابَـةِ تَنْتَهِـي بِشَـكْلٍ يُشْـبِهُ المَسَـامِيْرَ، وَحُلَّتْ رُمُوزُ الْكِتَابَةِ المِسْمَارِيَّةِ فِي مُنْتَصَفِ القَرْنِ التَّاسِعِ عَشَرَ المِيْلَادِيِّ، إِذْ عُثِـرَ عَـلَىٰ جُمْلَةٍ مِنَ النُّصوصِ المُدَوَّنَةِ الَّتِي تُرْجِمَتْ فِيْمَا بَعْدُ وَ أَفْصَحَتْ عَنْ طَبِيْعَـةِ الْكِتَابَـاتِ فِي

تِلْكَ المَرْحَلَةِ[1]، وَكَانَتْ طَبِيعَةُ الْكِتَابَةِ الْمِسْمَارِيَّةِ فِي الأَصْلِ كِتَابَةً صُورِيَّةً بِمَعْنَى أَنَّهُ إِذَا أَرَادَ الكَاتِبُ أَنْ يَكْتُبَ الكَلِمَةَ الدَّالَّةَ عَلَى الرَّجُل فَإِنَّهُ يَرْسُمُ هَيْئَةَ الرَّجُلِ، تَمَاماً مِثْلَمَا نَرَى فِي الْكِتَابَةِ الهِيْرُوغلِيفِيَّةِ الَّتِي هِيَ أَيْضاً كِتَابَةٌ صُورِيَّةٌ. وَالْفَرْقُ بَيْنَ الكِتَابَتَيْنِ الصُّورِيَتَيْنِ الْمِسْمَارِيَّةِ والهِيروغليفيةِ يَكْمُنُ فِي أَنَّ أَشْكَالَ الْكِتَابَةِ الْمِسْمَارِيَّةِ الَّتي تَطَوَّرَتْ بِسُرْعَةٍ لِتَتَّخِذَ أَشْكَالاً مُجَرَّدَةً هِيَ أَشْكَالُ المَسَامِيْرِ وَمِنْ ثَمَّة تَسْمِيَتُهَا بالْكِتَابَة الْمِسْمَارِيَّةِ بَيْنَمَا حَافَظَتْ الْكِتَابَةُ الهيروغليفيةُ عَلَى أَشْكَالِها الصُّورِيَّةِ البِدَائِيَّةِ.

والْكِتَابَةُ الصُّوَرِيَّةِ كِتَابَةٌ صَعْبَةٌ لِأَنَّهَا تَفْتَرِضُ وُجُوْدَ صُوْرَةٍ لِكُلِّ مُسَمَّىً، وَهُوَ مَا يَجْعَلُ حِفْظَهَا وَاسْتِعْمَالِهَا بِوضُوحٍ أَمْراً صَعْباً لِكَثْرَةِ الْمُسَمَّيَاتِ وَالأَشْيَاءِ وَكَثْرَةِ الاشْتِرَاكِ فِي مَعَانِي صُوَرِهَا. أَضِفْ أَنَّ كِتَابَةَ المَفَاهِيْم الفِكْرِيَّةِ وَالمَجَازِ شِبْهُ مُسْتَحِيْلٍ فِي هَذهِ الْكِتَابَةِ لِصُعُوْبَةِ تَصْوِيْرِهَا. وللتمثيلِ عَلَى ذلكَ ننظرُ فِي ما طالَعَنا به إسرائيلُ ولفونسو فِي كتابِهِ تاريخُ الْلغاتِ السامية إِذْ دَلَّ السُّومَرِيُّونَ عَلَى كلمةِ / الله/ بلُغَتِهم ـ وهي إِلُّ ـ بِنَجْمَةٍ. وَالنَّجْمَةُ تُشِيْرُ إِلَى السَّمَاءِ، وَهَذا يَعْنِي أَنَّ السَّوْمَرِيينَ كَانُوا يَعْتَقِدُوْنَ أَنَّ الإِلهَ إِنَّمَا يَكُوْنُ فِي السَّمَاءِ. مِنْ جِهةٍ أُخْرَى بَاتَتْ صُوْرَةُ النَّجْمَة مُشْتَرَكَةً لأَنَّهَا تَدُلُّ عَلى (النَّجْمَةِ)[2].

المرحلةُ الثانيةُ : المرحلةُ المقطعيةُ

استَخْدَمَ العروبيون الشَّرْقِيون(البابليونَ، والآشوريونَ) الخَطَّ المِسماريَّ المعقَّدَ إِلَى أقصى حدٍّ، الذي وضَعَهُ سلَفُهم الَّذيْنَ كانوا قبلَهم فِي بابلَ وهم السُّومَرِيُّونَ، وعلى العكسِ من ذلكَ يَكتبُ العروبيون الغربيُّونَ أبجديّةً مُشْتَرَكةً مُكوَّنَةً مِن اثنَينِ

١. يُنْظَرُ: الأبجدية، نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب:٣٤، والعراق في التاريخ القديم(د. عامر سليمان):٢٥٩، تاريخ اللغات بالعروبية:٣٣

٢. يُنْظَرُ: تاريخ اللغات بالعروبية: ٣٥.

وعشرينَ أصلاً[1]. والْكِتَابَةُ المقطعيَّةُ الصَّوتيَّةُ تتكوَّنُ من مقاطعَ صوتيةٍ تبدأُ بحرفٍ صامتٍ يتبعُهُ حرفٌ صائتٌ قصيرٌ مثلُ / بَ/ ، / بُ/ ، / بِ/ ، أو يتبعُه حرفٌ صائتٌ ممدودٌ مثلُ / با/ ، / بُو/ ، / بِي/ [2]، وأولُ مَنْ مارَسَها هم أواخرُ السُّومَرِيينَ وأوائلُ الأكاديينَ[3]. وتمرُّ قراءةُ الْكِتَابَةِ الْمِسْمَارِيَّةِ المقطعيةِ بثلاثِ مراحلَ هيَ:

١. قراءةُ النصِّ الأكاديِّ ونقلُ المقاطعِ الصَّوتيَّةِ الْمِسْمَارِيَّةِ إِلَىٰ العَرَبِيَّة.

٢. تجميعُ المقاطعِ الصَّوتيَّةِ وتكوينُ الكلماتِ.

٣. القراءةُ والترجمةُ.

مثال عَلَىٰ رسمِ الْكِتَابَةِ الْمِسْمَارِيَّةِ:

١. بَعْ. عَلْ شَ. مِ. اي و إِرْ. صَ. تم	(نقلُ المقاطعِ إِلَىٰ العَرَبِيَّة)
٢. بَعْل شَمِي وإرصَتِم	(جمعُ وتركيبُ المقاطعِ)
٣. (رَبُّ السماواتِ والأرضِ).	(القراءةُ والترجمةُ)

ومن الجديرِ بالذِّكْرِ أنَّ الهيروغليفيةَ طورتْ أيضاً، فِي مرحلةٍ لاحقةٍ، كِتَابَةً مقطعيةً أيضاً، لكنَّ العناصرَ الصَّوتيَّةَ فِي الهيروغليفيةِ لا تتفقُ مع الْكِتَابَةِ السُّومريَّةِ لاّ فِي المبدأِ وهو التَّعبيرُ فِي كلتا اللغتينِ بالخطِّ عن الأصواتِ الصَّامتةِ لا غيرَ[4].

والْكِتَابَةُ المقطعيةُ تتكونُ من ٢٠٠ إِلَىٰ ٤٠٠ مقطعٍ صوتيٍّ حسبَ أصواتِ اللغةِ المستعملةِ لها. ومن اللغاتِ الَّتِي ما تزالُ تَستَعمِلُ الْكِتَابَةَ المقطعيةَ حتىٰ اليومِ: اللغةُ الأمهريّةُ، وهي لغةٌ عروبية تُعتَبَرُ امتداداً للجعزيةِ، لغةِ مملكةِ أكسومَ فِي الحبشةِ. فالْكِتَابَةُ الجعزيةُ/ الأمهريةُ هي كِتَابَةٌ مقطعيةٌ مشتقةٌ من خطِّ الْمُسْنَدِ الحميريِّ. وهذا

---

١. يُنْظَرُ: فقه اللغات بالعروبية: ٣٥

٢. يُنْظَرُ: علم اللغة العَرَبِيَّة: ١٥٤.

٣. يُنْظَرُ: تاريخ اللغات بالعروبية: ٣٤

٤. المصدر نفسه: ٣٤.، وفقه اللغات بالعروبية: ٣٥، علم اللغة العَرَبِيَّة: ١٥٤

من عجائبِ اللغاتِ لأنَّ الأحباشَ أخذوا الْكِتَابَةَ الأبجديةَ الَّتِي تُعَدُّ آخرَ مرحلةٍ من مَرَاحلِ تَطَورِ الْكِتَابَةِ، وحوَّلوها إِلَىٰ كِتَابَةٍ مقطعيةٍ.

وَكَانَ الخَطُّ المِسْمَارِيُّ يُكتَبُ مِن الشِّمالِ إِلَىٰ اليَمينِ وَيُوْضَعُ عَلَىٰ شَكْلٍ عَمُـودِيٍّ أَوْ أفقيٍّ عَلَىٰ حَسْبِ مَا تقتضيهِ العلامةُ المرادُ كتابتُها وعلىٰ حسـبِ المعنـىٰ المقصـودِ مـن تلكَ العلامةِ[1].

الأبجدياتُ العروبيةِ حسبَ الترتيبِ الزمنيِّ:

١. الأبجديةُ الأوغاريتيةُ:

هي أقدمُ كِتَابَةٍ أبجديةٍ عروبية ظهرتْ إِلَىٰ الوجودِ بدايةَ الألفيةِ الثانيةِ قبلَ الميلادِ غربيَّ سوريّةَ. اشتقَّ الأوغاريتيونَ أشكالَ أبجديَّتِهم من الْكِتَابَةِ الْمِسْمَارِيَّةِ ولقـد اتبـعَ الأوغاريتيونَ النِّظامَ الأبجديَّ فِي تدوينِ اللغةِ وترجعُ كلمـةُ (أبجديـةٍ) إِلَىٰ تـرتيبِهم للحروفِ الَّتِي كتبوا بها لغتَهم[2].

الأبجديةُ الاوغاريتيةُ)[3].

الأبجديـة الأوغاريتيـة

alpha 'a	beta b	gamla g	ḫa ḫ	delta d	ho h	wo w	zeta z	ḥota ḥ	ṭet ṭ	
yod y	kaf k	šin š	lamda l	mem m	ḏal ḏ	nun n	ẓu ẓ	samka s	ain ʿ	
pu p	ṣade ṣ	qopa q	rasha r	ṯaana ṯ	ġain ġ	to t	i 'i	u 'u	s_2u s_2	word divider

١. يُنْظَرُ: تاريخ اللغات بالعروبية:٤٠.

٢. يُنْظَرُ: علم اللغة العَرَبِيَّة:١٦٠، وتاريخ اللغات بالعروبية:٤٥، ١٠٦.

٣. يُنْظَرُ: المدخل إِلَىٰ فقه اللغة:٩٨.

٢. الأبجديةُ الفينيقيةُ

الْكِتَابَةُ الأبجديةُ الفينيقيةُ هي امتدادٌ مباشرٌ للأبجديةِ الأوغاريتيـةِ، وقـد ذهـبَ الفينيقيونَ إِلَىٰ تبسيطِ نظامِ الْكِتَابَةِ وجعلُوها أبجديـةً، إذ احـتفظَ الفينيقيـونَ بفكـرةِ النظامِ الأبجديِّ، غيرَ أنَّهم عدَّلوا أشكالَ الحروفِ لتصبحَ سـهلةً فِي الْكِتَابَـةِ، فضـلاً عن ذلـكَ أنَّهم احتفظوا بذلـكَ الترتيبِ الأوغاريتيِّ للحروفِ(١).

هيئة الكتابة الفينيقية:

𐤊	𐤉	𐤈	𐤇	𐤆	𐤅	𐤄	𐤃	𐤂	𐤁	𐤀
kaph	yōdh	ṭēth	ḥēth	zayin	wāw	hē	dāleth	gīmel	bēth	'āleph
palm	hand	good	wall	weapon	hook	window	door	camel	house	ox
k	y	ṭ	ḥ	z	w	h	d	g	b	ʾ
[k]	[j]	[tˤ]	[ħ]	[z]	[w]	[e]	[d]	[g]	[b]	[ʔ]
𐤕	𐤔	𐤓	𐤒	𐤑	𐤐	𐤏	𐤎	𐤍	𐤌	𐤋
tāw	šin	rēš	qōph	ṣādē	pē	'ayin	sāmekh	nun	mēm	lāmedh
mark	tooth	head	eye of needle	papyrus	mouth	eye	fish	serpent	water	goad
t	sh	r	q	ṣ	p	ʿ	s	n	m	l
[t]	[ʃ]	[r]	[q]	[sˤ]	[p]	[ʕ]	[s]	[n]	[m]	[l]

٣. الأبجديةُ الآراميةُ

يُطْلَقُ عَلَىٰ مَجْمُوعَة النُّقُوشِ القَدِيْمَةِ المُدَوَّنَةِ بِالآرامِيَّةِ مُصْطَلَحُ الآراميّةِ القديمـةِ، وتعودُ هذهِ النُّقُوشُ إِلَىٰ القرنِ العـاشرِ قبـلَ الميلادِ والقـرنِ الثَّـامِنِ قَبْـلَ المِيْلَادِ، إِذْ وُجِدَتْ هَذهِ النُّقُوشُ فِي مَنَاطِقَ مُخْتَلِفَةٍ مِنَ الشَّامِ وَالعِراقِ(٢).

١. يُنْظَرُ: المصدر نفسه:١٦٣، والمدخل إِلَىٰ دراسة تاريخ اللغات الجزرية:٢٣.
٢. يُنْظَرُ: علم اللغة العَرَبِيَّة:١٧٢، ويُنْظَرُ: الأساس في فقه اللغة العَرَبِيَّة وارومتها:١٢٠

هيئة الكتابة الآرامية القديمة :

kāph	yudh	ṭēth	ḥēth	zain	waw	hē	dālath	gāmal	bēth	ālaph
[k/x]	[j/iː/eː]	[tˤ]	[ħ]	[z]	[w/oː/uː]	[h]	[d/ð]	[g/ɣ]	[b/v]	[ʔ/aː/eː]
tau	shin	rēsh	qoph	ṣādhē	pē	ʻē	semkath	nun	mim	lāmadh
[t/θ]	[ʃ]	[r]	[q]	[sˤ]	[p/f]	[ʕ]	[s]	[n]	[m]	[l]

وقد تمثلتِ الأبجديةُ الآراميةُ بالْكِتَابَاتِ الَّتِي تمثلتْ بها لهجاتُها الشَّرْقِيَّةُ وَالغَرْبِيَّةُ.

٤. الأبجديةُ العِبْريةُ

لقد تأثرتِ الأبجديةُ العبريةُ بالأوغاريتيةِ وهذا ما تمثَّلَ فِي عددِ حروفِها، إذْ تمثلتْ بخمسةٍ وعشرينَ حرفاً صامتاً، فضلاً عن ذلكَ أنَّ الترتيبَ الألفباءَ العبريَّ مشابهٌ لترتيبِ حروفِ الهجاءِ الأوغاريتيِّ، والأبجديةُ العبريةُ تقومُ عَلَىٰ اختزالِ الأصواتِ حيثُ يُمزَجُ صوتُ الخاءِ مع صوتِ الهاءِ والتاءِ مع الشينِ والدالِ مع الزاي والغينِ مع العينِ(١)، فضلاً عن ذلكَ أنَّ الْكِتَابَةَ العبريةَ القديمةَ كانتْ تُدَوَّنُ فِي مراحلِها الأُوْلَىٰ دونَ حركاتٍ، وكانتْ إضافَةُ الحركاتِ في مرحلةٍ تاليةٍ(٢).

ך כ	י	ט	ח	ז	ו	ה	ד	ג	ב	א
kaf	yod	tet	chet	zayin	vav	he	dalet	gimel	bet	alef
ת	ש	ר	ק	ץ צ	ף פ	ע	ס	ן נ	ם מ	ל
tav	shin/sin	resh	kof	tzadi(k)	pe	ayin	samech	nun	mem	lamed

١. يُنْظَرُ: المدخل إِلَىٰ دراسة تاريخ اللغات الجزرية:٦٣_٦٤

٢. يُنْظَرُ: علم اللغة:١٦٨.

٥. الأبجديةُ النبطيةُ:

اشتُقَّتْ الأبجديةُ النبطيةُ مِن الأبجديةِ الآراميةِ الَّتِي اعتمـدتْ الْكِتَابَـةَ الفِينِيقِيَّـةَ دون تغييرٍ منهم، وأشكالُ الحروفِ وطبيعةُ رسمِها تَشـي بـذلكَ الأثـرِ الآرامـيِّ فِي الْكِتَابَةِ النبطيةِ، ويرىٰ بعضُ الباحثينَ أنَّ الْكِتَابَةَ الآراميةَ النبطيةَ قد أسهمتْ فِي بنائيةِ الخطِّ العربيِّ وهذا ما يتمثَّلُ فِي كثيرٍ من الْكِتَابَاتِ الَّتِي نُقِلَتْ عن العربِ مـن خـلالِ النُّقُوشِ الَّتِي عُثِرَ عليها[١] ولم يكن للأنباطِ قلمٌ بل كتَبوا كـما كـانَ يَكتُـبُ جـيرانُهم، لأنَّهم فِي الأَصْلِ شعبٌ بدويٌّ يلهجُ بلغةٍ محليةٍ منطوقةٍ غيرِ مدوَّنةٍ[٢].

هيئةُ الْكِتَابَةِ النبطيــةِ:

k y ṭ ḥ z w h d g b '

t š r q ṣ p ' s n m l

٦. الأبجديةُ السريانيةُ

للسريانِ ثلاثةُ أقلامٍ وهي المفتوحُ ويُسَمّىٰ «أسطرنجلا» وهو أجَلُّهـا وأحسـنُها، والتحريرُ المخفَّفُ ويُسمىٰ «أسكوليثا» وله شـكلٌ مـدوَّرٌ، و«السـرطا» ونظـيرُه فِي العَرَبِيَّة قلمُ الرِّقاعِ[٣] وقد ظهرتِ الأبجديةُ السريانيةُ إِلَىٰ الوجودِ في بدايةِ القرنِ الثاني للميلادِ، وهي أبجديةٌ مشتقةٌ من الآراميةِ القديمةِ، قال ابنُ النديمِ: «قالَ تيـادروسُ

١ .يُنْظَرُ: تاريخ اللغات بالعروبية:١٤٥– ١٤٩، ويُنْظَرُ: الأساس في فقه اللغة (فولفد يتريش فيشر:٧٨)

٢ .يُنْظَرُ: علم اللغة العربة:١٨١– ١٨٢، والمدخل إِلَىٰ فقه اللغة العَرَبِيَّة:٨١.

٣ .يُنْظَرُ: الفهرست:١٢

المُفسرُ فِي تفسيرِه للسِّفْرِ الأَوَّل من التوراةِ: إنَّ اللهَ تباركَ وتعالىٰ خاطبَ آدمَ باللسانِ النَّبطيِّ، وهو أفصحُ من اللسانِ السريانيِّ، وبهِ كانَ يتكلمُ أهلُ العراقِ»[١]. وتُعرَفُ الأبجديةُ السِّريانيةُ الَّتِي ظَهرتْ فِي القرنِ الثَّاني للميلادِ باسمِ «كِتَابَة الإسطرنجالا»[٢] وهي تسميةٌ يونانيةٌ تعني «الْكِتَابَةَ المستديرةَ»، أُطلِقَتْ عَلَىٰ هذهِ الْكِتَابَةِ الَّتِي استعملَها المسيحيونَ السوريونَ فِي كتاباتِهم الدينيةِ وخصوصاً فِي ترجمتِهم أسفارَ الكتابِ المقدسِ المعروفةَ باسمِ «بْشِيتا»، أي «التَّرجَمَةُ البَسيْطَةُ»، الَّتِي سُمّيَتْ هكذا لحرفيةِ النقلِ عن العبريةِ، ـ وذلكَ لتمييزِ كِتَابَةِ الإسترانجلا من «الْكِتَابَةِ المربعةِ» الَّتِي استعملَها اليهودُ فِي تدوينِ أسفارِهم.

بعدَ الانشقاقِ الذي وقعَ فِي القرنِ الخامسِ للميلادِ بينَ صفوفِ السِّرْيَانِ إِلَىٰ يَعاقبةٍ ونَساطرةٍ، وهروبِ النَّساطرةِ من البيزنطيينَ إِلَىٰ بلادِ فارسَ، تفرعَ عن كِتَابَةِ الإسترانجلا كتابتان: «كِتَابَةُ السِّرْطا» «وتُعرَفُ اليومَ باسمِ «كِتَابَةِ السِّرْطو» الَّتِي يستعملُها اليعاقبةُ، و«الْكِتَابَةُ النسطوريةُ»[٣].

ويرىٰ كثيرٌ من القدماءِ أنَّ الخطَّ الاسترنجلا هو أصلُ الخطِّ العربيِّ[٤] عَلَىٰ الرغم من أَنَّهُ لمْ يَكُنْ له نظامُ حركاتٍ لتشكيلِ الكلماتِ وضبطِ الأصواتِ، كما هو حالُ الْكِتَابَةِ العَرَبِيَّة، لذلكَ يمكنُ القولُ بأنَّ أثرَهُ محدودٌ فِي الْكِتَابَةِ العَرَبِيَّة ويكادُ ينحصرُ فِي الخطِّ العربيِّ المعروفِ بالخطِّ الكوفيِّ الذي يشبهُهُ برسمِه الهندسيِّ[٥] وأمّا اليَعَاقِبَةُ فاسْتَعاروا مِن اليُونانيينَ أحرفَهم الصَّوتيَّةَ لِضَبْطِ أَصْواتِ لُغَتِهم، فاستَعانوا بالحروفِ الصَّوتيَّةِ اليُونَانِيَّةِ فرسموها فوقَ الحروفِ كَما هِي، وَتحتَ الحُروفِ

---

١. الفهرست:١٢

٢. يُنْظَرُ: الفهرست:١٢

٣. يُنْظَرُ: تاريخ اللغات بالعروبية:١٤٥_١٤٩.

٤. يُنْظَرُ: الكتابات القديمة:٢٢٤_٢٢٥.

٥. يُنْظَرُ: الأبجدية، نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب:٨٦.

مقلوبةً[1]، بَيْنَما أخذَ النَّساطِرةُ ذلكَ عن العربِ:

٧. هيئةُ كِتَابَةِ الإسطرانجلا:

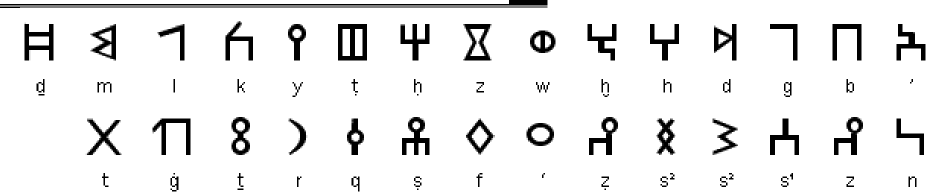
ܟ	ܝ	ܛ	ܚ	ܙ	ܘ	ܗ	ܕ	ܓ	ܒ	ܐ
ܟܦ	ܝܘܕ	ܛܝܬ	ܚܝܬ	ܙܝܢ	ܘܐܘ	ܗܐ	ܕܠܬ	ܓܡܠ	ܒܝܬ	ܐܠܦ
kap	yodh	ṭéith	ḥéith	zâyn	waw	hé	dalâth	gamâl	béith	alâp
k, k̲/kh	y	ṭ	ḥ	z	w	h	d, d̲/dh	g, ḡ/gh	b, b̲/bh	ʾ
[k, x]	[j]	[tˤ]	[ħ]	[z]	[w]	[h]	[d, ð]	[g, ɣ]	[b, v]	[ʔ]
20	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

ܬ	ܫ	ܪ	ܩ	ܨ	ܦ	ܥ	ܣ	ܢ	ܡ	ܠ
ܬܘ	ܫܝܢ	ܪܝܫ	ܩܘܦ	ܨܕܐ	ܦܐ	ܥܐ	ܣܡܟܬ	ܢܘܢ	ܡܝܡ	ܠܡܕ
taw	sheen	résh	qop	ṣadhé	pé	ʿain	simkâth	nun	meem	lamâdh
t, t̲/th	sh	r	q	ṣ	p, p̄/ph	ʿ	s	n	m	l
[t]	[ʃ]	[r]	[q]	[sˤ]	[p, f]	[ʕ]	[s]	[n]	[m]	[l]
400	300	200	100	90	80	70	60	50	40	30

خطُّ المُسْنَدِ

ذهبَ بعضُ الباحثينَ إلَى أنَّ الخطَّ المُسْنَدَ هو الخطُّ الَّذي دُوِّنَتْ به النُّقُوشُ اللحيانيةُ الَّتِي يعودُ تاريخُها إلَى سنةِ (٤٠٠) وسنةِ (٢٠٠) ق.م والنُّقُوشُ الثَّموديةُ الَّتِي تعودُ إلَى القرنِ الخامسِ ق.م[2]، وقد كُتِبَتْ النُّقُوشُ العَرَبِيَّةُ القديمةُ بخطٍّ أبجديٍّ يتكونُ من ٢٩ رَمْزَاً، إذْ يقومُ الخطُّ المُسْنَدُ عَلَى أساسِ الصَّوامتِ فقط، فهو خطٌّ لا يقومُ علَى تدوينِ الحركاتِ[3].

أنموذجٌ من الخطِّ المُسْنَدِ:



١.يُنْظَرُ: تاريخ اللغات بالعروبية:١٤٥-١٤٩

٢.فقه اللغة، وافي:١٠٠.

٣.يُنْظَرُ: علم اللغة العَرَبِيَّة:١٨٥

٨. الأبجديةُ العَرَبِيَّة الشماليةُ:

قيلَ إنَّ آدمَ عليهِ السلامُ هو أولُ مَن كتَبَ بالعَرَبِيَّة[١] وعن ابنِ عبدِ ربِّـهِ الأندلسيِّـ أنه يزعُمُ أنَّ النبيَّ إدريسَ عليهِ السلامُ أولُ من كتَبَ بالعَرَبِيَّة. ثم يعودُ، أسـطُراً بعـدَ ذلكَ، ليقُولَ إنَّ النبيَّ إسماعيلَ هو أولُ مَن كتَبَ بالعَرَبِيَّة[٢] إذْ دخلَ مع اللغةِ العَرَبِيَّـة الحديثةِ الخطُّ النبطيُّ المأخوذُ من الفينيقيينَ، وقيلَ إنّه نسبةٌ لنابتِ بنِ إسـماعيلَ عليـهِ السلامُ. وأخذَ ذلكَ الخطُّ مكانَ الخـطِّ الثمـوديِّ فِي شـمالِ الجزيـرةِ، وأصـبحَ الخـطَّ المعْتَمَدَ فِي لغةِ مضرَ (العَرَبِيَّة الحديثـةِ)، أمّـا لغـةُ حمـيرَ (العَرَبِيَّـة القديمـةُ الجنوبيـةُ) فحافظتْ عَلَىٰ الخطِّ المُسْنَدُيِّ.

وكانَ أقدمُ نـصٍّ عـربيٍّ مكتشـفٍ مكتوبـاً بـالخطِّ النبطـيِّ وهـو (نقـشُ الـنمارةِ) المكتشفُ فِي سوريا، الذي يرجعُ لعامِ ٣٢٨م. وفي الفـترةِ السـابقةِ للإسـلامِ كانـتْ هناكَ خطوطٌ أخرىٰ حديثةٌ للغةِ مضرَ مثل الخطِّ الحيريِّ (نسبةً إِلَىٰ الحـيرةِ)، والخـطِّ الأنباريِّ (نسبةً إِلَىٰ الأنبارِ).

وعندما جاءَ الإسْلامُ كانَ الخطُّ المستعملُ فِي قريشٍ هو الخطُّ النبطيُّ المطوَّرُ، وهو الخطُّ الذي استخدمَه النبيُّ صلّىٰ اللهُ عليهِ وسلّمَ فِي كِتَابَةِ رسـائلِه للملـوكِ والحكـامِ حينذاكَ، ويُلحَظُ فِي صورِ بعضِ تلكَ الخطاباتِ الاختلافُ عن الخطِّ العربيِّ الحديثِ الذي تطوَّرَ من ذلكَ الخطِّ. وبعضُ المختصّينَ يعتبرونَ ذلـكَ الخـطَّ النبطـيَّ المطـورَ عربياً قديماً، وأقدمُ مكتشفاتٍ منه (نقشُ زبدٍ) ٥١٣م، و(نقشُ أمِّ الجمالِ) ٥٦٨م.

وكان الحجازيونَ أولَ مَن حررَ العَرَبِيَّة مـن الخـطِّ النبطـيِّ، وبـدأَ يتغـيرُ بشـكلٍ متقاربٍ حتىٰ عهدِ الأمويينَ حينَ بدأَ أبو الأسـودِ الـدؤليُّ بتنقيـطِ الحـروفِ. وأخـذَ

---

١. صُبْحُ الأَعْشَىٰ في صِناعة الإنشاء: ٣/ ١٠

٢. العِقْدُ الفَريد: ٣/ ١٥٧

الخطّ النبطي –الذي هو أبو الخطِّ العربيِّ الحديثِ- فالأبجدية العَرَبِيَّة الشمالية، أبجديتنا الحالية، هي آخرُ الأبجدياتِ العروبية ظهوراً، اشتقَّها عربُ الشمالِ من أبجدياتِ إخوانِهم العروبيين فِي الشمالِ، فالخطُّ العربيُّ الشماليُّ هو سليلُ الأبجديةِ العروبية الشماليةِ الغربيةِ[1]، والأبجديةُ العَرَبِيَّة الشماليةُ هي الأبجديةُ العروبية الوحيدةُ الَّتِي استعملتْ حروفَ العلةِ للدلالةِ عَلَىٰ الحركاتِ الطويلةِ كما بيّنّا فِي أعلاه لأنَّ ذلكَ نادرٌ فِي العبريةِ والسريانيةِ اللتينِ لم تكونا تثبتانِ الحركاتِ الطويلةَ كِتَابَةً إلاّ نادراً. أسلفْنا أنَّ اللغاتِ العَرَبِيَّة القديمةَ كانتْ تكتبُ بالخطينِ المُسْنَديِّ والثَّموديّ.

هيئةُ الْكِتَابَةِ العَرَبِيَّة:

Final	Medial	Initial	Isolated	Final	Medial	Initial	Isolated	Final	Medial	Initial	Isolated
ـق	ـقـ	قـ	ق	ـز	—	—	ز	ـا	—	—	ا
ـك	ـكـ	كـ	ك	ـس	ـسـ	سـ	س	ـب	ـبـ	بـ	ب
ـل	ـلـ	لـ	ل	ـش	ـشـ	شـ	ش	ـت	ـتـ	تـ	ت
ـم	ـمـ	مـ	م	ـص	ـصـ	صـ	ص	ـث	ـثـ	ثـ	ث
ـن	ـنـ	نـ	ن	ـض	ـضـ	ضـ	ض	ـج	ـجـ	جـ	ج
ـه	ـهـ	هـ	ه	ـط	ـطـ	طـ	ط	ـح	ـحـ	حـ	ح
ـو	—	—	و	ـظ	ـظـ	ظـ	ظ	ـخ	ـخـ	خـ	خ
ـي	ـيـ	يـ	ي	ـع	ـعـ	عـ	ع	ـد	—	—	د
ء	—	—	—	ـغ	ـغـ	غـ	غ	ـذ	—	—	ذ
				ـف	ـفـ	فـ	ف	ـر	—	—	ر

١. يُنْظَرُ: الأساس في فقه اللغة، فيشر:٧٧.

ب. هيئةُ الحركاتِ العَرَبِيَّة:

لا	بُّ	بِّ	بَّ	بّ	بْ	بُو	بِي	بَا	بُ	بِ	بَ
lām 'alif				šadda	sukūn				ḍamma	kasra	fatḥa
lā	bbu	bbi	bba	bb	b	bū	bī	bā	bu	bi	ba

الخطّ العربيُّ بعدَ الإسْلامِ:

بظهورِ الإسّلامِ ظهرتِ الحاجةُ إِلَىٰ استعمالِ الخطِّ ومعرفةِ الْكِتَابَةِ، وقيلَ أولُ الخطوطِ العَرَبِيَّة الخَطُّ المكيُّ وبعدهُ المدنيُّ ثم الكوفيُّ[1].

وكان لرسولِ الله (ص) كتّابٌ يكتبونَ رسائلَه إِلَىٰ الملوكِ والأمراءِ، وقد بلغَ عددُهم اثنينِ وأربعينَ كاتباً، و أولُ مَن كتبَ لهُ أُبَيُّ بنُ ابي كعبٍ، ومن أشهرِ كتّابِ رسولِ الله (ص):عليُّ بنُ أبي طالبٍ (ع)، وعثمانُ بنُ عفانٍ (رض)، وعمروُ بنُ العاصِ، وَزيدُ بنُ ثابتٍ، وشرحبيلُ بنُ حسنة، وغيرُهم[2].

الإعجامُ ونقطُ الإعرابِ:

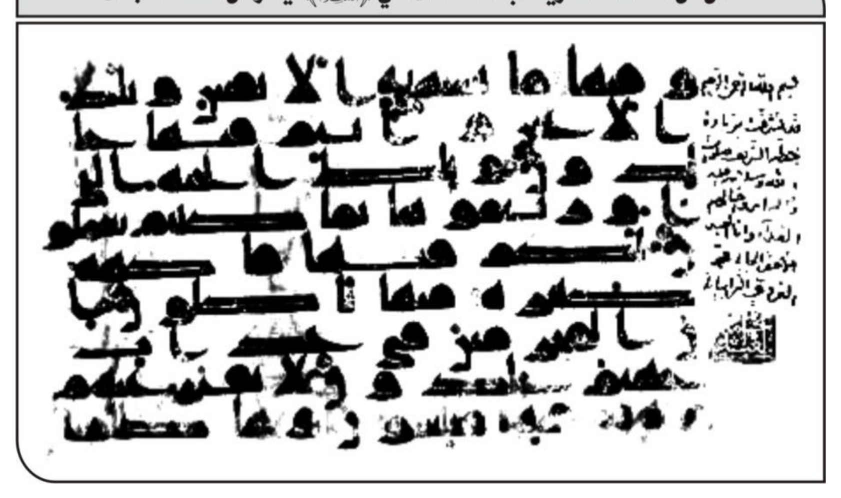
إنَّ عدةَ حروفِ المُعجمِ فِي العَرَبِيَّة تسعةٌ وعشرونَ حرفاً، وبعضُ هذهِ الحروفِ يشتركُ مع غيرِه من الحروفِ بالرسمِ فِي حالةِ الإفرادِ، نحوَ: د، ذ، ر، ز. أو في حالةِ التركيبِ، نحوَ: النون والباء، وعلىٰ هذا الأساسِ احتيجَ إِلَىٰ مميزٍ يميزُ بعضَ الحروفِ عن بعضٍ ليزولَ اللبسُ ويذهبَ الاشتراكُ، وقيلَ إنَّ العربَ الأوائلَ كانوا لا يميلونَ إِلَىٰ هذا الصنيعِ، لأنّه فِي تصورِهم منقصةٌ بالمرسلِ إليه، ونُقِلَ عن بعضِ الأدباءِ أنه قالَ: ((كثرةُ النقطِ فِي الْكِتَابَةِ سوءُ ظنٍّ بالمكتوبِ إليه)).

---

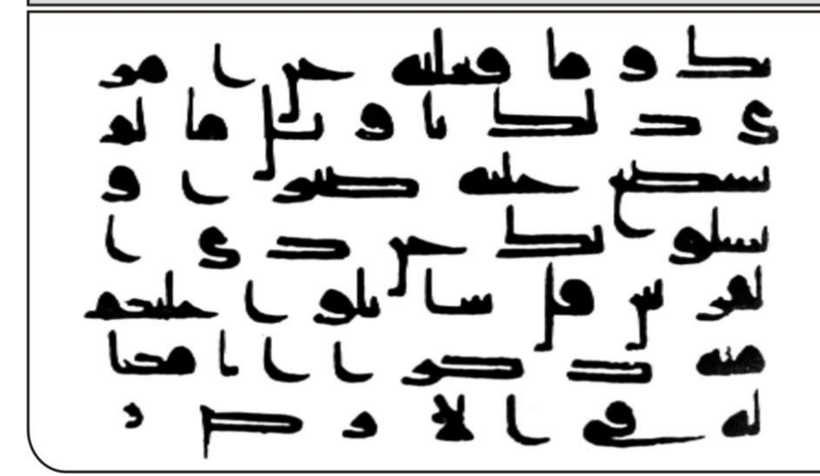
١. يُنْظَرُ: الفهرست لابن النديم:٩.

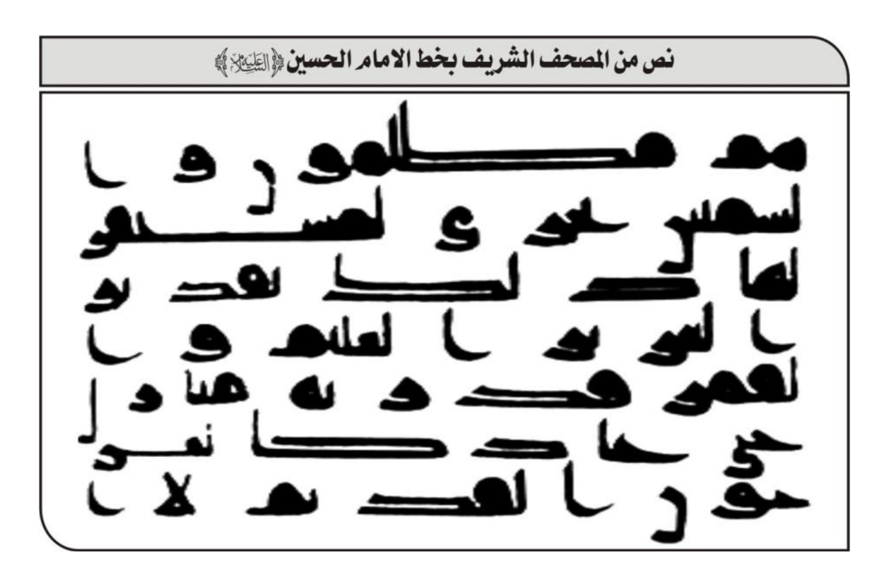
٢. يُنْظَرُ: الخط العربي سهيلة الجبوري:٢٩.

نص من المصحف الشريف بخط الامام علي (عليه السلام) يخلو من نقط الاعجام



نص من المصحف الشريف بخط الامام الحسن (عليه السلام)




نص من المصحف الشريف بخط الامام الحسين (عليه السلام)

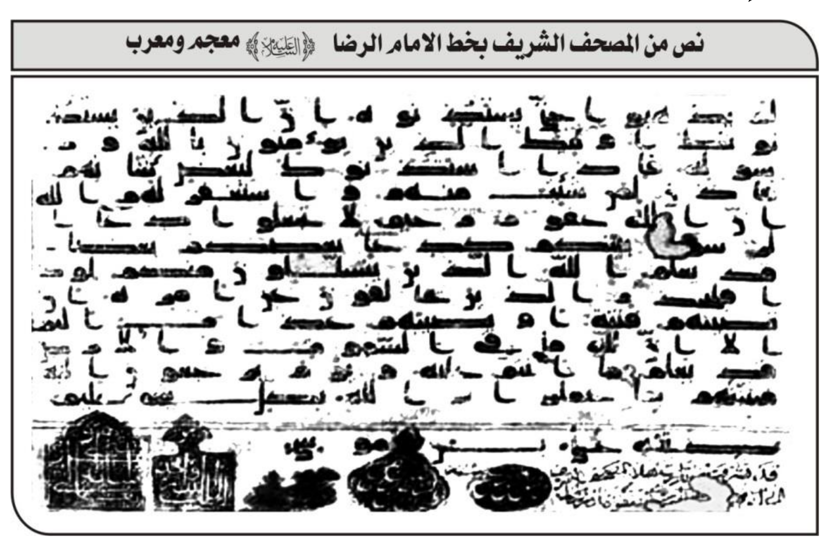
فالملاحَظُ عَلَىٰ تلكَ النُّصوصِ أنها تخلو من نقطِ الإعجامِ فضلاً عن علاماتِ الإعرابِ، ولكنْ من الغريبِ أنْ نجدَ أنَّ تاريخَ الإعجامِ يعودُ إِلَىٰ نشأةِ الْكِتَابَةِ، وقصةُ وضعِ الحروفِ من قِبلِ ثلاثةِ رجالٍ من قبيلةِ بولانَ هم: مرارُ بنُ مرةَ، و أسلمُ بنُ سدرةَ، و عامرُ بنُ جدرةَ، فقدْ وضعَ مرارٌ الصورةَ، و وضعَ الوصلَ والفصلَ أسلمُ، و وضعَ عامرٌ الإعجامَ[1]. ويُفهَمُ من هذهِ الروايةِ أنَّ الإعجامَ وُضعَ مع وضْعِ الحروفِ، وهذا فيه نظرٌ.

أمّا بعدَ الإسْلامِ فيعودُ تاريخُه إِلَىٰ زمنِ عبدِ الملكِ بنِ مروانَ، وقيلَ إنّ تلميذَيّ أبي الأسودِ، نصرُ بنُ عاصمٍ، و يحيىٰ بنُ يعمُرَ قاما بهذا العملِ لتمييزِ الحروفِ المتشابهةِ. إذْ بلغَ عددُ الحروفِ المنقوطةِ خمسةَ عشرَ حرفاً، أمّا تاريخُ وضعِ نقطِ الإعرابِ فتذهبُ بِهِ الروايةُ إِلَىٰ أنَّ أبا الأسودِ الدؤليَّ هو من قامَ بهذا الأمرِ بعدما سمعَ أعرابياً يقرأُ: ((أَنَّ اللهَّ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ)) بالكسرِ، فطلبَ من ابنِ زيادٍ أنْ يأتيه

١. يُنْظَرُ: الفهرست: ٧، وصبح الأعشىٰ في صناعة الانشاء: ٣/ ١٥١.

بكاتبٍ لَقِنٍ، فوجدَهُ من عبدِ قيسٍ، وطلبَ منهُ أن يأتيَ بالمصحفِ ومدادٍ يخالفُ لونَ مدادِ المصحفِ، وقالَ له: اسمع إلي فإذا وجدْتَني فتحتُ شفتيَّ بحرفٍ فاجعلْ نقطةً فوقه، وإذا أنا كسرتُها عند نطقي بالحرفِ، فاجعلْ نقطةً تحته، وإذا ضممتُها فاجعلِ النقطةَ إِلَىٰ جانبِ الحرفِ الذي نطقتُ بهِ، وإذا اتبعتُ شيئاً من الحركاتِ ((غُنّةً)) أي تنويناً فاجعلِ النقطةَ نقطتينِ[1]

نص من المصحف الشريف بخط الامام الرضا (عليه السلام) معجم ومعرب



أمّا شكلُ هذه النقاطِ فقد اختلفتْ صورُه، فمنهم مَن رسمَها مدورةً مسدودةَ الوسطِ، ومنهم من جعلَها مدورةً مجوفةَ الوسطِ. ثمَّ زادَ أهلُ المَدينَةِ علامةً للحرفِ المشدَّدِ، وزيدتْ أيضاً علامةٌ أخرىٰ فوضعَ للسكونِ جرةٌ أفقيةٌ فوقَ الحرفِ.

وظلتْ طريقةُ أبي الأسودِ مستعملةً إِلَىٰ أنْ جاءَ الخليلُ بنُ أحمدَ و وضعَ رموزَه الخاصةَ الَّتِي اقتطعَها من صورِ حروفِ العلةِ (و،ا، ي) أمّا السُّكونُ فرمزَ لها بدائرةٍ تشبهُ الميمَ، وللتشديدِ رأسُ شينٍ، وللهمزةِ رأسُ عينٍ، وللوصلِ رأسُ صادٍ.

١.يُنْظَرُ: وفيات الاعيان:٢/ ٢١٧والفهرست:٤٥، و قصة الكتابة:٥١، والبحث اللغوي عند العرب:٦١

علاماتُ التَّرقيمِ: بعدَ مرحلَتَيِّ الحركاتِ والإعجامِ، جاءتِ المرحلةُ الثالثةُ مكملةً للمرحلتينِ السابقتينِ. ألا وهي وضعُ علاماتِ الترقيمِ، فقدْ كانَ من عيوبِ الْكِتَابَـةِ القديمةِ فِي النصِّ العربيِّ القديمِ رصُّ الكلماتِ رصّـاً متجـاوراً لا فرجـةَ بينهـا، ولا نهايةَ لجُمَلِها، ولا فواصلَ تحدُّها، مما نشأَ عنه تداخلُ أجزاءِ الجملِ بعضِها مع بعضٍ، واضطرابِ المعاني.

ولهذا جاءَ وضعُ علاماتِ الاستفهامِ، والتعجبِ، والفواصلِ، والنقطةِ، وإلخ

عيوب ومشكلاتُ الخطِّ العربيِّ[1] :

١. إنَّ الحرفَ العربيَّ المنطوقَ يختلفُ عن المكتوبِ، فالمكتوبُ عارياً من الحركاتِ يقودُ إِلَىٰ اللحنِ لا سيما عند المبتدئينَ وقليلي الثقافةِ.
٢. تعدُّدُ صورِ الحرفِ الواحدِ فِي الْكِتَابَةِ حسبَ موقعِه فِي اللفظِ.
٣. مشكلةُ الظاءِ والضادِ فِي العَرَبِيَّة تثيرُ الكثيرَ من الصعوباتِ فِي إيجادِ الفرقِ بينَ صوتيهما.
٤. التباينُ بينَ اللغةِ الفصحىٰ والعاميةِ فِي أصواتِ المدِّ القصيرةِ، إذْ يؤثرُ فِي فهمِ الأوزانِ العَرَبِيَّة.
٥. التَّقاربُ بينَ رسمِ الحروفِ يقودُ إِلَىٰ تحريفِ بعضِ الكلمِ كالذي يحصلُ بين الراءِ والدالِ والحاءِ والميمِ.
٦. إعجامُ الحروفِ أوجدَ ما يسمىٰ بالتصحيفِ، وهو نتيجةُ تغييرِ موضعِ النقطِ كأنْ تزحفَ النقطةُ من حرفٍ منقوطٍ إِلَىٰ غيرِه أو تزيدُ فِي بعضِ الحروفِ.

---

١ يُنْظَرُ: فقه اللغة الدكتور عبد الحسين المبارك:١٥٦.

الفصل الخامس

اللغـةُ العربيةُ الفُصحى... جمعُها وتدوينُها ومصادرُها

جُمِعَت المادةُ اللغويةُ من النَّاطقينَ بها، بالذهابِ إليهم أو مشافهةً دون تحديدِ منهج يعينُ على ترتيبِ المادةِ اللغويـةِ المجموعـةِ وتبويبِهـا[1]، و الباحـثُ في تَـدوينِ الفِكـرِ اللغويِّ عِندَ العَربِ لَمْ يَجِدْ سِوى مَا خلّدَه القُدَماءُ في رواياتِهم -الَّتي تَنَاقَلَهـا العُلـماءُ الأوائلُ في مُنْتَصَفِ القرنِ الثاني الهجريِّ وحتى الرابعِ الهجريِّ- تَسجيلاً لمشـافهتِهم للأَعرَابِ في حِلِّهِم وتِرحَالِهِم، ويقولُ أبو عَمْرُو: «سمعتُ الكسائيَّ يقـولُ: حـداني على النظرِ في النحوِ أني كنتُ أقرأُ على حمزةَ الزيّاتِ، فتمرُّ بي الحجـةُ ولا أتجـهُ لهـا ولا أدري ما الجوابُ فيها... وكانتْ قبائلُ العربِ متصلةً بالكوفةِ، فخرجـتُ وأهـلي لا يعلمون بخروجي، فلما صرتُ إلى ظـاهرِ الكوفـةِ ولقيـتُ القبائـلَ جعلـتُ أسـألُهم فيخبرونني مشافهةً ويُنشدونني الأشعارَ...»[2]، ومُنذُ ذَلِكَ الوقتِ لَمْ نَلحظْ أيَّ جُهدٍ لُغَويٍّ في هذا الميدانِ بالرَغْمَ مـن ظُهـورِ الجُغـرافيين العـربِ وتـدوينِهم للمعـارفِ الجغرافيةِ في شكلِها العامِّ الواسعِ، وهذا يعني أنَّ موضوعةَ الجغرافيةِ اللغويةِ لَمْ تَكُن مِن موضوعاتِ الدَّرسِ اللُغويِّ عندَ القـدماءِ بِمفهُومِهَـا الحـديثِ الواسـعِ[3] الَّـذي يَقتضي جَمْعَ واستقصاءَ المَادةِ اللغويةِ وتوزيعَها على خرائطَ ميدانيـةٍ حسـبَ البيئـاتِ

---

١) يُنظَرُ: البحث اللغوي عند العرب: ٦٢.

٢) مجالسُ العلماءِ: ٢٦٦-٢٦٧.

3) David – Crystal: The linguistic Atlas of England: 30 ((Geographical Identitx)).

اللغويةِ، وهذا مَا يتمثلُ بالمظهرِ التسجيليِّ الذي يرتكنُ إلى تحديدِ المادةِ اللغويـةِ نَوْعـاً وكمّاً فضلاً عَنْ ذَلِكَ تَحديدُ الطرائقِ الُمستخدَمَةِ في جَمْعِ المَادةِ اللغويةِ من رواةِ اللغـةِ[1] ثُمَّ العملُ على تحليلِ المادةِ اللغويةِ الَّتي جُمِعَتْ مِنْ مُحِيطِها الجغـرافيِّ وتحديـدِ الفـروقِ لتنوعاتِها اللغويةِ – الصوتيةِ- الصرفيةِ- التركيبيةِ، الدلالية – التي جُمِعَتْ مِن ذلـكَ المحيطِ – بَل قَصَدوا إِلى هذا الموضوعِ في إطارِ منهجِهِ الوصفيِّ الَّذي يَقتضي وَصـفَ اللغةِ أو اللهجةِ في مستوياتِها الُمختلفةِ[2] وتحديدَها وفَصلَ بَعضِها عَـنْ بعـضٍ نتيجـةَ التمايُزِ والاختلافِ الصَّوتيِّ والصَّرفيِّ والُمعجمـيِّ فَضْـلاً عـنِ الاخـتلافِ التركيبـيِّ، وهذا العَمَلُ وفي إطارِ هذا المنهجِ يُمكِنُ تبويبُهُ ورسـمُ الحـدودِ اللغويـةِ مِـنْ خـلال أنواعِ الخرائطِ اللغويةِ، إلا أنَّ هذا التنوعَ اللغويَّ لَمْ يكـنْ في نظـرِ القـدماءِ بِمُسْـتَوَى الِّلسانِ الفصيحِ إذْ يَرَونَ في ذلك نَوْعَاً مِنَ الانحرافِ اللغوي الـذي نَعَتَـهُ بَعْضُـهم[3] باللغاتِ المذمومةِ أو الشاذةِ.

أمَّا مَوقِفُهم مِنَ اللسانِ الفصيحِ فقد ذَهَبَ بَعْضُهم إلى تحديدِ التنوعِ اللغويِّ الفصيحِ مُعتَمِداً في ذلكَ المجالَ الجغرافيَّ الذي تَحركَ فِيهِ عُلماءُ العربيةِ الأوائلُ –أبو عمرو بنُ العلاءِ ويونسُ بنُ حبيبٍ وعيسى بنُ عمرَ والخليلُ بنُ أحمدَ والكسائيُّ – في شبهِ جزيرةِ العربِ – إلا أنَّ التحديدَ المكانيَّ الذي يتمثلُ باللسانِ الفصيحِ لم يَكُنْ مُرتبطاً ارتباطاً وَثيقاً بالتنوعِ اللغويِّ، أي لَمْ يربطْ هؤلاءِ اللغويون المثالَ اللغويَّ بذلكَ المجالِ الجغرافيِّ بمعنى أنَّهم لم ينسبُوا الظواهرَ اللغويةَ بشكلٍ واضحٍ وصريحٍ

---

1) من الكتب التي صنفت في مادة رواية اللغة، أو كان موضوع السماع و الرواية جزءا من مادتها عند القدماء و المحدثين (الخصائص لابن جني، ولمع الأدلة في أصول النحو لعبد الرحمن بن محمد الأنباري و الاقتراح في علم أصول النحو و المزهر في علوم اللغة لجلال الدين السيوطي و الكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي و الرواية و الاستشهاد باللغة للدكتور محمد عيد، و الإعراب و الرواة و رواية اللغة و مصادر اللغة للدكتور عبد الحميد الشلقاني و البحث اللغوي عند العرب للدكتور احمد مختار عمر.

2) يُنظَرُ: المدخلُ إلى علمِ اللغةِ/ ١٨٢.

3) يُنظَرُ: الصاحبيُّ: ٣٥، الخصائصُ: ١/ ٣٩٩-٤٠٠، المزهرُ: ١/ ٢٢١-٢٢٦ [معرفةُ الرديءِ والمذمومِ من اللغاتِ].

إلى بيئاتِها اللغويةِ بَل اكتفَوا بوصفِ هذهِ البيئاتِ بالفصيحةِ دُونَ تحديدِ النَّوعِ اللغويِّ.

من خلالِ هذا العرضِ - وما سبقَهُ من استقراءٍ للجهدِ اللغويِّ عندَ القدماءِ لاسيَّما في كتابِ سيبويهِ-، فإنَّ الباحثَ في التراثِ اللغويِّ لا يعدمُ الفكرَ اللغويَّ الجغرافيَّ عندَ العربِ لأنَّ ثَمَّةَ مَعَالِمَ اعتمدَها القدماءُ في بيانِ النَّوعِ اللغويِّ الفصيحِ إذْ مِنَ المُمكنِ تَوظيفُها والعملُ على تقنينِها وهذا ما يوجِبُ على الباحثِ تدبيرَ المادةِ اللغويةِ مستنداً إلى التحديدِ المكانيِّ باستخدامِ خريطةِ الميدانِ وسيلةً للحصرِ والاستقصاءِ، وهذا مَا يَرتبطُ بأوليةِ الجغرافيةِ اللغويةِ[1]، ومِنَ المُمكنِ الوصولُ إلى التنوعاتِ اللغويةِ في محيطِها الجغرافيِّ العربيِّ في تلكَ الفترةِ (...-١٨٠هـ) من خلالِ النظرِ في ما صنّفه القدماءُ، علماً أنَّ الدرسَ اللغويَّ اللسانيَّ العربيَّ[2] لا يزالُ بَعِيْدَاً كلَّ البُعْدِ عن مَنهجيةِ وعملِ الأطلسِ اللغويِّ، وبالرَغمَ من ذلكَ يمكنُ أنْ نربطَ بين استراتيجيةِ البحثِ في موضوعةِ الأطلسِ اللغويِّ –وهي جمعُ التنوعاتِ اللغويةِ في بيئاتٍ معينةٍ عندَ علماءِ الغربِ فضلاً عن بعضِ المشتغلينَ في اللغةِ العربيةِ[3] - وعملِ علماءِ العربيةِ في بحثِهم اللغويِّ الذي بحثَ في لغةِ العربِ من حيثُ بنيتُها وحركاتُها ومادتُها التي استخدموها وأساليبُها التي جرتْ على ألسنتِهم.

أمَّا من حيثُ الكتابةُ فكان اللغويونَ (الرواةُ) – الذين جمعُوا اللغةَ جُلُّهم يعرفونَ الكتابةَ – يدونونَ عن الأعرابِ ما كانوا يسمعون، قالَ أبو العباسِ ثعلبٌ: «دخلَ أبو عمرو إسحقُ بنُ مُرارٍ الباديةَ ومعهُ دستيجان حبراً، فما خرجَ حتى أفناهما بكتبِ

١) يُنظَرُ: في البلاغةِ العربيةِ (من الجغرافيةِ اللغويةِ إلى الجغرافيةِ الأسلوبيةِ): ١٦٥.
٢) ينظر: الجغرافيةُ اللغويةُ وأطلسُ برجشتراسر، ((د. رمضان عبد التوّاب)) مجلةُ المجسَّم ج(٣٧): ١١٩-١٢٤.
٣) يُنظَرُ: الفصل الأول ((الفكر اللغوي الجغرافي عند العرب)) المبحث الأول: ثانياً: مبادئ علم الجغرافية اللغوية في مباحث المحدثين العرب.

سماعِهِ عن العربِ»[1]، وقد سألَ الكسائيُّ الخليلَ: «من أيـنَ أخـذتَ علمَـك هـذا؟ فقال: من بوادي الحجازِ ونجدٍ وتِهامةَ، فخرجَ ورجعَ وقد أنفـد خمـسَ عشرـةَ قنينـةَ حبرٍ في الكتابةِ عن العربِ سوىٰ ما حَفِظَ»[2]، وقد أخذَ العلماءُ مادةَ بحـثِهم اللغـويِّ من أفواهِ الأعرابِ عن طريقين، الأولِ: الرحلةُ إلىٰ البادية والحصولُ علىٰ اللغـةِ مـن أفواهِ الأعرابِ المقيمينَ في كبدِ الصحراءِ، فهذا الخليلُ بنُ أحمدَ[3] يأخذُ علمَهُ من باديةِ الحجازِ ونجدٍ وتهامةَ، وأبو عمرو بنُ العلاءِ الذي جاورَ البدوَ أربعينَ سنةً[4].

ويتضحُ ذلكَ الجهدُ أكثرَ في ما روي عن علماءِ اللغةِ وما حوتْهُ مُصنفاتُهم التي تضمنتْ عباراتٍ توحي بهذا العملِ، وإلىٰ جانبِ ذلكَ هنالكَ أفرادٌ[5] من القبائلِ العربيةِ ساعدوا اللغويينَ في جمعِ الغريبِ من اللغةِ وكان بعضُ هؤلاءِ يتلقونَ أجوراً تتناسبُ مع ما يقدمونَ من معلوماتٍ[6].

أما الطريقُ الثاني فقد تمثَلَ بقدومِ الأعرابِ إلىٰ البصرةِ والكوفةِ وكانتِ البصرةُ علىٰ حافةِ الباديةِ يأتي إليها الأعرابُ يقضونَ حاجتَهم في الحاضرة، منهم من يعودُ لوقتِهِ ومنهم من تطولُ إقامتُه ومنهم من يستقرُّ[7]، ومِن هؤلاءِ أفار بنُ لقيطٍ – قيلَ كان يجلسُ علىٰ زبالةٍ عاليةٍ، واجتمعَ إليهِ أصحابُه يأخذونَ عنه[8] وأبو البيداءِ الرياحيُّ – نزلَ البصرةَ وكان يعلّمُ الصبيانَ بأجرٍ، وأبو سِوّارٍ الغَنَويُّ[9] كان فصيحاً أخذَ عنه أبو عبيدةَ وله مجلسٌ مع محمدِ بنِ حبيبِ بنِ أبي عثمانَ المازنيِّ وأبي خَيرة

١) أنباه الرواة علىٰ أنباه النحاة: ١/ ٢٢٤.
٢) المصدر نفسه:٢/ ٢٥٨.
٣) المصدر نفسه: ٢/ ٢٥٨.
٤) يُنظَرُ: مجالس العلماء للزجاجي١٧١.
٥)أبو مالك عمرو بن كركرة أعرابي كان يعلم في البادية وكان يحفظ اللغة كلها. الفهرست١/ ٤٤
٦) يُنظَرُ: اللهجات العربية الغربية القديمة / ٣٩-٤٠.
٧) يُنظَرُ: رواية اللغة: ٧٠-٧١، ويُنظَرُ: الرواية والاستشهاد باللغة / ٢٢.
٨) الفهرست: ١/ ٤٤.
٩) المصدر نفسه: ١/ ٤٥.

نهشلِ بنِ زيدٍ بدويٍّ من بني عَديٍّ دخلَ الحِيرةَ[1] وكان أبو عمرو بنُ العلاءِ من جلسائِه فقال له ذاتَ مرةٍ: «كيفَ تقولُ: حفرت ارَاتِك؟ فقال: حفرتُ ارَاتِك، قال: فكيف تقولُ: استأصلَ اللهُ عِرقاتهم أو عِرقاتَهم؟ فقال: استأصلَ اللهُ عِرقاتَهُم. فلم يعرفْها أبو عمروٍ وقالَ: لانَ جلدُكَ يا أبا خَيرة، يقولُ: أخطأتَ»[2] وآخرونَ من فصحاء العرب اقتضى جمعهم على النحو الآتي:

أبو مالكٍ عمروُ بنُ كركرةَ أعـرابيٌّ يعلّـمُ النـاسَ في الباديـةِ[3]، أبـو عَـرارٍ أعـرابيٌّ فصيحٌ[4]، أبو زيادٍ الكلابيُّ عبدُ الله بنُ الحرِّ أعرابيٌّ بدويٌّ، أبو الجاموسِ ثورُ بـنُ زيـدٍ أعرابيٌّ وكان يفدُ البصرةَ، أبو الشَمح أعـرابيٌّ بـدويٌّ نـزلَ الحـيرةَ شـبيلُ بـنُ عرعـرَ الضبيُّ، أبو عدنان عبدُ الرحمنِ، عبدُ الأعلى أبو ثوابةَ الأسديُّ، أبو شبلٍ العقيليُّ همح بنُ محررٍ البصريُّ من بني أسدِ بنِ خُزيمةَ، أبو محلّمٍ الشيبانيُّ محمدُ بنُ سعدٍ السعديُّ، أبو مسحلٍ عبدُ الوهابِ بنُ حريشٍ، أبو ثروانَ العكليُّ أعرابيٌّ فصيحٌ يعلمُ في الباديةِ، أبو ضمضمٍ الكلابيُّ، أبو عثمانَ سعيدُ بنُ ضمضمَ البهدليُّ، عمـروُ بـنُ عـامرٍ راجـزٌ فصيحٌ، جهمُ بنُ خلفٍ المازنيُّ راويةٌ عالمٌ بالغريبِ من تميمٍ كان في عصرِ خلفَ الأحمرِ و الأصمعيِّ[5] ،أبو مسهرٍ الإعرابيُّ محمدُ بنُ أحمدَ بنِ مـروانَ[6] الحرمـازيُّ، أبـو عـليٍّ الحسنُ بنُ عليٍّ قدمَ البصرةَ ونزلَ بها[7]، أبو العميثـلِ عبـدُ الله بـنُ خليـدٍ[8] عبّـادُ بـنُ كسيبٍ من بني عمروِ بنِ جندبٍ من بني العنـبرِ [9] الفقعسيُّ- محمـدُ بـنُ عبـدِ الملـكِ

---

١) المصدر نفسه: ١/ ٤٥.

٢) مجالس العلماء للزجاجي:٥، وأنباه الرواة على أنباه النحاة: ٤/ ١١١-١١٢.

٣)الفهرست :١/ ٤٤، معجم الأدباء: ٤/ ٥٠٩.

٤) المصدر نفسه: ١/ ٤٤، يُنظَرُ أنباء الرواة :٤/ ١٧٤.

٥) يُنظَرُ: معجم الأدباء: ٢/ ٤٠٢

٦) المصدر نفسه:١/ ٤٧، أنباه الرواة :٤/ ١٧٦.

٧) المصدر نفسه:١/ ٤٨. أنباه الرواة :٤/ ١٤٧.

٨) المصدر نفسه:١/ ٤٨-٤٩ أنباه الرواة:٤/ ١٤٣.

٩) المصدر نفسه:١/ ١٤٩.

الأسديُّ راويةُ بني أسدٍ[1] ابنُ أبي صبحٍ عبدُ اللهِ بنُ عمروٍ أبي صبحٍ المازنيُّ[2] ربيعةُ البصريُّ بدويٌّ تحضَّرَ فيما بعد[3].

نوعُ المادةِ اللغويةِ

تنوعتِ المادةُ اللغويةُ التي جُمعتْ ودُونتْ فيما بعدُ على أربعةِ أنواعٍ:

- النَّوْعُ الأولُ: ما يتعلقُ بمعنى العبارةِ، إذْ جُمعتْ هذه المادةُ في وضعٍ خاصٍ وعلى نمطٍ خاصٍ تمثلتْ بالمعجمِ العربيِّ، وأولُ مصنَّفٍ وصلَ إلينا على هذا المنهجِ في جمعِ اللغةِ وضبْطِها كتابُ (العينِ) للخليلِ بنِ أحمدَ الفراهيديِّ (١٨٠هـ)[4].
- **النَّوْعُ الثاني**: ما يتعلقُ بالاستعمالِ اللغويِّ عندَ العربِ، إذْ جُمعتْ هذه المادةُ بجهودِ علماءِ العربيةِ الأوائلِ مِنَ الطَّبقةِ الثالثةِ والرابعةِ، وقامَ سيبويهُ بتصنيفِها وتنسيقِها، فأبدعَ في ذلكَ، وهذه المادةُ المسجَّلةُ عن العربِ التي تتمثلُ في العربيةِ الفصحى قد تنوعتْ من حيثُ الاستعمالُ اللغويُّ بمستوياتِه المختلفةِ إلى نوعين، الأولُ: ما تمثلَ باللغةِ النَّفعيةِ أي الحوارُ اليوميُّ و الأمورُ العامةُ، وهذا الضربُ من الاستعمالِ يطَّردُ ذكرُه في التمثيلِ اللغويِّ و الاستدلالِ على أصلِ الاستعمالِ اللغويِّ الفصيحِ المتمثلِ في النَّوْعِ الثاني أي اللغةُ الأدبيةُ (شعر – نثر) وهذا هو الأكثرُ في مباحثِ القدماءِ من اللغويين العربِ لأنَّ الأصولَ النحويةَ المتمثلةَ بهذا النَّوْعِ وردتْ بكثرةٍ في

---

١) المصدر نفسه:١/ ١٤٩، أنباه الرواة :٣/ ٩.

٢) المصدر نفسه:١/ ٤٩.

٣) المصدر نفسه:١/ ٥٠، أنباه الرواة :٢/ ٩.

٤) يُنظَرُ: الصحاح ومدارس المعجمات العربية/ ٧٣-٨٦. وعلم الدلالة والمعجم العربي / ١١٦، أصالة علم الأصوات عند الخليل:١٤.

المستوياتِ اللغويةِ و بأساليبِها المختلفةِ[1].

- **النَّوْعُ الثالثُ**: ما يتعلقُ بالمفرداتِ وتفسيرِها على غـيرِ العـادةِ، وكـما تيسَّـرَ للعالِمِ اللغويِّ سماعُها وتسجيلُها دونَ مراعـاةٍ في ذلـكَ لترتيـبٍ أو تنظـيمٍ، كمجالسِ العلماءِ للزَجَّاجيِّ، ومجالسِ ثعلبٍ، وكتبِ الأمالي.
- **النَّوْعُ** الرابعُ: ما يتعلقُ بالمعاني العامةِ وهذا الجمعُ يندرجُ تحتَ النَّـوْعِ الأولِ ويسمّى بمعاجمِ المعاني كالمخصَّصِ لابنِ سيدةَ وغيرِه ممـن صـنَّفوا في هـذا المعنى.

موقفُ القدماءِ العرب من المادةِ اللغويةِ:

لاشكَّ أن جهدَ اللغويِّ قديماً كانَ منصبَّاً على جمعِ المادةِ اللغويةِ من خـلالِ طـرحِ الأسئلةِ وتسجيلِ المادةِ المرويةِ والتثبتِ من صحتِها من خلالِ طريقةِ طرحِ السـؤالِ، كما في نصِّ ابنِ جنّي يقولُ: «سألتُ يوماً أبا عبدِ الله محمدَ بنَ العسَّافِ العقيليَّ الجوثيَّ التميميَّ فقلتُ لهُ: كيفَ تقولُ: ضربتُ أخوكَ؟ فقالَ: أقولُ: ضربتُ أخاكَ. فأدرتُـه على الرفعِ فأبى، قالَ: لا أقولُ: أخوكَ أبداً. قلتُ: فكيـفَ تقـولُ: ضربَنـي أخـوك؟ فرفعَ، فقلتُ: ألستَ زعمتَ أنكَ لا تقولُ: أخوكَ أبداً؟ فقالَ: أَيْش هـذا؟ اختلفـتْ جهتا الكلامِ»[2]، ومثلُ ذلكَ في توجيهِ الأسئلةِ والتحري عن الصوابِ الكثـيرُ في مـا روي عن علماءِ العربيةِ باعتبارِهم مسجلين للغةِ على شكلِ روايـاتٍ لغويـةٍ وتحديـدِ بيئاتٍ بعينِها «كتميمٍ والحجازِ وهذيلٍ وأسدٍ وطيّءٍ» إذْ تهيأَ لهم من الرحلةِ إلى الباديةِ والسماعِ من الأعرابِ في مواطنِهم وديارِهم معرفـةِ الجغرافيـةِ اللغويـةِ، فَضـلاً عَـنْ تَحديدِ النَّماذجِ اللغويةِ التي لم يُقرَّهَا الاستعمالُ اللغويُّ[3] إذْ مِنَ الكلامِ مَا لا يُدرى أنَّهُ

١) يُنظَرُ: القاعدة النحوية:٦٩.

٢) الخصائص: ١/ ١٢١.

٣) ينظر : مصنف ابن خالويه (ليس في كلام العرب) (ودراسة د. محمود سليمان ياقوت (التَّراكيب غير الصحيحة نحوياً في الكتاب لسيبويه)

كذا حتى تَعْلَمَ أنَّ العربَ تكلَّمُ بِهِ وإلاّ فَلا يُؤخذُ لغةً[1]، إلاّ أنَّ هـذِهِ الآثـارَ اللغويـةَ ظلتْ كما هي إلى فترةٍ غيرِ بعيدةٍ[2]، حتى حُدِّدَ النَّوْعُ اللغويُّ في البيئةِ اللغويةِ المعينـةِ، وهذا – النَّوْعُ اللغويُّ – لم يتخطَّ حدودَ تلكَ البيئةِ اللغويةِ وتلكَ اللغةَ التي تكلمتْ بها العربُ في ذلكَ الزمنِ، إذ نجدُ القائمينَ على هذه البحوثِ والدراساتِ غيرَ آبهينَ باللغاتِ المحكيةِ في تلكَ الفتراتِ المتزامنةِ مبتعدينَ عن مراحلِ تطـورِ اللغـةِ وعـدمِ مراقبةِ ما كان غيرَ مستعملٍ من اللغةِ واستُعمِلَ فيما بعدُ في اللغةِ المحكيةِ، على الرغمِ من وجودِها فما تعرضَ له القدماءُ من الوصفِ والتصنيفِ ومنه كتابُ سيبويهَ حافلٌ بهذِهِ المادةِ اللغويةِ وتلك المروياتِ التي لا تجيزُ بعضَ الاستعمالاتِ اللغوية.

التحديدُ الجغرافيُّ في البحثِ اللغويِّ عندَ العربِ

تُعَدُّ الخريطةُ اللغويةُ أداةَ الجغرافيِّ اللغويِّ ولا تجوزُ كتابةُ الجغرافيةِ اللغويةِ الحديثةِ دونَ الاستعانةِ بالخريطةِ، والعربُ الأوائلُ لم يكنْ لهم في رسمِ الخرائطِ معرفةٌ تُذكَرُ إلاّ أنّهم اعتمدُوا التصويرَ الذي يحكي موضعَ الإقليمِ ثم ذِكْرُ ما يحيطُ به من الأماكنِ[3].

وقد أسهمَ الجهدُ اللغويُّ العربيُّ – المتمثِّلُ بالنَّوْعِ الرابعِ من المادةِ اللغويةِ – في رسمِ المجالِ اللغويِّ لجزيرةِ العربِ تحتَ عنواناتِهِ الآتيةِ:

الأنواءِ والحيواناتِ والرياحِ والسحابِ والمطرِ، وجزيرةِ العربِ... وقد ساهمتْ

---

١) يُنظرُ الكتابُ ٣/ ٥٣٩، ٤/ ١٢٩.

٢) ظهرتْ دراساتٌ ورسائلُ وبحوثٌ عنيتْ بدراسةِ لغاتِ القبائلِ العربيةِ منها((أسدٍ – هذيلٍ – باهلة – طيء)).

٣) يُنظَرُ: الخصائص العلمية للجغرافية العربية الإسلامية القديمة / ١٦٨.

هذه الرسائلُ في ظهورِ المعاجمِ العربيةِ الجامعةِ فيما بعدُ، التي تمثَّلَ بعضُها بوصفِ البلدانِ والأقاليمِ.

إنَّ اللغويينَ اعتمدُوا في وصفِهم الجغرافيةَ اللغويةَ النسـبةَ إلى البيئـةِ اللغويـةِ أي القبيلة[1]، دونَ التصورِ الذي اعتمدهَ أصحابُ المعاجمِ الذي اعتُمِدَ فيما بعـدُ بشـكلٍ واضحٍ عند المَقْدِسِيِّ في كتابِه (أحسنُ التقاسيمِ) والهمدانيِّ في وصفِ الجزيرةِ، اللذَينِ كان لهما جُهدٌ لغويٌّ تمثّلَ في وصفِ لغةِ الأقاليمِ التي تمَّ وصفُها.

يقولُ المقدسيُّ في إقليمِ العربِ: «وأهلُ هذا الإقليم لغتُهمُ العربيةُ إلاّ بصَحَار فإنَّ نداءَهم وكلامَهم بالفارسيةِ وأكثرُ أهلِ عدنٍ وجدَّةَ فُرْسٌ إلاّ أنّ اللغةَ عربيةٌ، وبطرفِ الحميريِّ قبيلةٌ من العربِ لا يُفهمُ كلامُهم... وجميعُ لغاتِ العربِ موجودةٌ في بوادي هذهِ الجزيرةِ إلا أنَّ أصحَّ لغةٍ بها لغةُ هُذَيلٍ ثم النجديين ثم بقيةِ الحجازِ إلاّ الأحقافَ فإنّ لسانَهم وحشٌ»[2].

وقالَ في لغةِ إقليمِ العراقِ (الكوفةِ، البصرةِ، واسطَ، بغدادَ) بعدَ الوصفِ: «ولغاتُهم مختلفةٌ أصحُّها الكوفيةُ لقربِهم من الباديةِ وبُعدِهم عن النبطِ، ثم هي بعدَ ذلكَ صفةٌ فاسدةٌ بخاصةٍ بغدادُ، وأمّا البطائحُ فنبطٌ لا لسانَ وعقلَ»[3]، وقال الهمدانيُّ في وصفِ لغاتِ أهلِ هذهِ الجزيرةِ «أهلُ الشحرِ والإسعاءِ ليسوا بفصحاءَ مهرة غَتمٌ يشاكلونَ العجمَ، حَضْرَمَوْتُ ليسوا بفصحاءَ، ربَّما كانَ فيهم الفصيحُ وأفصحُهم كِنْدَةُ وهمدانُ وبعضُ الصدفِ وسروٍ ومذحجٍ ومأربَ وبيحان وحريب فصحاءُ ورديُّ اللغةِ منهم قليلٌ، سرو حِمْيَرُ، وجعدةُ ليسوا بفصحاءَ في كلامِهم شيءٌ من التحميرِ ويجرّونَ في كلامِهم ويحذفونَ فيقولونَ يا بنَ مْعَم في يا بنَ العمِّ...»[4]،

---

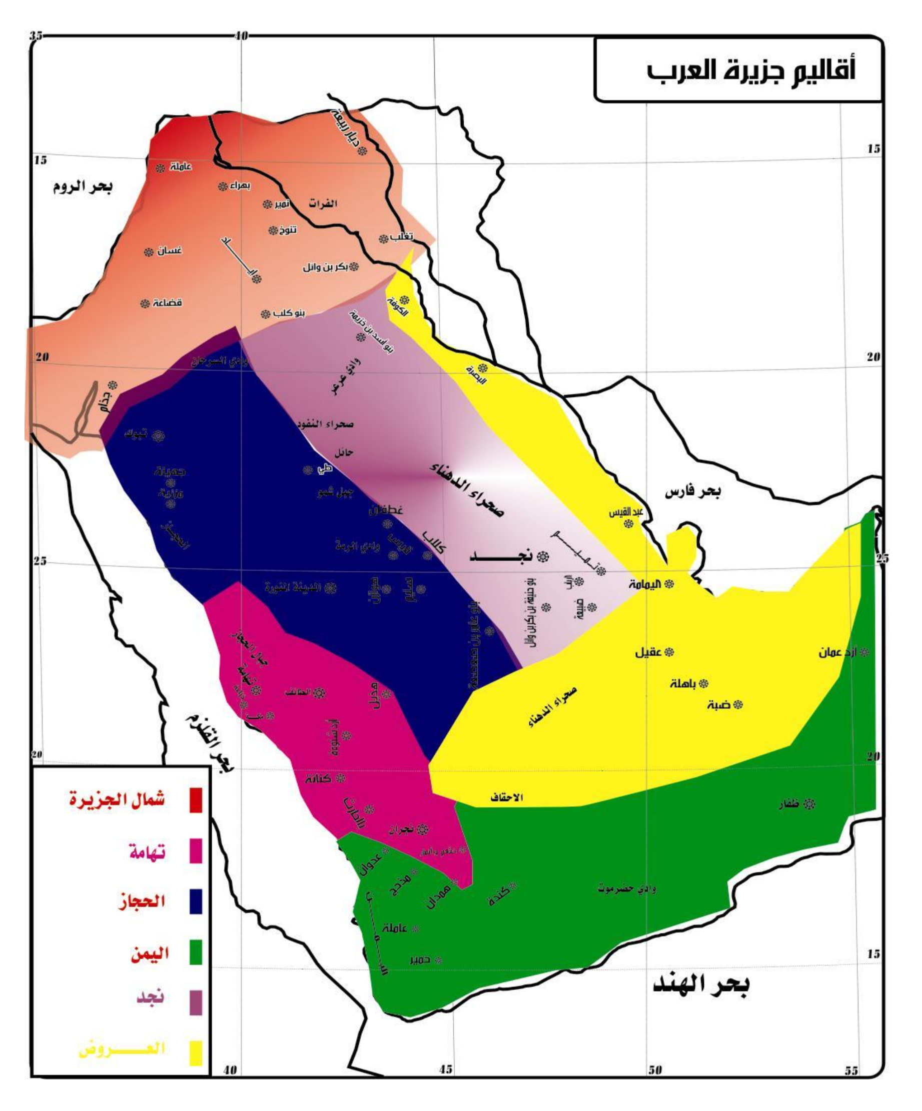
١) يُنظَرُ: دراسة الدكتور خالد عبد الكريم جمعة : شواهد الشعر في كتاب سيبويه.

٢) أحسن التقاسيم: ٩١.

٣) أحسن التقاسيم: ١١٤.

٤) صفة جزيرة العرب: ١٢٤.

أما القبائلُ التي تقعُ خارجَ إقليمِ اليمنِ فقد تحدثَ عنها دونَ تفصيلٍ واكتفى بالتحديدِ العامِّ إذ قالَ «أما العُروضُ ففيها الفصاحةُ ما خلا قُراها وكذلكَ الحجازُ فنجْدُ السُفلى فإلى الشامِ وإلى ديارِ مضرٍ وإلى ديارِ ربيعةَ فيها الفصاحةُ إلاّ في قُراها»[1].



---

1) صفة جزيرة العرب:١٢٦.

ففي هذهِ البيئةِ اللغويةِ أَجهَدَ العُلَماءُ أنفسَهم فَشَـرَّقُوا وغَرَّبوا وتحمّلوا الكثيرَ ولم يبالوا بما نالهم من نَصَبٍ أو مخمصةٍ وسمعوا من أبناءِ هذه القبائلِ وشافَهوهم في أوديتِهم وأخبيتِهم ومراعيهم وأسواقِهم ومجتمعاتِهم، فأخذوا عن القبائلِ البعيدةِ من أطرافِ الجزيرةِ والباقيةِ في سرتِها من جُفاةِ الأعرابِ وأهلِ الطبائعِ المتوقحةِ[1]، وقد ربطَ العلماءُ العربُ هذه البيئةَ بفكرةِ البداوةِ والحضارة، فكلما كانتِ القبيلةُ بدويةً أو أقربَ إلى حياةِ البداوةِ كانت لغتُها أفصحَ والثقةُ بها أكبرَ وكلما كانت متحضرةً أو أقربَ إلى حياةِ الحضارةِ كانت لغتُها محلَّ شكٍّ ومثارَ شبهةٍ لذلك تجنبوا الأخذَ عنها[2]، ونجدُ فكرتُهم التي نقلَها الفارابيُّ في أنَّ الانعزالَ في كبدِ الصحراءِ، وعدمَ الاتصالِ بالأجناسِ الأجنبيةِ يحفظُ للغةِ نقاوتَها ويصونُها عن أي مؤثرٍ خارجيٍّ وأنَّ الاختلاطَ يُفْسِدُ اللغةَ ويَنْحَرِفُ بالألسنةِ[3]، أضحتْ مثارَ جَدَلٍ لدى الدارسين والباحثين وبياناً لفكرةِ من تشبثَ بالتوزيعِ الجغرافيِّ الذي ارتكزَ على تلك الأسسِ السابقة، نطرحُ نصَّ الفارابيِّ الذي يُعَدُّ في نَظَرِ بعض الدارسين وثيقةً مُهمةً[4]، في تحديدِ القبائلِ التي يُستَشهَدُ بِكَلامِها والتي لا يُسْتَشْهَدُ بِكلامِها، قالَ: «كانت قريشٌ أجودَ العربِ انتقاءً للأفصحِ من الألفاظِ، وأسهلِها على اللسانِ عند النطقِ، وأحسنِها مسموعاً، وإبانةً عما في النفسِ، والذين عنهم نُقِلَت اللغةُ العربيةُ وبهم اقتُدي وعنهم أُخَذ اللسانُ العربيُّ من بين قبائلِ العربِ هم: قيسٌ وتميمُ وأسدٌ، فإنَّ هؤلاءِ هم الذينَ عنهم أكثرُ ما أُخذ ومعظمُه، وعليهم اتُّكِلَ في الغريبِ وفي الإعرابِ

---

١) يُنظَرُ: نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة: ١١٢، في التطور اللغوي (شاهين)/ ٤٧، ولغات العرب وأثرها في توجيه النحو/ ٦٠-٦١.

٢) يُنظَرُ: البَحثُ اللغوي عند العرب: ٣٧-٣٨، لغات العرب وأثرها في التوجيه النحوي/ ٥٨، القاعدة النحوية تحليل ونقد: ٥٥ – ٥٦.

٣) يُنظَرُ: كتاب الحروف للفارابي: ١٤٥، صبح الأعشى: ١/ ١٩٦، والبَحثُ اللغوي عند العرب: ٣٨.

٤) يُنظَرُ: البَحثُ اللغوي عند العرب: ٣٨.

والتصريفِ، ثُمَّ هذيلٌ وبعضُ كنانةَ وبعضُ الطائيين، ولم يؤخذْ عن غيرِهم من سائرِ قبائلِهم. وبالجملةِ فإنَّهُ لمْ يؤخذْ عن حَضَرِيٍّ قَطُّ، ولا عن سكانِ البراري ممن كانَ يسكُنُ أطرافَ بلادِهم «التي تجاورُ سائرَ الأممِ الذينَ حولَهم»(١)، فإنَّه لم يُؤخذْ لا من لخمٍ ولا من جُذام «فإنَّهم كانوا مجاورين»(٢). لأهلِ مصرَ و القبطِ، ولا من قُضاعةَ ولا «من»(٣) غسانٍ ولا «من»(٤) إيادٍ «فإنَّهم كانوا مجاورينَ»(٥) لأهلِ الشامِ و أكثرُهم نصارىٰ «يقرأون في صلاتِهم بغيرِ العربيةِ»(٦)، ولا من تغلبَ ولا «النمرِ»(٧)، فإنَّهم كانوا بالجزيرةِ مجاورين لليونانـ«ـيةِ»(٨) ولا من بكرٍ «لأنَّهم كانوا مجاورينَ للقبطِ و الفرسِ»(٩)، و لا من عبدِ القيسِ « »(١٠) لأنَّهم كانوا سكانَ البحرينِ مخالطينَ للهندِ و الفرسِ، ولا من أزدِ عُمان «لمخالطتِهم للهندِ و الفرسِ»(١١) ولا من أهلِ اليمنِ «أصلاً»(١٢) لمخالطتِهم للهندِ و الحبشةِ «ولولادةِ الحبشةِ فيهم»(١٣)، ولا من بني حنيفةَ وسكانِ اليمامةِ ولا من ثقيفٍ و «سكانِ»(١٤) الطائفِ لمخالطتِهم تجارَ «الأممِ»(١٥)

---

١) العِبارَةُ في المزهر: ١/ ٢١٢ ((... المجاورة لسائر الأُمم الذين حولهم)).

٢) العِبارَةُ في المزهر: ١/ ٢١٢ ((لمجاورتهم أهل مصر و القبط)).

٣) العِبارَةُ في المزهر: ١/ ٢١٢ ((... وغسان و إياد)).

٤) العِبارَةُ في المزهر: ١/ ٢١٢ ((لمجاورتهم أهلَ الشامِ)).

٥) العِبارَةُ في المزهر: ١/ ٢١٢ ((لمجاورتهم أهل الشام).

٦) العِبارَةُ في المزهر: ١/ ٢١٢ ((... يقرأون بالعبرانية)).

٧) العِبارَةُ في المزهر: ١/ ٢١٢ ((... اليمن ...)).

٨) العِبارَةُ في المزهر: ١/ ٢١٢ ((اليونان)).

٩) العِبارَةُ في المزهر: ١/ ٢١٢((لمجاورتهم للقبط و الفرس)).

١٠) العِبارَةُ في المزهر: ١/ ٢١٢ ((و أزد عُمان)).

١١) العِبارَةُ في المزهر: ١/ ٢١٢ ((لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهندِ و الفرسِ)).

١٢) ساقطة في المزهر : ١ / ٢١٢

١٣) ساقطة في المزهر : ١/ ٢١٢.

١٤) العِبارَةُ في المزهر ((أهل الطائف)).

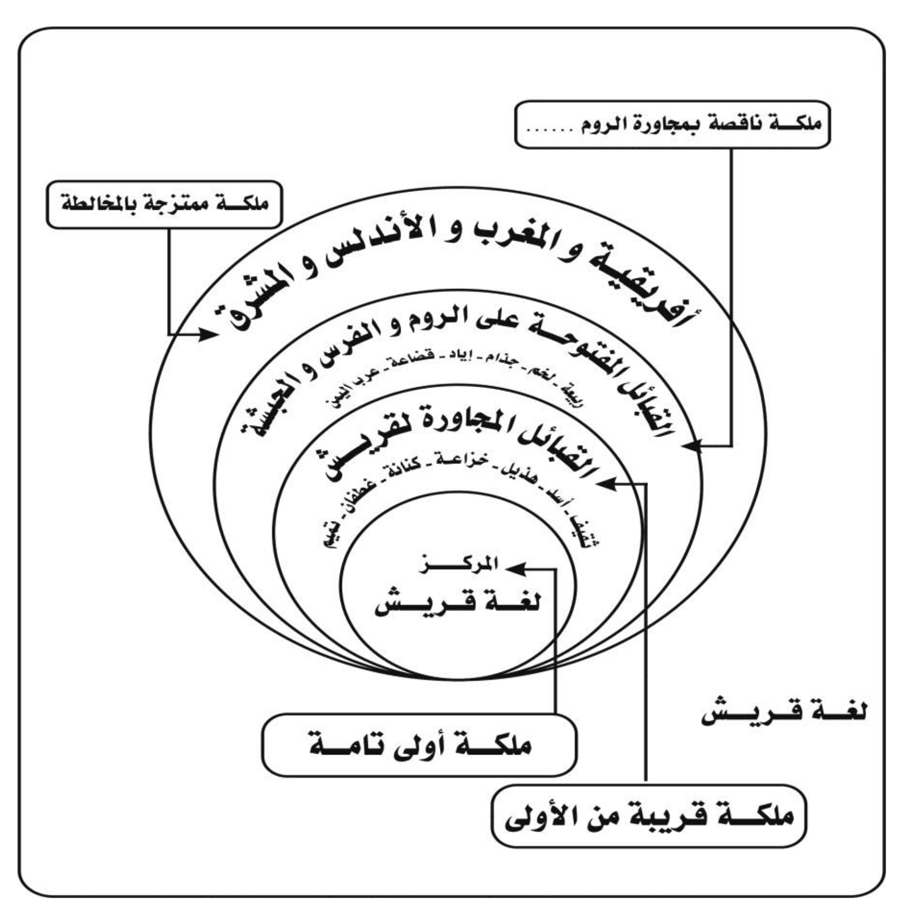
١٥) العِبارَةُ في المزهر : ((... اليمن)).١/ ٢١٢.

المقيمين عندَهم، ولا من حاضرةِ الحجازِ لأنَّ الذينَ نقلوا اللغةَ صادفوهم حين ابتدأوا ينقلونَ لغةَ العربِ قد خالَطوا غيرَهم من الأممِ وفسدتْ ألسنتُهم، والذي نقل اللغةَ واللسانَ العربيَّ عن هؤلاءِ وأثبتَها في كتابٍ وصَيَّرَها عِلماً وصناعةً هم أهلُ الكوفةِ والبصرةِ فقط من بين أمصارِ العربِ، وكانت صنائعُ هؤلاءِ التي يعيشون منها الرعايةَ والصيدَ واللصوصيةَ وكانوا أقواهم نفوساً، وأقساهم قلوباً، وأشدَّهم توحشاً وأمنعَهم جانباً، وأشدَّهم حميّةً، وأحبَّهم لأنْ يَغلِبوا ولا يُغلَبوا، وأعسرَهم انقياداً للملوكِ وأجفاهم أخلاقاً وأقلَّهم احتمالاً للضيمِ والذلةِ»[1].

وَقَدْ تَبَنَّىٰ ابنُ خَلدونٍ في مُقَدِّمَتِهِ الواقعَ الجغرافيَّ -الَّذي أقرَّهُ الفارابيُّ- بِشَيءٍ مِنَ الوَاقعيَّةِ في وَصفِهِ لبَعْضِ البيئاتِ اللغويةِ مِثْلَ مُضَرٍ مِنْ قُرَيشٍ وكِنَانَة وثَقيف وَبَني أسدٍ وهُذيلٍ ومَنْ جَاوَرَهُم مِنْ خُزَاعة إذْ أنَّ سُكَّانَ هَذهِ القَبَائِلَ حَسْبَ وَصْفِهِ كانُوا أهلَ شَظَفٍ وَمَواطِنَ غَيْرِ ذَاتِ زرعٍ ولا ضرعٍ[2].

١) كتابُ الحروفِ/ ١٤٥، ويُنظَرُ: المزهر: ١/ ٢١١-٢١٢، وصبح الأعشى: ١/ ١٩٦، ولغات العرب وأثرها في التوجيه النحوي / ٤٦.
٢) مُقَدِّمةُ ابنِ خلدون: ١٢٩-١٣٠، ٥٥٥.

ينظر الشكل رقم(١) «أطلس اللغة عند ابن خلدون» [1]



وقِيْلَ إنَّ عِلَّةَ هذا التقسيمِ -علىٰ مَا نَظُنُّ- مَا عَرَضَ لِلُغَاتِ الحاضرةِ وأهلِ المَدَرِ مِنَ الاختِلالِ والفَسَادِ والخَطَلِ - وَهَذا قَدْ ظَهَرَ في وَقْتٍ مُتَأخرٍ نسبَةً لبداياتِ الدَّرسِ اللغويِّ عندَ العربِ -ولو عَلمَ أنَّ أهلَ المَدينةِ باقونَ علىٰ فَصَاحتِهم، وَلَمْ يَعترِضْ شيءٌ مِنَ الفسادِ للغتِهم لوجبَ الأخذُ عنهم كما يُؤخذُ عَنْ أهلِ الوَبَرِ، وكذا لَو فَشا في أهلِ الوَبَرِ مَا شَاعَ في لُغَةِ أهلِ المَدَرِ مِن اضطِرَابِ الألْسنةِ وخبالِها،

١) مُقَدِّمةُ ابنِ خلدون:٥٥٥، وينظر: في اللسان العربي و إشكالية التلقي:١٥٤(اللغة و الروابط اللهجية عند ابن خلدون لمحسن أبو عزيزي).

وانتقاصِ عادةِ الفصاحةِ وانتشارِها لَوَجَبَ رفضُ لُغَتِهَا، وَتَرَكُ تلقِّي ما يَرِدُ عَنها[1].

ويَظهرُ أنَّ هذا التحديدَ -الَّذي أقرَّهُ الفارابيُّ- لَمْ يَكُنْ مَقبولاً عِندَ بَعْضِ الدَّارسين[2]، لأنَّ الأساسَ الَّذي قامَ عَلَيهِ التحديدُ وهو الانعزالُ في كَبِدِ الصَّحراءِ وعَدَمُ الاتصالِ بالأجانبِ قَدْ تَبَدَّدَ إذا مَا عَلِمْنَا أنَّ قُرَيْشَاً، الَّتي وَصَفَهَا في أولِ نصِّهِ، كانَ لها في الجاهليةِ مِن اتصالٍ ببلادِ الشامِ واليمنِ وبالعراقِ وبالحبشةِ فَضْلاً عَن وُجودِ جالياتٍ أعجميةٍ وعددٍ كبيرٍ مِنَ الرَّقِيقِ بينهم، وَمَا وجودُ المُعَرَّبَاتِ في لُغَتِهم إلا حُجَّةً على تأثرِ لسانِهم بالأعاجمِ وأخْذِهم منهم[3].

الكياناتِ اللغويةِ عندَ العربِ

يتمثُلُ هذا المصطلحُ في جملةٍ من الظواهرِ اللغويةِ التي تُنسَبُ إلى بيئاتٍ لغويةٍ كتميمٍ وهذيلٍ وأسدٍ وطيءٍ وباقي القبائلِ العربيةِ التي مثّلناها في أعلاه:

وتمثيلاً لذلكَ ظاهرةُ الكشكشةِ التي نُسبتْ في كتابِ سيبويهَ إلى «ناسٍ كثيرٍ من تميمٍ وناسٍ من أسدٍ»[4] ونُسبتْ عند المبرَّد[5] إلى تميمٍ، وعندَ الزمخشريِّ إلى تميمٍ[6] ونسبَها ابنُ فارسٍ إلى أسدٍ[7] ونسبَها ثعلبٌ إلى ربيعةَ[8] والسيوطيُّ إلى مضرٍ[9]، ونسبَها ابنُ جنّيٍّ إلى ناسٍ من العربِ[10] مجهولينَ وفي موضعٍ آخرَ إلى ربيعةَ[1].

---

١) يُنظَرُ: الخصائصُ: ١/ ٣٩٣.
٢) الدكتور مهدي المخزومي/ مدرسةُ الكوفةِ: ٧٣-٧٧.
٣) يُنظَرُ: المفصّلُ في تاريخِ العربِ قبلَ الإسلامِ: ٨/ ٦٧٠.
٤) الكتاب: ٤/ ١٩٩.
٥) الكامل في اللغة والأدب:٤٤٧.
٦) المفصل في صنعة الأعراب: ٤٦٣.
٧) الصاحبي في فقه اللغة: ٥٣.
٨) مجالس ثعلب:ج١:٨١
٩) المزهر: ١/ ٢٢١.
١٠)سر صناعة الأعراب: ١/ ٢١٩.

ومثيلُها ظاهرةُ الإدغامِ إذ قالَ سيبويهُ: (وتدَ) دونَ إدغامِ لغةُ الحجازِ وهي الجيدةُ ولكنَّ بني تميمٍ يسكنّونَ التاءَ ويُدّغمونَها في الدالِ[2]، وقيلَ إنَّها لغةٌ لبني بكرِ بنِ وائلٍ وأناسٍ كثيرٍ من تميمٍ[3].

وهذانِ النصَّانِ هما مثالانِ علىٰ ما يُطلَقُ عليه عند المحدثينَ مجموعةَ النقاطِ السكانيةِ التي يجمعُها عددٌ من ظواهرِ الاستعمالِ اللغويِّ.

مناطقُ الكياناتِ اللغويةِ عندَ العربِ:

شرعَ اللغويونَ العربُ في تحديدِ الحقلِ اللغويِّ الذي يمثُل العربيةَ الفُصحىٰ من حيثُ التنوعُ الإقليميُّ – وهذا ما سنأتي عليه فيما بعد- الذي تمثلتْ بهِ و وصفتْ بأنَّها لغةٌ لقومٍ ما حسبَ انتمائِها الجغرافيِّ. إذ شكلتْ هذهِ اللغةُ المادةَ الصالحةَ لبناءِ القواعدِ اللغويةِ ذاتِ السلوكِ المتماثلِ نسبياً أو المتقاربِ إلىٰ درجةِ التماثلِ و ما تفرَّدَ من البيئاتِ اللغويةِ باستعمالٍ خاصٍّ وهذا ما ينعكسُ علىٰ القاعدةِ النحويةِ ويجعلُها في موضعٍ خاصٍّ يميزُها عما سواها، أو ما يترشحُ من ظواهرَ لغويةٍ تنتمي إلىٰ مراحلَ متقدمةٍ من عمرِ اللغةِ وقد عكسَ هذا التنوعُ الإقليميُّ بفرعيهِ (التنوعِ الإقليميِّ الضيقِ و التنوعِ الإقليميِّ الواسعِ) مناطقُ الكياناتِ اللغويةِ عندَ العربِ إلىٰ:

---

١) الخصائص: ١/ ٣٨٩-٤٠٠.

٢) يُنظَرُ: الكتاب ٤/ ٤٨.

٣) يُنظَرُ: شرح الشافية ٣/ ١٨٣-١٨٤ وشرح شواهد الشافية ٤/ ٥٩٣ علماً أن الشاهد للأخطل غياث بن غوث التغلبي قال:

وذكر غدانة عدَّانا مُزنمة من الحبلق تبني حولها الصيرُ عدانا: أصلها عِتــدان

١. منطقةُ المركــز:

لقد حدَّدَ علماءُ اللغةِ المناطقَ اللغويةَ ذاتَ السلوكِ اللغويِّ المتماثِلِ نسبياً، وهذا ما يطلقُ عليهِ عندَ الغربيينَ مركزَ الهيبةِ اللغويةِ Linguistic prestige center [1]، وتمثلتْ هذهِ المنطقةُ بما نُقلَ عن أبي عمروِ بنِ العلاءِ قال المبردُ: «وحدَّثَني هارونُ عن نصرِ بنِ عليٍّ عن الأصمعيِّ قال سمعتُ أبا عمرو بنَ العلاءِ يقولُ: أفصحُ الناسِ: سافلةُ قريشٍ وعاليةُ تميمٍ»[2] وقد أوردَه ابنُ فارسٍ بقولِ أبي عمروِ بنِ العلاءِ «أفصحُ الناسِ عُليا تميمٍ وسُفلى قيسٍ»[3]، وقالَ أبو زيدٍ: «أفصحُ الناسِ سافلةُ العاليةِ وعاليةُ السافلةِ»[4]، يعني عَجُزَ هوازنَ، قالَ: ولستُ أقولُ«قالتِ العربُ إلاّ ما سمعتُ منهم، وإلاّ لمْ أقلْ (قالتِ العربُ) وأهلُ العاليةِ أهلُ المدينةِ ومَن حولَها ومَن يَليها ودَنا منها...»[5]، والعجزُ من هوازنَ هم الذينَ يقالُ لهم عُليا هوازنَ، وهي خمسُ قبائلَ أو أربعُ، منها سعدُ بنُ بكرٍ وجشمُ بنُ بكرٍ ونصرُ بنُ معاويةَ وثقيفٌ[6].

وتمثيلاً لهذا التحديدِ قولُهم في لغةِ تميمٍ ولغةِ الحجازِ، وكلاهما لُغتانِ تحويانِ ظواهرَ لغويةً تختلفُ عما سواها، ومنها يخرجُ الابتكارُ اللغويُّ إلى باقي المناطقِ اللغويةِ.

---

١) يُنظَرُ: أسس علم اللغة: ١٩٥.

٢) الفاضل: ١١٣.

٣) الصاحبي في فقه اللغة: ٤٠

٤) العمدة ١/ ٨٨-٨٩، وينظر الصاحبي في فقه اللغة: ٤٠ .

٥) العمدة: ١/ ٨٨-٨٩.

٦) الصاحبي في فقه اللغة: ٤١.

٢. المنطقـةُ الانتقاليـةُ

تمثلتْ هذهِ المنطقةُ عندَ اللغويينَ بمنطقةِ الحجازِ ومنطقةِ العروضِ ونجدٍ، إذْ نجدُ في هذهِ الأقاليمِ عدداً لا بأسَ بهِ من القبائلِ ذاتِ الاستعمالاتِ المتقاربةِ إنْ لَمْ تكُن مُتَطَابِقةً كلَّ المطابقةِ ومن استعمالاتِ العربِ في هذهِ البيئةِ اللغويةِ على سبيلِ المثالِ و التعريفِ بهذا المصطلحِ، تحقيقُهم الهمزةَ في كلامِهم، و الهمزةُ منْ أثقلِ الحروفِ و أبعدِها مدرجاً صوتياً عن الفمِ، وقد نُقلَ عن بعضِ تميمٍ و أسدٍ وقيسٍ[١] وأهلِ الحجازِ[٢] تحقيقُهم نبيء و بريئة وقالَ سيبويهُ: «وقد بلَغَنا أن قوماً من أهلِ الحجازِ من أهلِ التحقيقِ يحققونَ نبيء و بريئة»[٣] ومن الاستعمالاتِ المتقاربةِ كسرُ عينِ الفعلِ (يَعْكِفُ) في المضارعِ عندَ بني أسدٍ لأنَّهُ مفتوحُ العينِ في الماضي (عَكَفَ) و الحجازيون يقولونَ فيهِ «عَكَفَ يَعْكُفُ»[٤].

أمّا من حيثُ التماثلُ قولهُم –أسد و أهل الحجاز– في الفعلِ (قنطَ) (يَقْنِطُ) بكسرِ العينِ في المضارعِ و العربُ تجعلُه منفتحَ العينِ[٥] ومن الاستعمالاتِ المتماثلةِ قولُ أزدِ شنوءةٍ و أسدٍ عُجَّاب وكُبَّار بتضعيفِ العينِ من بناءِ (فُعال) (فُعَّالِ)[٦].

---

١) ينظر: الفصيح في اللغة و النحو: ٣٥٧.

٢) الكتاب:٣/ ٥٥٥.

٣) المصدر نفسه، ٣/ ٥٥٥وينظر: قراءة بن كثير المكي القرشي ((وكشفت عن سأقيها)) النمل:٤٤، ينظر: الكشاف٣/ ٣٧٤.

٤) ينظر: المقتبس من اللهجات العربية٦٨.

٥) المصدر نفسه٦٩.

٦) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية١٧٢.

٣. الجزرُ اللغويةُ، أو ما يُعرَفُ بمصطلح التعرفِ اللغويِّ[١] Language identification

لَقَدْ وَقَفَ عُلماءُ اللغَةِ على بعضِ الظواهرِ اللغويةِ مِنْ نَوعٍ خَاصٍ استعملتهُ بعضُ القبائلِ العربيةِ، كاستعمالِ قبيلةِ طيءٍ (ذو) اسماً موصولاً، وقد شاعَ استخدامُ (ذو) هذهِ في كلامِ أهلِ طيءٍ اسماً موصولاً عاماً للمفردِ والمثنى والجمعِ، والمذكرِ والمؤنثِ، بصورةٍ واحدةٍ لا تتغيرُ في كلِّ ذلكَ، وهي كثيرةُ الورودِ بهذهِ الصورةِ في أشعارِ طيءٍ[٢]، ومثلُ هذهِ الظاهرةِ فتحُ نونِ المثنى مع الياءِ[٣] إذ سُجِّلَتْ هذهِ الظاهرةُ عن الكسائيِّ لبني زيادِ بنِ فقعسٍ[٤] وكذلكَ سُجِّلَ عن بني الحارثِ بنِ كعبٍ جعلُهم الاثنينِ من الأسماءِ في رفعِها و نصبِها و خفضِها بالألفِ[٥]. وسجلَ عن كنانةَ قولُهم: (في كلا الرجلينِ) و (رأيتُ كِلَي الرجلينِ) و (مررت بِكِلَي الرجلين) إذ مضوا على قياسِ الاثنينِ من الأسماءِ في النصبِ و الجرِّ و العربُ تقولُ في كلا الرجلينِ في الرفعِ و النصبِ و الجرِّ[٦]. سجلَ عن بعضِ العربِ أنَّهم يقفونَ على التاءِ الاسميةِ وهذا ما سجَّلَهُ أبو الخطابِ و لم يصرِّحْ به[٧] وقد ثبتَ فيها بعدُ بأنَّها لغةُ لطيءٍ يقولونَ

---

١) ينظر: أسس علم اللغة / ١٩٤.

٢) يُنظَرُ: بحوث ومقالات في اللغة ٢٥٢-٢٥٨، وينظر اللهجات العربية القديمة في غرب جزيرة العرب٣٧٣ - ٣٧٥.

٣) الفصيح في اللغة و النحو:٢٢٨.

٤) وهم بنو فقعس بن طريف بن عمرو بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد، ينظر: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب٣٥٣.

٥) ينظر: معاني القرآن:٢/ ١٥٧، وينظر: علل التثنية:٥٧ - ٥٨

٦) معاني القرآن٢/ ١٥٧.

٧) ينظر: الكتاب ٤/ ١٦٧.

في الوقفِ: (هذهِ امرأت وهذه جاريت) فيصلونَ بالتاءِ ويقفونَ بالتاءِ[1]. ونقلَ عن الفيوميِّ أحمدَ بنِ عمرَ ت(٧٧٠هـ) أنها لغةُ لحميرِ[2] يقولونَ تمرت و طلحت، و النظرُ في ذا الاستعمالِ يرجعُ إلى اللغةِ اليمانيةِ. وينطبقُ هذا المصطلحُ على الكثيرِ من الظواهرِ اللغويةِ التي تفردتْ بها بعضُ البيئاتِ اللغويةِ.

٤.منطقةُ المخلفاتِ اللغويـةِ:

حدَّدَ علماءُ العربيةِ المناطقَ التي تحتفظُ بجملةٍ من الخواصِّ اللغويةِ التي تنتمي إلى مراحلَ زمنيةٍ متقدمةٍ، إذْ تعدُّ ظاهرةُ الاستنطاءِ – تحويلُ العينِ الساكنةِ إلى نونٍ إذا جاورتِ الطاءَ – فـلغةُ أهلِ اليمنِ من تلكَ المناطقِ التي تقعُ في دائرةِ هذا المصطلحِ، إذْ استُعمِلَ الفعلُ(أنطى) بدلَ الفعلِ (أعطى) كما يبينُ التوزيعُ الجغرافيُّ لمواطنِ النطقِ بها في الشمالِ – سعدُ بنُ بكرٍ، هذيلٌ، الأزدُ، قيسٌ[3]– إذ انتقلتْ هذهِ الصيغةُ من الجنوبِ من بلادِ اليمنِ[4]، إلى قبائلِ الشمالِ، ويرى أحدُ الباحثينَ أنَّ الفعلَ (أنطى) مأخوذٌ من طريقِ النحتِ من العبريةِ (TM 1) (ن ت ن) والسريانيةِ فأُخذتْ فاءُ الفعلِ من العبريةِ والسريانيةِ وبقيتْ عينُه ولامُه كما هي في العربيةِ[5]، وإلى جانبِ ذلكَ بالإمكانِ أنْ نعدَّ كلَّ ظاهرةٍ لغويةٍ لها جذورٌ في اللغاتِ الساميّةِ (الجزريةِ) جزءاً من منظومةِ هذا المصطلحِ العلميِّ.

---

١) ينظر: الوقف في العربية: ٦٥

٢) ينظر: الوقف في العربية: ٦٦.

٣) يُنظَرُ: المزهر:١/ ٢٢٢.

٤) يُنظَرُ: العربية ولهجاتها:٥١، مدخل إلى فقه اللغة العربية١٣٨، اللهجات في القرآن الكريم:٦٠.

٥) يُنظَرُ: فصول في فقه اللغة:١٠٤ ط١، ١٩٧٣، وينظر: فصول في فقه العربية:١٢٢، ط٣، ١٩٨٧. محاضرات في فقه اللغة:١٠٦-١٠٧.

نماذجُ من المادةِ اللغويةِ المسجَّلةِ عن العربِ

إنَّ المادةَ التي سُجِّلَتْ عن العربِ و المتمثلةِ بالعربيةِ الفصحىٰ قد تنوعتْ من حيثُ الاستعمالُ، منها ما يصنفُ في إطارِ اللغةِ النفعيةِ، أي الحوارُ اليوميُّ و الأمورُ العامةُ ومثالُ ذلكَ ما نقلَه الفراءُ عن رجلٍ من اليمنِ في إجرائِهم المصدرَ مشدَّداً إجراءَ فعلِه المشدَّدِ، أي كلُّ (فعَّلتُ) فمصدرُه (فِعَّالٌ): «قالَ لي إعرابيٌّ منهم -أي من اليمنِ- الحلقُ أحبُّ إليكَ أم القِصَّارُ؟ يستفتيني»[1] أي أَ أُقَصِّرُ شعري قِصَّار أحبُّ إليكَ أم أحلقُه و ما نقلَه الأصمعيُّ عن امرأةٍ من بني تميمٍ قالَ: «رأيتُ امرأةً من تميمٍ لم أرَ أفصحَ منها، فسمعتُها تدعو علىٰ أُخرىٰ وتقولُ: إنْ كنتِ كاذبةً فحلبتِ قاعدةً... »[2] وقالَ الفَرَّاءُ أيضاً: «و أخبرَني شيخٌ من أهلِ البصرةِ قالَ: سمعتُ إعرابيةً تقولُ لزوجِها أينَ ابنُكَ ويلَكَ؟ فقالَ ويكِ إنَّه وراءَ البيتِ، معناهُ أمَا ترينَهُ وراءَ البيتِ»[3].

وهذا ما يمثِّلُ الموردَ الأولَ لعملِ اللغويينَ، وحصيلةُ ذلكَ العملِ تسجيلُهم لجملةٍ من الظواهرِ اللغويةِ التي ثبتتْ في مصنَّفاتِهم و المرفوعةِ إلىٰ العربِ مع إشاراتِه إلىٰ الفروقِ اللغويةِ بينَ القبائلِ العربيةِ إذ نصُّوا علىٰ فصاحةِ لغةِ أهلِ الحجازِ في تركِهم إدغامَ الحرفينِ المثلينِ في الجزمِ فيقولونَ: ارْدُدْ ولا تَرْدُدْ وتلكَ هي اللغةُ العربيةُ القديمةُ الجيدةُ[4] وقالَ في موضعٍ آخرَ: «وجميعُ ما وصفْناهُ -في بابِ إضافةِ المنادىٰ إلىٰ نفسِك-... من هذه اللغاتِ -[لغة تميم – طيئ – بكر – قريش]- سمعْناهُ من الخليلِ رحمَه اللهُ ويونسَ عن العربِ»[5]. واعتمدَ اللغويونَ هذه المنهجيةَ في وصفِهم العربيةَ الفصحىٰ سواءً بالنسبةِ إلىٰ الأفرادِ أو إلىٰ القبيلة، أو تحديدِ البيئةِ

---

١) معالم القرآن: ٣/ ٢٣١.

٢) الفاضل في اللغة و الأدب: ١١٤-١١٥.

٣) معاني القرآن: ٢/ ٢٦٩.

٤) ينظر الكتاب: ٤/ ٤٧٣.

٥) الكتاب: ٢/ ٢١٤.

اللغويةِ الفصيحةِ التي تمثلتْ بذا الاستعمالِ اللغويِّ فتمثيلاً لذلكَ قولُ الفَرَّاءِ قالَ: «أنشدَني رجلٌ من الأسد عنهم –يريدُ بني الحارثِ– أي يجعلونَ الاثنينِ في رفعِهما ونصبِهما وخفضِهما بالألفِ قالَ:

فأطرق إطراقَ الشجاعِ ولو يرىٰ　　　مساغاً لِنابـاه الشجاعُ لَصمَّما[1]

قالَ: ما رأيتُ أفصحَ من الأسديِّ»[2].

وقد قرأَ عاصمٌ و الأعمشُ و أهلُ المدينةِ بتثقيلِ قولِه تعالىٰ: «وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّاباً» (النبأ:٢٨) و قولِه تعالىٰ: «لا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلا كِذَّاباً»(النبأ:٣٥) قيلَ هيَ لغةٌ يمانيةٌ فصيحةٌ[3] وقيلَ إنَّ قراءةَ أهلِ المدينةِ وافقتِ اللغةَ اليمانيةَ الفصيحةَ وهذا راجعٌ إلىٰ أنَّ الأوسَ و الخزرجَ وهما جلُّ سكانِ المدينةِ يعودونَ إلىٰ أصلٍ يمانيٍّ و لقراءةِ أهلِ المدينةِ صلةٌ بلغةِ أهلِ اليمنِ[4].

أما النَّوْعُ الآخرُ فهو ما يتمثَّلُ باللغةِ الأدبيةِ (الشعر و النثر) و الشعرُ هو الأعظمُ و الأكثرُ تسجيلاً في التراثِ اللغويِّ العربيِّ لأنَّ الظواهرَ اللغويةَ قد وردتْ –من خلالِ اللغةِ الأدبيةِ– بكثرةٍ في مستوياتِها اللغويةِ و بأساليبِها التعبيريةِ المختلفةِ[5]. فضلاً عن أنَّ قواعدَ الكلامِ لا يخرجُ بعضُها عن بعضٍ بالشعرِ و النثرِ، قالَ سيبويهُ: «وسألتُه عن (آتي الأميرة لا يقطع اللصَّ) فقالَ: الجزاءُ ها هنا خطأٌ، لا يكونُ الجزاءُ أبداً حتىٰ يكونَ الكلامُ الأولُ غيرَ واجبٍ، إلىٰ أنْ يضطرَّ شاعرٌ و لا نعلمُ هذا جاءَ في شعرٍ البتةَ»[6] إذا لم يتمثَّلْ في النثرِ و لا في الشعرِ أي ليسَ ثمةَ مزيةٌ للقواعدِ التي بُنيَتْ

---

١) يُنظَرُ: دراسات وتعليقات في اللغة/ ٧٣-٨٢، (ظواهر لغوية في لهجة طيء القديمة).

٢) معاني القرآن:٢/ ١٥٧.

٣) معاني القرآن:٣/ ٢٣١، إعراب القرآن:٥/ ٨٤.

٤) ينظر: الفصيح في اللغة و النحو:٢٤٢.

٥) ينظر القاعدة النحوية:٦٩.

٦) الكتاب:٣/ ١٠١.

عن الاستعمالِ الشعريِّ دونَ النثريِّ فما ذكرَهُ سيبويهُ فيما تقدَّمَ من القولِ لم يثبُتْ في شعرٍ ولا نثرٍ.

واقتضى عملُ اللغويينَ بتلقّي الشعرِ من الرواةِ و المنشدينَ و اعتمادِ المرويِّ منهما و تسجيلِه تسجيلاً أميناً وهذا ما يتمثّلُ بالمرحلةِ الأولى لعملِ الجغرافيةِ اللغويةِ و جاءَ اعتمادُ سيبويهَ لما صدرَ عن الشعراءِ لأنّهم لسانُ القبيلةِ[1] و إمارةٌ من إماراتِ البيئةِ اللغويةِ وهذا ما تمثَلَ بما جمعَهُ علماءُ العربيةِ في خروجِهم إلى البوادي لجمعِ اللغةِ النقيةِ الفصيحةِ التي تمثلتْ أكثرَ في الشعرِ البدويِّ الوعرِ البعيدِ عن نعومةِ الحضرِ ولينِ حياتِهم و اختلاطِهم بالأجناسِ الأخرى[2].

وقد عني اللغويونَ بتحديدِ البيئاتِ اللغويةِ – ضبطِ التوزيعِ الجغرافيِّ –[3] تحديداً جغرافياً من خلالِ اعتمادِهم الشواهدَ الشعريةَ الموثوقَ بصحةِ نسبتِها إلى قائليها أمّا في حالِ الشكِّ في هذه النسبةِ و الخلافِ فيها فالباحثُ معنيٌّ بالبحثِ عن الخلافاتِ الإقليميةِ للعربيةِ الفصحى إلى درجةِ ما يمكنُ أنْ يسلّمَ بصحةِ هذه النسبةِ أولاً.

و مثالُ ذلكَ ما نسبَهُ سيبويهُ إلى ناسٍ من بني تميم يبدلونَ مكانَ المدِّ النونَ في ما نُوِّنَ وما لم يُنَوَّنْ في الشعرِ، و الحجازيونَ يَدَعونَ ذلكَ على حالِه في الترنمِ، ثمَّ يأتي بنصوصٍ من الشعرِ أحدهما مجهولٌ و الشاهدانِ الآخرانِ منسوبانِ إلى العجَّاجِ وهو من تميمٍ قالَ: «سمعْناهم يقولونَ: يا أبتا علَّكَ أو عساكنْ»[4]

إنَّ الخلافَ بينَ الحجازيينَ و التميميينَ يؤكدُ أنَّ هذهِ الظاهرةَ الصوتيةَ إبدالَ المدِّ نوناً ظاهرةً تميميةٌ وقد نسبَها صاحبُ الخزانةِ[5] للعجَّاجِ عبدِ الله بنِ رُؤْبَةَ بنِ لَبيدِ بنِ

---

1) العمدة: ١/ ٦٥، العربية بين أمسها و حاضرها: ١٠.

2) ينظر: دراسات في كتاب سيبويه: ٨٠، واختلاف الرواية في شواهد سيبويه الشعرية: ٥١.

3) ينظر: تطور اللغوي التاريخي: ٣٨.

4) الكتاب: ٤/ ٢٠٦–٢٠٧.

5) خزانة الأدب: ٥ / ٣٦٥.

صخرٍ السعديِّ التميميِّ[1] وإلىٰ رؤبةَ بنِ عبدِ الله بنِ العجاجِ، وكلاهما من تميمٍ.

و اعتمدَ سيبويهُ ومِن قبلِه شيخُه الخليلُ النصَّ الشعريَّ في بيانِ الظاهرةِ اللغويةِ وتحديدِها جغرافياً.

قالَ سيبويهُ في تسكينِ العينِ مما كانَ متحركاً في الأصلِ: «هذا بابُ ما يُسَكَّنُ استخفافاً و هو في الأصل متحركٌ... وهي لغةُ بكرِ بنِ وائلِ وناسٍ كثيرٍ من تميم»[2]، ثمَّ جاءَ بنصٍّ ابنِ نجدِ الفضلِ بنِ قدامةَ العجيليِّ البكريِّ[3] دليلاً علىٰ هذهِ الظاهرةِ قالَ:

لـــو عُـــصْرَ منـــه البـــانُ والمســـكُ انعـــصرْ[4]

ومثلُه قولُه في جعلِ (ذا و ذاتَ) ظرفاً متصرفاً قالَ: «إلاّ أنّه جاءَ في لغةِ لخثعمٍ»[5] أي جعْلَهم ذا وذاتَ ظرفينِ متصرفينِ ثمَّ جاءَ بنصٍّ شعريٍّ لرجلٍ من خثعمٍ قالَ:

عزمـــت عـــلى إقامـــةِ ذي صـــباح لشـــيء مـــا يُسّـــوَّدُ مـــن يســـود[6]

وقالَ في موضعٍ آخرَ في فتح الآخِرِ من المضعَّفِ إذا التقىٰ الألفُ و اللامُ أو الألفُ الخفيفةُ: «ومنهم من يتركُه إذا جاءَ بالألفِ و اللامِ علىٰ حالِه مفتوحاً»[7] وهي لغةٌ لبني أسدٍ و غيرِهم من تميمٍ ثم يأتي بها سجَّله يونسُ عن جريرِ بنِ عطيةَ التميميِّ في هذه اللغةِ قالَ:

---

١) ينظر: الأعـلام٤/ ٨٦.
٢) الكتاب: ٤/ ١١٣.
٣) ينظر: الأغاني١٠ / ١٨٣ – ١٩٨.
٤) الكتاب: ٤ / ١١٤.
٥) المصدر نفسه:١ / ٢٢٧.
٦) المصدر نفسه:١/ ٢٢٧، وينظر: همع الهوامع:٣ / ١٤٣
٧) الكتاب:٣/ ٥٣٣.

فغـــــضّ الطـــــرفَ إنــــك مـــــن نمـــــيرٍ[1]

وقالَ في موضعٍ آخرَ: «التميميونَ يخففونَ ما كُسِرَ من فـعَـال على فُـعْـل»[2] ثمَّ يأتي بنصٍّ لعديٍّ بنِ زيدٍ العباديِّ التميميِّ في ردِّهِ إلى الأصلِ. قالَ: «قالَ الشاعرُ وهو عديٌّ بنُ زيدٍ:

وفي الأكـــــــفِ اللامعـــــــات ســـــــورْ[3]

و قالَ في موضعٍ آخرَ من الكتابِ في بابِ الأسماءِ التي يُجازى بها وتكونُ بمنزلةِ الذي إذْ جاءَ بشاهدٍ على ما رُفِعَ بجوابِ الشرطِ على نيةِ التقديمِ قالَ: «قالَ الهذليُّ:

فقلــتُ تحمَّــلْ فــوقَ طوقِــكَ أنهــا مطبعـــةٌ مـــن يأتِهـــا لا يُظيرُهـــا[4]

ونُسِبَ الشاهدُ في الخزانةِ وفي شرحِ أبياتِ سيبويهَ إلى أبي ذؤيبٍ الهذليِّ[5].

وقد ترسَّمَ علماءُ العربيةِ وباحثوها هذا الأثرَ في بيانِ الظاهرةِ اللغويةِ و تحديدِ بيئتِها، فنقلَ لنا ابنُ جنّيٍّ في المُنصفِ إنَّ بني عامرٍ يقولونَ في فَـعَـلَ المثال الواوي في المضارعِ يَـفْـعَـلُ أي يحذفونَ فاءَ الفعلِ فيقولونَ من وَجَـدَ يَـجُـدُ و استشهد بنصٍّ للبيدِ بنِ ربيعةَ العامريِّ قالَ:

لــو شــئتِ قــد نقــعَ الفــوادُ بشــربةٍ تـــدعُ العـــواليَ لا يجـــدْنَ غلـــيلا[1]

---

1) المصدر نفسه ٣/ ٥٣٣.

2) المصدر نفسه٣ / ٦٠١.

3) الكتاب:٤/ ٣٥٩.

4) الكتاب: ٣ / ٧٠.

5) ينظر: خزانة الأدب:٩ / ٥٢، وشرح أبيات سيبويه : ٢ / ١٩٣.

و قال ابنُ جنيٍّ فيما أجري في الوصلِ على حدِّه في الوقفِ «... قولُ الآخرِ:

فضلت لدى البيت العتيق أخيلةً ... ومِطواي مشتاقانِ له أرقان[2]

إذ حكى[3] أبو الحسنِ إنَّ سكونَ الهاءِ في هذا النحوِ لغةُ لأزدِ السراةِ، و النصُّ الشعريُّ في أعلاه هو ليعلى بنِ الأحولِ الأزديِّ[4].

ومن هذه الاستعمالاتِ اللغويةِ التي ثبتتْ في اللغةِ الأدبيةِ ما نُقلَ عن الخليلِ بأنَّ هذيلاً تقولُ: سميجٌ و نذيلٌ، أي إجراءُ الصفةِ في ما كان بناءُ فعلِها فَعُلَ يَفْعُلُ مجرى الاسمِ على فعيلٍ[5] إذ ثبتَ هذا الاستعمالُ بقولِ أبي ذؤيبٍ الهذليِّ في قصيدةٍ يقولُ في مطلعِها

ثمَّ قالَ:

صبا صبوة بل لجَّ وهو لجوج ... وزالت له بالانعميم حدوجُ

فإن تعرضي عني و إن تتبدلي ... خليلا ومنهم صالح وسميج[6]

ومن الدارسينَ المحدثينَ لاسيما المستشرقين (تشِم رابين) قالَ في ظاهرةِ الترخيمِ أنَّ «مثلَ هذا الترخيمِ –يا أبا الحك- وجدَ في شعرِ جميعِ القبائلِ، و لا يوجدُ في شعرِ طيءٍ، و مما يشعرُ بنزعةٍ مثيرةٍ للانتباهِ في هذا الاتجاهِ، ولم تَرِدْ مثلُ هذه الصيغةِ في

١) ينظر المنصف:١/ ١٨٧، شرح الشافية: ١/ ٢٩٣.
٢) الخصائص: ١ / ١٦٤.
٣) الخصائص: ١ / ١٦٤.
٤) ينظر خزانة الأدب:٥ / ٢٧٥.
٥) الكتاب:٤ / ٣٠.
٦) ينظر : شرح أشعار الهذليين: ١ / ٩٣ – ١٠٠.

شعرِ أيٍّ من شعراءِ طيٍ»[1] في النداءِ وغيرِ النداءِ و من المحدثينَ العربِ الدكتورُ عبدُ الجوادِ الطيبِ إذْ نسبَ الإظهارَ أي فكُّ الإدغامِ للهذليينَ الذينَ جمعوا بعضَ خصائصِ البدوِ في وسطِ الجزيرةِ وبعضَ خصائصِ الحضرِ من الحجازيينَ وكانوا أقربَ مَيلاً إلى الإظهارِ في المُضَعَّفِ وقد وردَ ذلكَ في أشعارِهم.

كقول أبي ذؤيب الهذلي: (وإنْ تعتذر يُرْدَدْ عليها اعتذارها)

وقول أسامة بن حارث: (عصاني ولم يردد عليَّ بطاعةٍ)

وقول المنخَّلِ: (في تفره الإثمد لم يغللِ)

وآخرينَ من شعراءِ هُذيلٍ[2].

والدكتورُ رمضانُ عبدُ التوّابِ إذْ نَسَبَ ظاهرةَ (كراهةِ توالي الأمثالِ) إلى طيّءٍ قالَ: «وجاءتْ هذه الظاهرةُ في أشعارِ الطائيين بكثرةٍ» كما في قولِ الطِرِمَّاحِ بنِ حكيمٍ الطائيِّ:

ظلتَ منها كصريع المدامِ أراد ظللت وهي لغة طيء»[3]

والدكتورُ علي ناصر غالب اعتمد دواوينَ شعراءِ أسدٍ في تحديدِ جوانبَ لغويةٍ نسبَها إلى لهجةِ أسدٍ[4]، وهذا ما اعتمدَهُ أيضاً الدكتور غالب فاضل المطّلبي في بيانِ جملةٍ من الآثارِ اللغويةِ في شعراءِ تميمٍ[5].

فتلكَ هي المادةُ اللغويةُ التي سُجِّلتْ عن العربِ و لا يحقُّ لنا أن نحيدَ عنها سواءً كانتْ مادةً نثريةً أم شعريةً، لأنَّ النحوَ قامَ وبُني على تلك المادةِ المرويةِ المسجلةِ عن

---

١) اللهجات العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية ٣٥٩.
٢) يُنظَرُ: لغات العرب لغة هذيل/ ١٤٠-١٤٥.
٣) يُنظَرُ: دراسات وتعليقات في اللغة/ ٧٣-٨٢، (ظواهر لغوية في لهجة طيء القديمة).
٤) يُنظَرُ: لهجة قبيلة أسد: (٧٠)، (٧١)، (٧٥).
٥) يُنظَرُ: لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة: (٧٤)، (٧٩).

العربِ، قالَ سيبويهُ في موضعٍ من الكتابِ: «والذي ذكرتُ لكَ قولُ الخليلِ، و رأينا العربَ توافقُه بعد ما سمعْناه منه»(١). وقالَ في موضعٍ آخـرَ«واعلمْ أنَّ كلَّ شيءٍ ابتدأْناه في هذينِ البابينِ أولاً هو في القياسِ و جميعَ ما وصفْناه من هذه اللغاتِ سمعْناه من الخليلِ رحمَه اللهُ ويونسَ عن العربِ»(٢) وقالَ في ما وردَ من نصوصٍ استعماليةٍ «إنها حججٌ سُمعتْ عن العربِ وممن يوثقُ بهِ، يزعمُ أنه سمعَها من العربِ»(٣).

١) الكتاب:٢/ ١١٧.

٢) المصدر نفسه:٢/ ٢١٤.

٣) المصدر نفسه:١/ ٢٥٥.

الفَصْلُ السَّادِسُ

المُعْجَمُ العَرَبِي

جَاءَ فِي المُعْجَمُ الوَسِيْطِ[1]: «المُعْجَمُ دِيْوَانٌ لِمُفْرَدَاتِ اللُغَةِ، مُرَتَّبٌ عَلَىٰ حُرُوفِ المُعْجَمُ، جَمْعُهُ مُعْجَمَاتٌ وَمَعَاجِمٌ». أوْ هم ما يطلق عَلَىٰ مُصَنَّفٍ يَضُمُّ كَلِمَاتِ اللُغَةِ وَيُثْبِتُ هِجَاءَهَا، وَنُطْقَهَا، وَدَلَالَتَهَا، إذْ كَوْنه يَبْحَثُ فِي البُنْيَةِ الدّلالِيَّةِ للفظ.، واستخدامها، ومرادفاتها، واشتقاقها[2].

وقال ابن منظور: «العَجْمُ: النُّقط بالسَّواد مثل التاء عليها نقطتان. يُقَالُ: أعجمت الحرف ولا يقال عجمت...»[3] وأعجمت الكتاب: أزلت استعجامه والعجْمُ: عضّ شديد بالأضراس دون الثنايا. وعَجَمَ الشيء يعجُمُه عجماً، فالأعجام إذا إزالة اللبس والغموض، وطريق إلىٰ الإبانة لأن وضع النقاط علىٰ الحروف إذ هو ما يميز بين الالفاظ درء تصحف والتحريف.

فالمُعْجَمُ هو الضَّابط للفظ، وبه يعرف صحيحه ومن قبيحة وعليه المعول فِي الفصاحة، وظهر لفظ المُعْجَمُ فِي زَمَنٍ مُتَأَخِّرٍ بالنسبة للبحث اللغوي عند القدماء، قيل لم يعرف لفظ المُعْجَمُ كمصنف أو كتاب إلا فِي أواخر القرن الرَّابع الهجري، أما قبل ذلك فهو كتاب. وأول مُعجم بهذا الاسم هو معجم مقاييس اللُغَة[4].

---

١. يُنْظَرُ: المُعْجَمُ الوسيط ماده (عجم).

٢. يُنْظَرُ: المُعْجَمُ العربي

٣. لسان العرب مادة(عجم).

٤. يُنْظَرُ: الصحاح ومدارس المُعْجَمَات العربية:٥٣.

ذهب بعض الباحثين إلىٰ أن العرب نقلوا تجارب الهنـود أو اليونـانيين فِي صـناعة المُعْجَمُ العربي ولا سيما معجم العين. وقد كتب د. أحمـد مختـار عمـر مقـالاً فِي مجلـة مجمع اللُغَة بالقاهرة تحت عنوان: «هل أثر الهنود فِي المُعْجَمُ العـربي؟ إذ جـاء بجملـة من الآراء التي ذهبت إلىٰ القول بالأصالة أو التَّقليد.

ونقل عن بعضهم بأنَّ الخليل ربما تأثر بالهنود عـلىٰ المسـتوىٰ الصـوتي إذ «لم يكـن موجودا فِي الترتيب الأبجدي، ولكن ربما بتأثير من الهند»[1] وعلىٰ هذا الاساس قيـل إنَّ الخليل واضع أول معجم عربي، و كتاب «العين» منسوبا إليـه ولعلـه مـن حيـث المنهج والنظام قد تأثر بالهنود لأنه مرتـب ترتيبـاً صـوتياً. وهـذا التَّرتيـب معـروف عندهم وذهب بعضهم إلىٰ أنَّ العرب ربما قد تأثروا باليونانيين الذين أعطوا العـرب فكرة المُعْجَمُ. وجاء البناء علىٰ النظام الهندي بالاعتماد علىٰ الأبجدية الصـوتية، وقـد ذهب بعض المحدثين العرب إلىٰ أن الخليل مقلد غـير مبتكـر. ومـن هـؤلاء شـوقي ضيف إذ قال: «فقد وضع الخليل خطة أول معجم فِي العربيـة وهـو معجـم العـين، ورتبه علىٰ مخارج الحروف بالضبط كما يرتب الهنود حروف لغتهم»[2].

وقال المستشرق هاي وود «الحقيقة أن العرب فِي مجال المُعْجَمُ يحتلون مكان المركز سواء فِي الزمان أو المكان بالنسبة إلىٰ العـالم القـديم والحـديث وبالنسـبة إلىٰ الشرـق والغرب»[3].أي أنَّ العرب أسبق الأمم إلىٰ وضع المُعْجَمُات. وقد أكد هذه الأصـالة. وهذا مغا تمثل بقول العطـار «وإذا كـان الخليـل مسـبوقاً مـن بعـض الأمـم فِي هـذا

1. Encyclopedie l,Islam, NV- IV, P. 994 موسوعة لتر

٢.يُنْظَرُ: الفن ومذاهبه في النثر الادبي:١٢٥.

٣. مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة: الجزء ثلاثون:١٢٢

السبيل، فإن من الحق أن نذكر أنه لم يكن مقلداً أحداً، أو ناهجاً على طريق سابق، بل كان مبتكراً أو مخترعاً فِي الفكرة والمنهج والترتيب...»[1]

مــدارس المُعْجَمُــات العربيـــة

وَضَعَ الخَلِيْلُ أَوَّلَ مُعْجَمٍ عَرَبِيٍ مُؤَسِّسَـاً فِيْـهِ المَدْرَسَـةَ المُعْجَمُيَّـة الأولى. وَكَانَـتْ لِمَدْرَسَتِهِ مَبَادِئَ وَأُصول خَاصة وتلامذة حذوا حذوه. ومـدارس المُعْجَـمُات فِي نظـر البَاحِثِين أربع عند العرب.

١. مدرسة الخليل بن احمد الفراهيدي«ت ١٧٥هـ» :

كانت العناية قبلها منصرفة إلى الرسائل والمجموعات التـي وضـعها الأصـمعي «ت٢١٦هـ» وأبو زيد الأنصاري «ت ٢١٥هـ» وغيرهـا. مهّـدت هـذه الرسـائل إلى المُعْجَمُ ولم تكن معاجم لاختلافها عنها فِي الهدف والمنهج. وبقي معجـم العـين أول معجم حاول حصر ألفاظ اللُغَة حصراً شاملاً فِي إطار نظام منهجي واضح استوعب فيه شوارد اللُغَة.

---

١. الصحاح ومدارس المُعْجَمُات العربية: ٦٥.

مبــادئ مدرسة الخليل

- ترتيب المواد ترتيباً صوتياً بحسب مخارج الحروف بتأثير من علم الموسيقى.
- تقسيم المُعْجَمُ إلى كتب، وتفريغ الكتب إلى أبواب بحسب الأبنية، وحشد الكلمات فِي الأبواب.
- تقليب الكلمة إلى مختلف الصيغ وفق نظام الاشتقاق الكبير، ورصد المستعمل والمهمل من هذه التقليبات.

واستمر هذا النهج فِي معجم البَّارع للقالي «ت ٣٥٦هـ» وتهذيب اللُغَة للأزهري «ت ٣٧٠هـ»، والمحيط للصاحب بن عباد «ت ٣٨٥هـ»، والمحكم الأعظم لابن سيده «ت ٤٥٨هـ»[1].

٢. مدرسة أبي عبيد القاسم بن سلاّم «ت ٢٢٤هـ»[2]

حملت هذه المدرسة اسم أبي عبيدة لأن كتابه «الغريب المصنف» أول كتاب وصل إلينا مصنفاً على طريقة الموضوعات ويضم ثلاثين باباً. وقامت هذه المدرسة على بناء المُعْجَمُ على المعاني والموضوعات، ورتبت فيها الثروة اللغوية فِي مجموعات من الألفاظ تندرج تحت فكرة واحدة. من أهم أتباعها:

أ- كراع النَّمل «ت حوالي ٣١٠هـ» فِي المُنَجَّد فِي ما اتفق لفظه واختلف معناه وقسمه إلى أبواب هي:

١. في ذكر أعضاء البدن من الرأس إلى القدم.

٢. في ذكر الحيوان من الناس والسباع والبهائم

---

١. يُنْظَرُ: المعج العربي لحسين نصار: ١/ ٣١٤-٣١٦.

٢. يُنْظَرُ: المدخل الى فقه اللغة: ٢٦٦.

والهوام.

٣. فِي ذكر الطير.

٤. فِي ذكر السلاح.

٥. فِي ذكر السماء وما يليها.

٦. فِي ذكر الأرض وما يليها وفيه ثمانية وعشرون فصلاً علىٰ عدد حروف المُعْجَمُ.

أ- الهمذاني عبد الرحمن بن عيسى «٣٢٠هـ»، فِي كتابه «الألفاظ الكتابية».

وقد وزع موضوعاته علىٰ أبواب كثيرة، تفاوتت طولاً وقصراً، هادفاً إلىٰ إثبات العبارة الفنية، وانتخاب التعبير الجميل لإمداد الكتاب بزاد من الفصاحة وحسن العبارة.

فخالف بذلك طريقة المُعْجَمُ لأن المُعْجَمُ يرمي إلىٰ الجمع والاستقصاء لا إلىٰ الانتخاب والانتقاء.

ب- الثعالبي «ت ٤٢٩» فِي كتابه «فقه اللُغَة وسر العربية»[1].

هو أشهر معجمات المعاني، وزه علىٰ ثلاثين باباً، فِي كل باب عدد من الفصول. بدأ الباب الأول بالكليات وفصله الأول فِي ما نطق به القرآن من ذلك، وفصله الثاني فِي ذكر ضروب من الحيوان، وفصله الثالث فِي النبات والشجر وهكذا... فبلغت فصول الكتاب ستمائة فصل. وقد نقل بعض فصوله عن المتقدمين.

ج- ابن سيده «ت ٤٥٨هـ» فِي معجمه «المخصص»

ويعد من أكبر معجمات المعاني ومن فضائله: تقديم الأعم فالأعم علىٰ الأخص

---

١. يُنْظَرُ: فقه اللغة وسر العربية:١٦.

فالأخص، والإتيان بالكليات قبل الجزئيات والابتداء بالجوهر والتفقيه بـالأعراض على ما يستحقه من التقديم والتأخير، وتقديمنا «كم» على «كيـف» وشـدة المحافظـة على التقييد والتحليل». قسمه إلى عـدد مـن الكتـب منهـا: كتـاب خلـق الإنسـان، ويتضمن باب الحمل والولادة، والرضاع والفطام والغذاء، وسـائر ضروب التربيـة والغذاء، وأسماء أول ولد الرجل وآخرهم وأسماء ولـد الرجـل فِي الشـباب والكـبر وهكذا.

والكتاب على نفاسته لا يخلو من عيوب، أهمها: اختلاط الموضوعات، وإقحامـه مسائل لغوية ونحوية وصرفية وما إليها.

وجهت إلى هذه المدرسة انتقـادات شـتى، هـب بعضـهم إلى أن سـلبياتها تفـوق إيجابياتها.

ولكن الإنصاف يقضي بالاعتراف لها بأنهـا تسـد حاجـة مـن حاجـات المنشـئ، وتسهل عليـه التعمـق فِي موضـوعه، وتمـده بسرـعة بالألفـاظ الصـحيحة والمعـاني الدقيقة. فالباحث عن صوت من أصوات الحيوان مثلاً فِي معجم المعاني قـد لا يعثـر عليه إلا بشق الأنفس أما فِي معجم الموضوعات فإنه يعثر عليه بسرـعة فائقـة. وقـل مثل ذلك فِي درجات الحزن ومراتب البكاء والفرح والسعادة وما إلى ذلك.

٣. مدرسة الجوهري «ت ٤٠٠ هـ» «في معجمه الصحاح»:

رتبت المُعْجَمُ ترتيباً هجائياً، وقسمته إلى فصول وأبواب معتمدة الحـرف الأخـير من الكلمة وسمته باباً، وسمت الحرف الأول فصلاً، ونظـرت إلى الحـرف الثـاني فِي الثلاثي وإلى الحرف الثالث فِي الرباعي ليأتي الترتيب دقيقـاً. وهـذا الترتيـب أسـهل بكثير من ترتيب الخليل.

أبرز أتباع مدرسة الجوهري[1]:

أ. ابن منظور «ت٧١١هـ» فِي «لسان العرب»:

واللسان أشهر معاجم العرب إلىٰ يومنا هذا وأكثرها تشعباً وأغزرها مـادة. فلقـد احتوىٰ ثمانين ألف مادة. وعُد موسوعة لغوية أدبية شاملة.

اعتمد فيه الفصل والباب علىٰ طريقة الجـوهري. لكـن دار المعـارف بمصرـ قـد أعادت توزيعه فِي طبعة جديدة معتمدة الطريقة الألفبائية الحديثة وأصـدرته فِي سـتة مجلدات.

ولهذا المُعْجَمُ أهمية كبرىٰ فِي لغتنا، فهو منذ صـدروه وإلىٰ زماننـا هـذا يُعـد أهـم معجم عند الدارسين العرب والأعاجم.

ب-الفيروزابادي «ت ٨١٧ هـ» فِي القاموس المحيط:

رتبه علىٰ الفصل والباب واستخدم فيه الرموز لأول مرة. احتوىٰ ستين ألف مادة وبقي حجمه أصغر من لسان العرب، ونافسه فِي الشهرة والذيوع إلىٰ يومنا هذا.

ج-الزبيدي «ت ١٢٠٥هـ » فِي تاج العروس:

اعتمد فيـه مـادة القـاموس المحـيط، ووسـعها، وأثبـت الشـواهد التـي أهملهـا القاموس المحيط. وصنفه علىٰ الباب والفصل كـما فِي الصـحاح. وصـدّر كـل بـاب بكلمة موجزة تحدث فيها عن الحرف وبيَّن مخرجه وصفاته وابدالاتـه. ووجـه عنايـة خاصة إلىٰ المجاز ولكنه أورد فيه الكثير من الألفاظ العامية.

١. يُنْظَرُ: المُعْجَمُ العربي:١/ ٥١١-٥٢٩.

٤. مدرسة البرمكي «ت ٤١١ هـ»:

لم يؤلف البرمكي معجماً، بل أعاد ترتيب الصحاح وفق أوائل الأصول فصار بذلك زعيم مدرسة التبسيط والتيسير. وهذه المدرسة هي التي استمرت إلى يومنا هذا لأنها رتبت المُعْجَمُ وفق أوائل الحروف مبتدئة بالهمزة، منتهية بالياء مع مراعاة الحرف الثاني والثالث والرَّابع. وسبقت المُعْجَمات الحديثة فِي ترتيب المواد ترتيباً محكماً. من أتباعها:

أ-أبو عمرو الشيباني «ت ٢٠٦ هـ» فِي معجم «الجيم»:

إذ صنف أبو عمرو كتاب الحروف فِي اللُغَة وسماه كتاب الجيم وأوله الهمزة. ولم يذكر فِي مقدمة الكتاب لمَ سماه الجيم ولا أعلم من العلماء ذلك. ولعله قسمه جواباً مرتبة على الحروف الهجائية جاعلاً لكل حرف منها باباً خاصاً[١].

وقيل: لماذا لم يكن الشيباني زعيم هذه المدرسة وهو سابق البرمكي؟ فالجواب أن الشيباني أورد فِي كل باب الألفاظ التي تبدأ بالحرف الأول مهملاً الحرف الثاني وما بعده.

ولهذا لم تكن طريقته رائدة فهي مشوبة بكثير من الفوضى والاضطراب داخل الباب الواحد.

ب-ابن دريد الأزدي «ت ٣٢١ هـ» فِي جمهرة اللُغَة:

اعتمد فيه الترتيب الألفبائي، وقسمه إلى أبواب هي أبواب كتاب العين من ثنائي مضعَّف إلى ثلاثي صحيح إلى رباعي وخماسي منتهياً باللفيف والنوادر. ولم يكتف

١. يُنْظَرُ: المُعْجَمُ العربي: ١/ ٨٠

بذلك بل عاد إلى طريقة الخليل فِي التقليب. وحرص أن يبدأ كل باب بالكلمة التي تبدأ بالحرف المعقود له الباب، يليه مباشرة الحرف الذي يتبعه فِي الترتيب الألفبائي فباب الباء مصدّر بـ «بتّ» وباب التاء مصدّر بـ «تتّ» وهكذا.

وأعتقد أنه من الخطأ أن يصنَّف المصنفون هذا المُعْجَمُ فِي مدرسة البرمكي لأن مدرسة البرمكي تمثل غاية التطور فِي البحث المُعْجَمُي، وبلغت ذروة التبسيط والتيسير. وابن دريد عقَّد البحث فأتعب الباحث وضيَّعه بين الأبواب والتقليب[1].

ج-ابن فارس «ت ٣٩٥ هـ» فِي مقاييس اللُغَة:

اعتمد فيه الترتيب الألفبائي وقسمه إلى كتب بعدد حروف الهجاء فكتاب للألف وثان للباء وثالث للثاء هكذا. لكنه قسم كل كتاب إلى ثلاثة أبواب هي: الثنائي المضعف والثلاثي وما زاد على الثلاثي. وتخلى عن التقليب إلا أنه وقع فِي أشكال كبير عندما بدأ كل كتاب بالحرف الذي يبدأ فيه اللفظ مع الحرف الذي يليه مباشرة فِي الترتيب الهجائي تاركاً ما قبله من حروف. ففي باب الدال بدأ بالكلمات التي تبدأ بالدال مع الذال وما يثلثهما وصولاً إلى الياء ثم يعود إلى الكلمات التي تبدأ مع الهمزة وما يثلثهما وهكذا.

وهذه الطريقة عقدت البحث فِي المُعْجَمُ ولا ضرورة لاعتمادها بعد ما تخلى عن طرقة التقليب التي تعود إلى مدرسة العين[2].

د-الزمخشري «ت ٥٣٨هـ» فِي أساس البلاغة:

أول معجم مطبوع مرتب ترتيباً ألفبائياً محكماً فسبق المعاجم الحديثة. قسمه إلى ثمانية وعشرين باباً بعد حروف الهجاء، وراعى فيه ترتيب الحرفين الثاني والثالث

١.يُنْظَرُ: المزهر:١/ ٩٣؟

٢.يُنْظَرُ: المعج العربي:٢/ ٤٧٥، وفصول في فقه اللغة:٢٨٠.

من الكلمة فقضى على كثير من الصعوبات والتعقيدات السابقة وصار فِي ترتيبه رائداً بحيث أن المُعْجَمُات الحديثة لم تضف شيئاً إلى طريقته.

صرف همه إلى إظهار جمال اللُغَة فأفرد المجاز عن الحقيقة والكناية عن التصريح. وريادة هذا المُعْجَمُ تكمن فِي أنه وضع أمام القارئ استعمال اللفظ فِي أساليب متعددة مما تحدثت به العرب. وفيه أكثر من خمسة آلاف شاهد شعري، وآلاف الأمثال والحكم والجمل البلاغية. وقد سبق المعاجم الأعجمية فِي وضع الكلمة فِي جملة أو مثل مأثور يفهم معناها من السياق[1].

هـ-الفيومي «ت ٧٧٠ هـ» فِي المصباح المنير:

اتبع فيه طريقة الزمخشري. لكنه مختصر جداً فلم يتسع لألفاظ العربية كلها.

وهكذا نرى أن المُعْجَمُ العربي قد تخلص من شوائب البحث فِي المُعْجَمُ فِي المراحل الأولى من عمره. وبقي رغم اتهامه بالصعوبة قائماً، والسبب أن أكبر المُعْجَمُات وأوسعها وأشملها بقيت معتمدة وموثوقة إلى يومنا هذا، وهذه المعاجم الميسرة لم تغن عن تلك فلم تكن شاملة مستوعبة. وكان الغرض منها بلاغياً[2].

ولا بد من ملاحظة أمر هام هو التزام هذه المعاجم جميعاً بمراعاة أصل الكلمة أو الجذر. وهذا الجذر يمثل المادة الخام التي تصدر عنها المشتقات جميعاً. والرجوع إلى الجذر شكّل مأخذاً على معجمنا من بعض النقاد الذين استصعبوا العودة إلى أصل بعض الألفاظ ونادوا بترتيب المُعْجَمُ بحسب صورة الكلمة متناسين طبيعة لغتنا الاشتقاقية.

وهذا الترتيب يحافظ على الروابط المعنوية والدلالات المشتركة العائدة إلى جذر واحد.

---

١. يُنْظَرُ: المُعْجَمُ العربي:١/ ١٩٨.

٢. يُنْظَرُ: المصدر نفسه:١/ ١٩٨.

الفصل السابع

النظام الصوتي للغة العربية

أولا : الأصوات اللغوية

عُني العربُ القدماءُ بدراسةِ الأصواتِ اللغويةِ، فكانوا من السبّاقينَ إلى الاهتمامِ بهذا المستوى من الدرسِ في بحثِهم اللغويِّ الذي اتسمَ بدقةِ الملاحظةِ وسلامةِ الحسِّ في تذوقِ الأصواتِ اللغويةِ[1].

وقد اعترفَ علماءُ الغربِ ببراعتِهم وتفوقِهم في مجالِ بحثِهم الصوتيِّ، وفي هذا المعنى قال برجسشراسر: «لم يسبقِ الغربيين في هذا العلمِ إلا قومان من أقوامِ الشرقِ، وهما الهنودُ والعربُ»[2]، وقال الأستاذُ كاردنر W. H. T. Gairdener في كتابِه«The Phonetics of ARABIC: P: 13-16»: «لقد سبقَ العلماءُ العربُ الأصواتيينَ المحدثينَ في تصنيفِ الأصواتِ حيثُ أشاروا إلى الأصواتِ الإسنانيةِ والحنكيةِ واللهويةِ واللثويةِ من الصوامتِ وقدموا ملاحظاتِهم المضبوطةَ عن المواقعِ الدقيقةِ للسانِ والحنكِ... »[3].

وكانتْ طبيعةُ الدراساتِ الصوتيةِ عند العربِ دراساتٍ وصفيةً مَثَلُها مثلُ الدراساتِ الصوتيةِ الحديثةِ التي تقومُ على استخلاصِ الحقائقِ وتصنيفِها ووضعِ

١. يُنْظَرُ: الصوت اللغوي في القرآن الكريم: ١٧، علم اللغة العام الأصوات العربية: ٨٧، علم الأصوات العام: ١١٢.

٢. التطور النحوي للغة العربية: ١١.

٣. نقلاً عن: الصوت اللغوي في القرآن الكريم: ١٧-١٨.

القواعدِ الخاصةِ بها عن طريقِ الملاحظةِ الذاتيةِ (Intraspection) أو التجربةِ الشخصيةِ أو الانطباعِ الذهنيِّ الناتجِ عن تلكَ التجربةِ في دراسةِ الأصواتِ[1].

وإذا ما عُدنا إلىٰ الدراساتِ الصوتيةِ القديمةِ نجدُ الخليلَ بنَ أحمدَ من أكثرِ العارفينَ وأشهرِهم في الدراساتِ الصوتيةِ[2]، فأشارَ إلىٰ أبعادِها ووضعَ يدَه علىٰ الأصولِ في انطلاقِ الأصواتِ من مخارجِها الدقيقةِ، وأفرغَ جهدَه في التماسِ التسمياتِ للمسمّياتِ وتمكن من استنباطِ طائفةٍ صالحةٍ من الأسرارِ الصوتيةِ، التي انتهىٰ إليها من خلالِ وصفِه للأصواتِ لما يحسُّه بنفسِه من اختلافِ في أعضاءِ النطقِ وما للعمليةِ العقليةِ التي يقومُ بها المرءُ من أثرٍ لدىٰ صدورِ كلِّ صوتٍ[3].واستعمل الخليل كلمة «حرف» للدلالة علىٰ إرادة «صوت» منها، فكانت الأصوات عنده هي الحروف الذلق و الحروف الشفوية وحروف الحلق و حروف أقصىٰ الحلق و الحروف الصحاح و الحروف الصم و حروف الجوف و حروف اللين و حروف ما بين عكدة اللسان و الحروف اللهوية والحروف الشجرية و الحروف الأسلية و الحروف النّطعية والحروف اللثوية وهو يريد بذلك، أصوات الذلاقة، وأصوات الشفة، وأصوات الحلق، وأصوات أسلة اللسان، ولا يكتفي بهذا حتىٰ يسمي هذه الأصوات بالإضافة إلىٰ مخارجها ومدارجها، ناظراً إلىٰ هيئة المخرج من المدرج، وما يصطدم بها من أجهزة النطق أو يتجاوزها باندفاع الهواء، فيصفها في مثل النحو الآتي:

---

١. يُنْظَرُ: علم اللغة العام الأصوات العربية: ٢٦، الأصوات اللغوية: ٨٨، دروس في علم أصوات العربية: ١، في فقه اللغة وقضايا العربية: ٢٠.

٢. يُنْظَرُ: علم اللغة العام الأصوات العربية: ٧٧، المعجم العربي (حسين نصار.: ١:٢٨٠.

٣. يُنْظَرُ: الأصوات اللغوية: ٨٨، الصوت اللغوي في القرآن الكريم: ٤٣.

مخـــارج الحـــروف

ت	الرقم	المخرج العام	المخارج	المخرج الخاص	الحروف
١.	١	الحلق	١	أقصى الحلق أي آخره من جهة الصدر	ء – هـ
٢.			٢	وسط الحلق	ع – ح
٣.			٣	أدنى الحلق أي اقربه إلى الفم	غ – خ
٤.	٢.	اللسان	١	أقصى اللسان قريباً من الحلق	ق
٥.			٢	أقصى اللسان قريباً من جهة الفم	ك
٦.			٣	وسط اللسان	ج – ش – ي
٧.			٤	ظهر اللسان مع أصول الثنايا العليا	ت – ط – د
٨.			٥	ظهر اللسان مع أصول الثنايا العليا	ث – ظ – ذ
٩.			٦	طرف اللسان مع أصول الثنايا العليا	ن
١٠.			٧	ظهر اللسان مع أصول الثنايا العليا قريباً من الظهر	ر
١١.			٨	رأس اللسان مع أصول الثنايا	ز – ص – س
١٢.			٩	حافة اللسان أي جانبه مع التصاقه بما يحاذيه من الأضراس العليا	ض
١٣.			١٠	حافة اللسان أي جانبه مع التصاقه بما يحاذيه من الأسنان	ل
١٤.	٣.	الشفتان	١	ما بين الشفتين	ب – م – و
١٥.			٢	الشفة السفلى مع رؤوس الثنايا العليا	ف
١٦.	٤.	الجوف	١	الجوف	آ – و – ي
١٧.	٥.	الأنف	١	الخيشوم	الغنة

فأقصى الحروف كلها العين ثم الحاء، ولولا بحة في الحاء لأشبهت العين لقرب مخرجها من العين، ثم الهاء، ولولا هتة في الهاء لأشبهت الحاء لقرب مخرج الهاء من الحاء، فهذه ثلاثة أحرف في حيّز واحد بعضها أرفع من بعض، ثم الخاء والغين في حيّز واحد كلها حلقية، ثم القاف والكاف لهويتان، والكاف أرفع، ثم الجيم والشين

والضاد في حيّز واحد، ثم الصاد والسين والزاي في حيّز واحد، ثم الطاء والدال والتاء في حيّز واحد، ثم الظاء والذال والثاء في حيّز واحد، ثم الراء واللام والنون في حيّز واحد ثم الفاء والباء والميم في حيّز واحد ثم الألف والواو والياء في حيّز واحد والهمزة في الهواء لم يكن لها حيّز تنسب إلي[1]

وقد ورث سيبويه من شيخيه الخليل بن احمد علمه بأصوات العربية _الذي تمثل بمخارج الأصوات وصفاتها[2]_ وهذا ما نلحظه في كتابه، ولم يكتف سيبويه بتلك الملاحظات أو الخلاصات الصوتية التي دفع بها الخليل اليه، وانما أورد بعض المسائل الصوتية كـ«الادغام، والامالة، والاتباع الحركي والاعلال، والقلب، والابدال والهمز.. » وغير ذلك من صور تأثر الأصوات بعضها ببعض في عملية التشكيل الصوتي[3].

أعضاء النطق

١. **الشفتان:**

وهما من الأَعْضَاء المهمة في النطق نظرا لقابليتهما على الحركة والتكيف لبعض الأوضاع وبخاصة في حالتي الانفراج والانطباق[4].

٢. **الأسنان:**

وهي أعضاء النطق الثابتة ولها أهمية في نطق بعض الأصوات اللغوية فهي تساعد اللسان في نطق الدال والثاء والفاء، وتشارك

١ .يُنْظَرُ: العين:١:٥٧–٥٨

٢. يُنْظَرُ: الأصوات اللغوية: ٨٨، أصالة علم الأصوات عند الخليل... ٢٣ – ٢٥، ٨٥.

٣. يُنْظَرُ: الكتاب:٤:٤٣٤ والأبحاث في أصوات العربية: ١١٣، الصوت اللغوي في القرآن الكريم: ٥٣.

٤ .يُنْظَرُ: علم اللغة العام:٧١.

اللسان أيضا في نطق الذال و الظاء[1].

٣. **اللثة:**

وهو تجويف يلي الأسنان إلى الفم وتساعد في نطق بعض الأصوات.

٤. **الحنك:**

وهو تجويف الفم، ويقسم على ثلاثة أقسام: مقدمة الحنك يعرف باللثة، و وسط الحنك يعرف بالغار(الحنك الصلب»، واقصى الحنك ويسمى بالحنك اللين.

٥. **اللهاة:**

وتكون في نهاية الحنك اللين، وتتضح أهميتها في نطق القاف.

٦. **اللسان:**

هو العضو الرئيس في عملية النطق، وهو على ثلاثة أقسام: طرفه وهو الجزء الذي يقابل اللثة، و وسطه الذي يقابل الحنك، واقصاه الذي يقابل الحنك الأقصى.

٧. **القصبة الهوائية:**

وهي قناة صوتية رابطة بين الحنجرة والرئتين، وتكون على شكل قصبة ذات حلقات غضروفية غير كاملة الاستدارة من الخلف.

٨. **لسان المزمار:**

هو تجويف له غطاء يحمي طريق التنفس اثناء عملية البلع، ومن الناحية اللغوية نجده قليل الأهمية فهو يتحرك مع مؤخرة اللسان الى الأمام والى الخلف، وفي هذه الحركة يؤثر في التساع الفراغ الذي يتمثل به[2].

---

١. يُنْظَرُ: فقه اللغة للدكتور عبد الحسين مبارك: ٨٠

٢. يُنْظَرُ: محاضرات في فقه اللغة: ٩٠

٩. **الحلق:**

تجويف يقع بين الحنجرة والفم

١٠. **الحنجرة:**

وهي عضو مكون من ثلاثة غضاريف الأول منها يكـون نـاقص الاستدارة والثاني يكون كامل الاستدارة، والثالـث مكـون مـن قطعتين موضوعتين فوق الغضروف الثاني[١].

١١. **الوتران الصوتيان:**

وهما عضوان لهما القدرة على اتخاذ الوضـع المناسـب في الحنجـرة لإصدار الذبذبات الصوتية أي ما يعرف بالنغمة الموسيقية، فعـن طريق انفـراجهما يحصـل الهمـس، وفي انطبـاقهما يحصـل القطـع والجهر.

١٢. **الرئتان:**

وهمـا عضـوان إسـفنجيان يقومـان بوظيفـة بيولوجيـة تتمثـل باستبدال ثاني أوكسيد الكاربون بالأوكسجين من خلال عمليتي الشهيق والزفير، وتنحصر وظيفـتهما اللغويـة في دفـع الهـواء إلى الخارج مارا بالأَعْضَاء الصوتية، ونتيجـة عمليـة الاحتكـاك بـين الهـواء الصـاعد مـن الـرئتين وتلـك الأَعْضَـاء يحـدث الصـوت اللغوي[٢].

١. يُنْظَرُ: الأصوات اللغوية:١٧.

٢. يُنْظَرُ: محاضرات في فقه اللغة:٨٦



صفات الأصوات

- **الجهـــر والهمـــس**

يحدث الجهر بالصوت حينما تقترب الأوتار الصوتية بعضها من بعض حد التلاصق أثناء مرور الهواء، ونظر لضيق مجرى الهواء تحصل تلك الذبذبات الصوتية التي يولد منها الصوت المجهور(١).

أما الهمس فهو تباعد الوترين الصوتيين أثناء عملية مرور الهواء دون ادنى ذبذبة فيهما والصوت إلى يولد من عملية خروج الهواء من الرئتين بتلك الطريق يسمى

١. يُنْظَرُ: علم اللغة العام:٧١

بالصوت المهموس، والأصوات المهموسة هي: الهاء والحاء والثاء والشين والصاد و التاء والسين والكاف والفاء والخاء وعددها عشرة أصوات يجمعها قول(حثه شخص فسكت»، وباقي الأصوات في المجهورة وعددها تسعة عشر صوتا[1].

- **الشـــدة والرخـــاوة:**

مفهوم الشدة هو انحسار الصوت أو انحباسه حال النطق بالصوت لتمام قوته ومن حروفه «أ، ب، ت، ج، د، ط، ق، ك»، أما الرخاوة فهو على العكس من ذلك و الذي يجري فيه الصوت[2].

- **التوسط بين الشدة والرخاوة:**

وهي الأصوات التي تجمع بين الشدة والرخاوة في صفاتها، ومن هذه الأصوات «الألف و العين و الياء واللام والنون والراء والواو والميم» ويمكن جمعها بعبارة: لم يرو عنا.

- **الإطباق و الانفتاح:**

وي الحالة التي ينصر فيها الصوت بين اللسان والحنك الأعلى، وهو رفع اللسان إلى الحنك الأعلى مطبقا له، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والظاء ذالا ولخرجت الضاد عن الكلام لأنه ليس من موضعها شيء غيرها فتزول الضاد اذا عدمت الإطباق إليه[3]، فهو نوع من الاستعلاء الذي يرتفع اقصى اللسان به إلى ما يلي الحنك ومن أصواته «الضاد والصاد والظاء والطاء»، أما الانفتاح فيراد به جريان النفس لعدم إطباق اللسان، وحروفه هي الخمسة والعشرون الباقية.

- **الذلاقة والصمت أو الإصمات:**

سميت مجموعة من الأصوات بهذه التسمية كونها تخرج من ذلق اللسان وهي ستَّةٌ احرف ثلاثة منها تخرج من ذلق اللسان من طرف الغار«اللام و الراء والنون»

---

١. يُنْظَرُ: سر صناعة الإعراب:١: ٦٨-٦٩.

٢. يُنْظَرُ: المصد نفسه:١:٧٠

٣. المصدر نفسه:١:٧٠ -٧١.

والباقي من طرف غار الفم وهي«الفاء والباء والميم» ومخرجها بين الشفتين[1].

- **الاستعلاء والانخفاض:**

الاستعلاء هو خروج الصوت من اعلى الفم أي أن تصعد في الحنك الأعلى وأصواته «الخاء والصَّاد والضَّاد والطَّاء والظَّاء والغين والقاف»، أما الانخفاض أو الاستفال فهو خروج الصوت من اسفل الفم وأصواته ما بقي من الأصوات [2].

- **الصفير:**

هو حالة في الصوت الرخو«الصاد والسين والزاء» الذي يخرج من بين الثنايا وطرف اللسان ويحث صفيرا، كونها تنسل انسلالا[3].

- **لقلقلة:**

وهي اضطراب الصوت عند النطق به كونه ساكنا فحرك، ومن تلك الأصوات «القاف والباء والجيم والطاء والدال»[4].

- **اللين:**

وتسمى أصوات المد كون الهواء لا يعترضه أي عارض أثناء عملية النطق بها في الفم أو في الحلق وقيل احتملت تلك الأصوات «الألف والواو والياء فضلا عن الحركات الثلاثة» لأنها سواكن فتسعت مخارجها حتى جرى الصوت فيها[5].

- **التفشي:**

يراد به تفشي صوت الشين بانتشار النفس في الفم عند النطق به[6].

- **الاستطالة:**

وهي مد الصوت بالضاد في أول حافة اللسان إلى آخرها[7].

١.يُنْظَرُ: معجم العين:١:٥١.

٢.يُنْظَرُ: سر صناعة الاعراب:١:٧٢

٣.يُنْظَرُ: في البحث الصوتي عند العرب:٥٨.

٤.يُنْظَرُ: سر صناعة الإعراب: ١:٧٣.

٥.المصدر نفسه:١:١٩

٦.يُنْظَرُ: دراسات في فقه اللغة:٢٨٣.

٧.المصدر نفسه:٢٨٣

- **التكرار:**

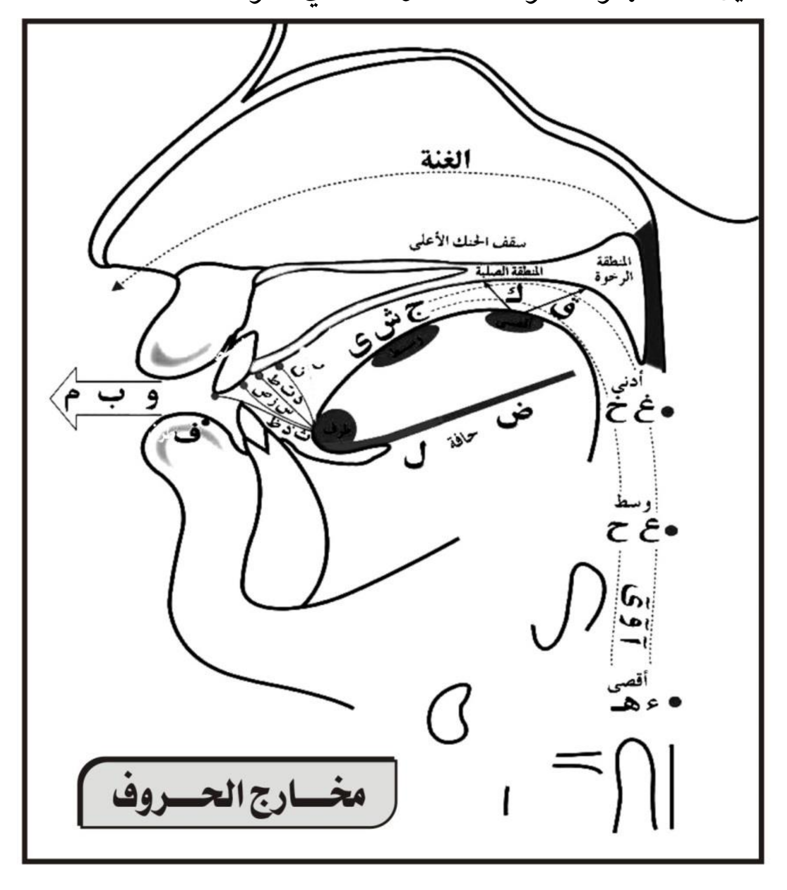
وهو ما يصحب صوت الراء عند استرخاء اللسان عند النطق به[1].

- **الغنة:**

وهي خروج الصوت من الخيشوم عن النطق بالميم والنون والتنوين.

- **الهاوي والمهتوت:**

الصوت الهاوي مختص بصوت الألف دون غيره كونه اعلى مراتب الانطلاق في أصوات اللين، أما المهتوت هو الضعف والخفاء في صوت الهاء[2].



---

١. يُنْظَرُ: علم اللغة العام:١٢٩.

٢. يُنْظَرُ: سر صناعة الاعراب:١:٧٤.

صفـــات الحـــروف

ت	الصفة	التعريف	الحروف
١.	الهمس	جريـان الـنفس عنـد النطـق بـالحرف لضعف الاعتماد على المخرج	فحثه شخص سكت
٢.	الجهر	انحبـاس جـري الـنفس عنـد النطـق بحروفه لقوة الاعتماد على المخرج	الباقي بعد الهمس
٣.	الشدة	انحبـاس جـري الـنفس عنـد النطـق بالحرف لكمال الاعتماد على المخرج	أجد قط بكت
٤.	التوسط	اعتماد الصـوت عنـد النطـق بـالحرف لعـدم كـمال انحباسـه كـما في الشـدة، وعدم كمال جريانه كما في الرخاوة	لن عمر
٥.	الرخاوة	جريان الصوت مـع الحـرف لضـعف الاعتماد على المخرج	ماعـدا حـروف التوسـط والشدة
٦.	الاستعلاء	ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعـلى عنـد النطق بالحرف	خص ضغط قظ
٧.	الاستفال	انخفــاض اللســان «انحطاطــه عــن الحنك الأعلى إلى قاع الفم»	الباقي بعد الاستعلاء
٨.	الإطباق	تلاصق ما يحاذي اللسـان مـن الحنـك الأعلى على اللسان	ص – ض – ط – ظ
٩.	الانفتاح	تجافي كل من طائفتي اللسان والحنـك الأعـلى عـن الأخـرى حتـى يخـرج النفس.	ماعدا حروف الإطباق
١٠.	المد واللين	امتداد الصوت وخروج الحرف في لين وعدم كلفة.	أ – و – ي
١١.	الصفير	حدة الصوت.	ص – س –ز
١٢.	التفشي	انتشار خروج الريح وانبساطه.	ش – «ث على خلاف»

١٣.	الاستطالة	امتداد الصوت من أول إحدىٰ حافتي اللسان إلىٰ آخرها.	ض
١٤.	التكرير	تضعيف يوجد في جسم الراء لارتعاد طرف اللسان بها.	ر
١٥.	الانحراف	خروج من صفة إلىٰ صفة.	ل – ر
١٦.	الغنة	صفة لازمة للنون والميم «وهو الصوت الزائد المنبعث من الخيشوم»	م – ن
١٧.	القلقلة	اضطراب المخرج عند النطق بالحرف ساكناً حتىٰ يسمع له نبرة قوية	قطب جد «أو» بجد قط
١٨.	النفخ	صوت حادث عند خروج حرفه لضغط عن موضعه وهو دون القلقلة	ظ – ز – ض – ذ

الظواهر الصوتية في اللغة العربية

- **الوقــفِ**

يُطلَقُ هذا المصطلحُ علىٰ قطعِ الكلمة عمّا بعدها صوتياً، ويكونُ دالاً علىٰ نهاية التعبير، من خلال قطعِ الكلمة، أي أنْ تسكتَ علىٰ آخرِها قاصداً لذلك مختاراً لجعلِها آخرَ الكلام، سواءٌ كانت بعدها كلمةٌ أو كانت آخرَ الكلام(١).

- **الهمزُ:**

ظاهرةٌ صوتيةٌ اتصفتْ بها اللغةُ العربيةُ الفُصحىٰ فضلاً عن اللهجاتِ العربية الحديثة، إذْ نَجِدُ مِنَ العَرَبِ مَنْ يؤثرُ الهَمزَ فِي كَلَامِهِ عَلىٰ الرَّغمِ مِن صُعوبةِ النّطق بصوت الهمزة، لأنّه صوتٌ عسيرُ النطق، إذ يتمُّ انحباسُ الهواء خلفَ الأوتار الصوتية ثم انفراجُ هذه الأوتار فجأة وهذه العمليةُ تحتاج إلىٰ جهدٍ عضليٍّ كبيرٍ في

١. يُنْظَرُ: شرح الشافية: ٢:٣٧٨، الوقف في العربية: ١٤ – ١٥.

عملية النطق تزيدُ على ما يحتاجُ إليهِ أيُّ صوتٍ آخر[1].

وقد نَسبت الرواياتُ اللغويةُ ظاهرةَ تحقيق الهمز إلى تميمٍ وغيرهم من قبائلِ وسط الجزيرة وشرقيِّها كما نُسب التخفيفُ والتخلصُ من الهمزِ إلى البيئةِ الحجازية.

- **الإدغـــامُ:**

ظاهرةٌ صوتية وهو نوعٌ من أنواعِ التأثر الحاصلِ بين صـوتين متماثلـين متقـاربين متجاورين، أي هو تقريبُ صوتٍ من صوتٍ[2]، إذ تأتي بحرفين ساكنٍ فمتحركٍ مـن مخرجٍ واحد مـن دون فصـلٍ، ويكـون في المثلـين والمتقـاربين[3] ولا يكـونُ إدغـامٌ في المتقاربين إلاّ بعد جعلِهما متماثلين كلَّ المماثلة، لأنّ الإدغامَ إخراجُ الحرفين من مخـرج واحد دفعةً واحدة باعتمادٍ تامٍّ ولا يمكن إخراج المتقاربين من مخرج واحد، لأنّ لكلِّ حرفٍ مخرجاً على حدة[4]، وقد يترتبُ على تجاورِ صـوتين متجانسـين أو متقـاربين أنّ أحدهما يفنى في الآخر[5].

- **القَلْب**

يتمثلُ هذا المصطلحُ الصوتيُّ بقلبِ بعض الأصواتِ اللغوية إلى أصـوات بعينِهـا نتيجةَ التماثلِ الصوتيِّ بين الصوامتِ المتجـاورةِ، أو نتيجـةَ تأثرِهـا بالمصـوّتاتِ التـي تكونُ قبلها وخاصةً في أصواتِ العلة التي تُقْلَبُ دائـماً إلى الصـوتِ الـذي هـو مـن جنسِ المصوّت القصير.

---

١. يُنْظَرُ: الأصوات اللغوية:٧٨، والتطور اللغوي «قانون السهولة والتيسير د. رمضان عبد التواب: مجلة مجمع اللغة العربية ج«٣٦. ١٩٧٥، التَّطور اللغوي د. رمضان: «٧٦.، علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية: ١١٧-١١٨، يُنْظَرُ: التَّنغيم اللغوي في القرآن الكريم: ١١٤، ١١٨.

٢. يُنْظَرُ: الخصائص: ١:٤٩٥.

٣. يُنْظَرُ: شرح الشافية: ٣:١٦٠، إيجاز التعريف في علم التصريف:١٧٢، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية:٢٣٥-٢٣٦.

٤. يُنْظَرُ: شرح الشافية: ٣:١٦١، والتَّصريف العربي: ٦٥.

٥. يُنْظَرُ: الأصوات اللغوية: ١٥١.

- **الإبــدال**

تتمثَّلُ هذه الظاهرةُ عند القدماء بإقامةِ حرفٍ مقامَ حرف أو تعويضِه إما ضرورةً وإما صنعةً واستحساناً أو أنْ تجعَلَ حرفاً مكانَ حرفٍ آخرَ مطلقاً مع الإبقاءِ على سائرِ أحرفِ الكلمةِ[١]، ويكونُ ذلك الأثرُ الصوتيُّ نتيجةَ التماثلِ الصوتيِّ بين الحروفِ التي هي من مخرجٍ واحد أو مخارجَ متقاربةٍ، إذ يحصلُ الإبدالُ بين أحرفِ كلِّ مخرج وبين مخارجَ مختلفةٍ متقاربة الأقربَ فالأقربَ[٢]، من حيثُ نشأة الصوتِ من جهاز النطق أو ما يشتملُ عليه من خواصّ صوتيةٍ تقرّبه منه[٣].

وعالج المحدثون هذه الظاهرةَ في إطار مفهوم المماثلةِ الذي يُعنى بدراسةِ التبدلاتِ التكيفية للصوت بسبب مجاورتِه للأصواتِ الأخرى[٤].

- **الإمالـةِ**

الإمــالة مصطلحٌ صوتيٌّ مشتركٌ واقعٌ في الأسماءِ والأفعالِ، لتقريبِ الصوتِ من الصوتِ[٥]، وهو نطقُ الألفِ في حالاتٍ لغويةٍ محددةٍ نطقاً خاصاً قريباً من نطقِ الياءِ بأنْ تنحوَ بالألفِ نحوَ الكسرةِ، فتميلَ الألفُ نحو الياءِ بتجانسِ الصوتِ[٦]ولا يكونُ ذلك إلا لعلةٍ[٧]، أو هو تقريبُ الفتحةِ من الكسرةِ وأنْ يُنحى بالفتحةِ نحو الكسرةِ[٨]

---

١. يُنْظَرُ: الصاحبي في فقهِ اللغةِ:١٧٣، شرح الشافية: ٣:١٣٤، ويُنْظَرُ: التطور اللغوي التاريخي:١١٠.

٢. يُنْظَرُ: الفلسفة اللغوية:٦٠، الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني:٩٨.

٣. التطور اللغوي التاريخي:١١٠.

٤. يُنْظَرُ: في فقه اللغة وقضايا العربية:٤٧، ويُنْظَرُ: مصطلح الإبدال عند المحدثين في المصطلح الصوتي عند علماء العربية القدماء:١٦٩-١٧٠، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية:٢٣٠-٢٣١

٥. يُنْظَرُ: الخصائص: ١:٤٩٥.

٦. يُنْظَرُ: الكتاب: ٤:١١٧، المفصل: ٤٧١، شرح المفصل: ٩:٥٣.

٧. يُنْظَرُ: المقتضب: ١:٤٢.

٨. يُنْظَرُ: سر صناعة الإعراب: ١:٦٧.

قصْدَ مناسبةِ الكسرةِ أو الياءِ، أو تكونُ الألفُ منقلبةً من مكسورٍ أو ياءٍ[1].

ثانياً: ظاهرة الإعراب في لغة العرب

إنَّ النظر في طبيعة هذه الظاهرة اللغوية والبحث في خصائص اللغات العروبية، يفصح للقارئ العربي أن الإعراب ليستْ سمة من سمات اللغة العربية دون سواها من اللغات العروبية، فضلاً عن ذلك أنَّ هذه الظاهرة لا يمن توظيفها في كشف الخصائص اللغوية أو بيان مميزاتها في لغة ما بمعزلٍ عن باقي اللغات، كونها هي سمة من قبيل تلك السمات المشتركة بين تلك اللغات، لذلك لا يمكن لنا دراسة ظاهرة الإعراب في اللغة العربية بمعزلٍ عن شقيقاتها العروبيات، علَّنا نستثمر بعض الاستعمالات أو الإشارات الصوتية في تلك اللغات لبيان مقصدٍ ما، وتفسير ما كان غامضا، أو تقريب ما كان غائباً بعيداً عن ذهن القارئ.

وقبل الشروع في ماهية هذا البحث نودُّ أن نتساءل عن موقع هذه الحركات «علامات الإعراب» في النظام اللغوي، بمعنى هل الحركات الإعرابية مختصة بالنظام النحوي؟ وهل طبيعة عملها تصويب المقولات اللغوية والإعراب عن المعنى؟ وماذا نسمي الحركات الموجودة في بنية الكلمة؟ إذا ما علمنا أن وظيفة تلك الحركات هي الأخرى تعرب عن دلالة مغايرة للمبنى الواحد. ثم إذا كان الإعراب والمعنى متجاذبين، بحيث هذا يدعوك إلى أمر، والآخر يمنعك منه، فأيهما أنت ممسك؟ ثم ما علاقة العلامة الإعرابية بما سقط من التركيب؟

إنَّ الإجابة عن تلك التساؤلات تستدعي من الباحث النظر في اصل تلك الظاهرة ومكان وجودها من التركيب في اللغات العروبية، ثم التدرج بالبحث عنها وصولاً إلى اللغة العربية، وبيان الخفيِّ منها، بغية إيضاحه للقارئ سواء في النص المكتوب أو في النص المنطوق.

---

١. يُنْظَرُ: شرح الشافية: ٣:٧.

إن النظر في طبيعة اللغات العروبية من حيث المظاهر اللغوية التي وصلتنا عن طريق البحوث والدراسات التي عنيت بالفرع السامي، يلحظ أنها قد شكلتْ منظومةً لغويةً متكاملة، وهذا ما أفصحت عنه خصائصها اللغوية المشتركة التي ترشحتْ عنها من خلال النصوص اللغوية المتمثلة بالنقوش والكتابات المقطعية القديمة، إذ أخذت كلُّ لغةٍ من مجموع هذه الأرومة نصيبها من تلك الثروة اللغوية التي عزاها بعض الباحثين[1] إلى اللغة العروبية الأولى«اللغة الأم»، لذا نجد أنَّ العروبيين «العرب»[2] قد اسهموا في تطوير النمط اللغوي العروبي القديم، والحفاظ على حال الأصوات العروبية الأولى وما ترشح عنها من صوائت في زمن متأخرٍ بالنسبة إلى تاريخ تلك اللغات، فاحتفظت بالحالات الإعرابية الثلاثة القديمة «الرفع، و النصب، و الجر» وهذا ما تمثلت به ابتداء اللغة الآكدية، إذ وصلتنا بعض الروايات التي أفصحت عن حالات الاسم في الرفع والنصب والجر، وقد ظهرت تلك الحالات من خلال النقوش التي دونت عن طريق الكتابة المقطعية وبالقلم المسماري، إذ يطابق هذا الأمر حالات الإعراب في اللغة العربية، يقولون:kalbu في حالة الرفع، وkalba في حالة النصب، وkalbi في حالة الجر، ثم جيء بالتمويم مقابلاً للتنوين يقولون:kalbum، ولاينتهي الأمر عند هذا الحد في الاسم المفرد بل جعلوا علامات إعراب للاسم المجموع في حالاته الثلاث، قالوا:kalbuu في حالة الرفع ويكون ذلك بتطويل حركة الصَّائت بعد إسقاط التَّمويم من الاسم، أو

---

١ .يُنْظَرُ: رأي الدكتور نجيب البهبيتي في المعلقة العربية الاولى:١:٦٠، ٥٨

٢. قيل أن العرب القدماء عرفوا بالعرب لان لسانهم عربي، وروي عن النبي ص انه قال: «خمسة أنبياء من العرب وهم:محمد و اسماعيل وشعيب وصالح و هود. .وان هذه الرواية تدل على ان اللسان العربي قديم، وهؤلاء الانبياء عرب وكانوا يسكنون بلاد العرب. ونلحظ ان سلسلة الرجال بين سام و هود: قيل ان هود(ع) هو ابن شالح بن ارفخشد بن سام. وعن ابن عباس: ان هودا اول من نطق بالعربية. مساكن قوم هود، كانت مساكن عاد ارض الاحقاف أي في شمال الربع الخالي، وهذا ما يتسق مع ما ذهب اليه بعض الباحثين في تحديد البيئة الجغرافية التي انطلقت منها الجماعات السامية فضلا عن التماثل اللغوي الدي يرجع إِلى اصل لغوي هو اقرب إِلى اللسان العربي.

بإضافة اللاحقة للاسم«anu» في حالة الرفع«sharranu»، أما في حالتي النصب والجر فتضاف اللاحقة «ane»[1] ومن خلال هذه الأمثلة لا يمكن للباحث أن يتبين الوظيفة اللغوية من تلك العلامات، أي هل لها اثرٌ في بيان دلالة العبارة، أم هي ظاهرة صوتية الغرض منها تماسك الكلمات وتساقها؟

وبما أن اللغات العروبية قد اثَّر بعضها ببعض في كثيرٍ من الظواهر اللغوية إلا أن اللغة الاوغاريتية التي جاءت في أعقاب اللغة الاكدية، أو كانت مصاحبة لها قبل أفول نجمها، ومع هذا التقارب لم يلحظ أيَّ وجودٍ لظاهرة الإعراب في هذه اللغة، على الرغم من أنها اللغة العروبية الأقرب إلى اللغة العربية بنظامها الصوتي والأبجدي، وهذا ما جعل كتابتها تقوم على الصوامت فقط[2] فالملاحظ على هذه القراءة أنها تعتمد على النصوص المكتوبة وهذا يعني أن علامات الإعراب لا علاقة لها بسلامة التركيب في ذلك الوقت أو الكشف وبيان المعاني والدلالات.

وإذما تتبعنا تلك المسيرة اللغوية في البحث عن جذور هذه الظاهرة نجد أن اللغة الفينيقية قد استعملت أصوات الحلق «في اللهجة البونية الحديثة» لتصبح وسيلةً لكتابة الحركات القصيرة، كونها لا تمثل أيَّ وظيفة لغوية، لذلك دونت هذه الحركات داخل الكلمات[3] وهذا ما سنوظفه في بيان علاقة الحركات داخل المباني الصرفية و ظاهرة الإعراب- وربما هذا العمل في اللغة الفينيقية يسهم في كيفية نطق الكلمة كما هو الحال في لغة العرب، لان طبيعة هذا التدوين لتلك الحركات يشعر بوجود تمايز لغوي دلالي بين الكلمات، أو بالأحرى بين تصاريف الكلمة الواحدة.

أما في اللغة العبرية فقد استملت علامات الإعراب للمساعدة في ضبط النطق وحفظ الكلمات من التحريف[4]، وكان هذا الأمر في المرحلة الثانية من تاريخ اللغة

---

١. يُنْظَرُ: المدخل إلى دراسة تاريخ اللغات الجزرية، سعيد الاحمد:١٦

٢. يُنْظَرُ: علم اللغة العربية مدخا تأريخي مقارن، د. محمود فهمي حجازي، دار غريب، القاهرة،:١٦٠

٣. يُنْظَرُ: المصدر نفسه:١٦٣.

٤. يُنْظَرُ: المدخل إلى دراسة اللغات الجزرية:٦٨.

العبرية، إذ تأثر رجال الماسورا الذين يُعنون بالنص العبري القديم بطريقة النساطرة المسيح في ضبط الحركات[1].

إنَّ الملاحظ على تلك اللغات أنها استعملتّ تلك العلامات في نصِّها المكتوب، دون إشارة من الباحث في تاريخ تلك اللغات إلى طبيعة النص المنطوق.

أما اللغة الآرامية ولاسيما «اللهجة النبطية» فيُعتقد أنَّ الأنباط استعملوا الواو والضمة للرفع والكسرة للجر والفتحة للنصب، دون أن يُرفقوا الحركات بحرف النون كونه حرف رفعٍ أو باقي العلامات الأخر[2].

وبعد هذا العرض، نجد بعض الباحثين من يعتقد بأن اللغات العروبية، وعلى الرغم من كونها تتماثل في النظم والقواعد الصوتية، قد اعتمدت الأصوات الصامتة دون الأصوات المتحركة في نهاية الكلمات، والقول بأنها اعتمدت هذه الحركات في عصور متأخرةٍ غير دقيق[3]، كون اللغة الاكدية قد استعملت تلك العلامات فضلاً عن الفينيقية التي استوعبت تلك الحركات في داخل المباني الصرفية ومن هنا جاء هذا الأثر الصوتي إلى اللغة العربية، لكن بعضَ الباحثين يرى أن ظاهرة الإعراب وحركاتها أنها بقايا ضمائر وأدواتٍ إشارية، وأما ظاهرة التنوين في اللغة العربية التي تقابل التمويم قيل فيها أن العربي لَمَّا اقرَّ لُغته في اللفظية «وهنا الحديث عن الجوانب النطقية للغة لا الكتابي» قد استوى منطقه على اشده كرهِ الصوتية في الحركات الإعرابية التي يقتضي مدُّها عند الوقف عليها ظاهرةً، فقطع المدَّ بالتنوين، وقد ظهرتّ محاولته هذه في تنوين الترنم[4]، ومن مثيل ذلك قول الشاعر:

١.يُنْظَرُ: علم اللغة العربية:١٦٨.

2.the nolde ck die seitischen sprachen cleipzig 1199 pp:51 fp

٣. يُنْظَرُ: قول الدُّكتور هادي نهر في الأساس في فقه اللغة العربية وأرومتها، ط«٢. دار الامل، ٢٠٠٥م:١٣٥

٤.يُنْظَرُ: المقدمة لدرس لغة العرب، للشيخ عبدالله العلايلي، الطبعة «٢. دار الجديد، بيروت، ١٩٩٧،:٣٥٨.

«اقلي اللَّوم عاذلَ والعتابن»[1]

وبعد هذا العرض آن الأوان لبيان موقع هذه العلامات من المباني والتراكيب سواء في النص المكتوب أو النُّطوق، قال ابن جني في حده للإعراب «هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ»[2]، أن هذا القول يقودنا إلى امرين: الأول: جعل العلامة الإعرابية جزءاً من تركيبة الكلمة سواءُ في فاء الكلمة كما هو الحال في التميِّز بين كَتَبَ المبني للمعلوم وكُتِبَ المبني للمجهول وكذلك في الاسم المفرد والمجموع «أَسد، أُسُدُ» وفي المصدر والفعل «فَرَحَ، فَرِحَ» أو في الأسماء كـ: بِر «الإحسان» و بَر «الأرض» و بُر «القمح أو في عين الكلمة كاسمي الفاعل والمفعول في حال اشتقاقهما من الفعل الرباعي، يقال: مُفْعِل ومُفْعَل، أو في نهاية الكلمة كهيهاتَ وهيهاتِ، وعلَّ هذا الأمر يقودنا إلى ما كان موجوداَ في اللغة الفينيقية، كون هذه الحركات أماراتٍ ورسومٍ تبين ما كان مختلفاً من المباني الصرفية ذات المادة اللغوية الواحدة.

والثَّاني: أنه كنى عن الحركات بالألفاظ، وبالتالي يتطابق هذا التحديد مع ما جاء به الزجاجي كون أن الأسماء لما كانت تعتورها المعاني فتكون فاعلة ومفعولة ومضافة ومضافا اليها ولم تكن في صورها و أبنيتها أدلة على هذه المعاني بل كانت مشتركة جعلت حركات الإعراب فيها تنبئ عن هذه المعاني[3]، وقيل إن الإعراب هو الإبانة عن معنى جديدٍ أو حالٍ انتقل اليها الشيء[4]، أو كونه نتاج صوتي يكون في أواخر الكلم سببه الترابط العضوي للعوامل النحوية بالمعمولات في تركيبهما[5].

في حقيقة الأمر لا نريد أنْ نَسْتَبِق نتائج الدِّراسة لهذه الظاهرة، لكن النظر في

١.يُنْظَرُ: الشاهد الكتابُ لابي بشر بن عمرو عثمان بن قنبر(١٨٠.هـ، تحقيق:عبد السلام هارون، عالم الكتب بيروت: ٤:٢٠٨. ويُنْظَرُ: شرح أبيات سيبويه: ٢:٣٤٩.

٢.الخصائص: الخصائص، لأبي فتح عثمان بن جني، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط«٢.، لسنة ١٤٠٤-٢٠٠٣، ١:٨٩

٣.يُنْظَرُ: الايضاح في علل النحو:٦٩-٧٠.

٤ يُنْظَرُ: دلالة الاعراب:٢١.

٥.يُنْظَرُ: الامالي الشجرية:١:٢٤.

تكوين وصناعة النص المنطوق تجعل من وظيفة هذه الظاهرة منوطةً بعامل التوافق الصوتي، كون العملية الابلاغية «التمثيل الصوتي» تكون بعد مرحلة نتاج وتحديد المعنى لان هذه الرموز الصوتية تكون ألفاظاً دالةً على ما تقرر ابتداء في البنية العميقة أو ما يعرف بالبنية الضحلة، وما لأهمية تلك الألفاظ عند العرب لذا أصلحوها وحسنوها وهذَّبوها وصقلوا عروبها، «أطرافها» وجاءت عنايتهم بالألفاظ كونها عندهم خدم للمعاني وتنويه بها وتشريف منها[1].

لكن الباحث في التراث اللغوي والى جانب تلك الدلائل التي تسهم في الكشف عن حقيقة وطبيعة ظاهرة الإعراب، يلحظ أن النحويين جعلوا من الإعراب نظرية كاملة عرفت بنظرية العامل وتكلموا عن الحركات، وجعلوها دليلاً على المعاني(٢، مع أنهم انفسهم لم يجوزوا أن تدخل دلالة على دلالةٍ أخرى، كون الألفاظ في مباحثهم اللغوية تدلُّ على المعاني، والإعراب كمفهوم لغوي وفي ضوء الحد الذي قال به القدماء هو الأخر يكون دالاً على المعاني، وإن أوجدوا لهذا الأمرِ تعليلاً، فلاحظ العلاقة بين الألفاظ والحركات في الدلالة على المعاني:

قولنا:«يا رجلاً» الكلمة اصلٌ في التركيب لكن ثمة تناقضا في الحركة «حركة نصب» كونها «تدل على الفضلة»، وكذلك قولنا: يا رجلُ«الكلمة اصل في التركيب «تناقض في الحركة» حركة بناء «في موضع نصب»، و قولنا: يا غلامَ زيدٍ «الكلمة اصل في التركيب» «تناقض في الحركة» حركة نصب «تدل على الفضلة»، وقولنا: لم يضرب «الفعل اصل في التركيب» «تطابق المعنى مع الحركة» السكون «انقطاع الحركة لا معنى»، وقولنا: لن يقوموا «الفعل اصل في التركيب» «تطابق» حذف الحرف علامة على الإعراب، وقولنا: يقومون «الفعل اصل في التركيب» «تطابق» ثبوت النون، لا يدل على معنى في هذه الحال.

وبعد هذا العرض يحق لنا أن نسأل: ما هو السبيل إلى معرفة دلالة الإعراب

١.يُنْظَرُ: الخصائص:١:٢٣٨.

٢.يُنْظَرُ: اللغة العربية معناها ومبناها:٢٠٥.

عندما تكون دلالة الحركة الإعرابية صفراً، إذا ما قارنا ذلك بقولهم إن الإعراب عبارة عن معنىٰ يحُلّ بالحركات والحروف، والعلامة هنا هي السكون وحذف الحرف وسقوطه من الكلمة فـ«الدلالة صفر»، وكثيرا ما يكون ذلك في النص المنطوق، أي أنك تلحظ في حديث من يخشىٰ الوقوع في اللحن يلجأ إلىٰ تسكين أواخر المباني.

وهذا يدفعنا إلىٰ القول بان الكلام لم يعرب للدلالة علىٰ المعاني، لان الكلام في هذه الحال صار ذا هيأة ما عن طريق المعاني، وعلامات الإعراب في حقيقة الأمر هي عناصر صوتية حادثة في مرحلة ما بعد التلفظ بالمباني كون الكلام في أوله شرجاً مع ربط قصد المتكلم به، أي الافتراض في ذهن المتكلم وغير المصرح به في القول[1]، والذي يؤيد هذا المعنىٰ هو عدم تمكن العلامة الإعرابية من أن تحد من الانحراف أو عدو التلاؤم بين المعاني، إذ لابد من وجود تلاؤم دلالي بين المباني التي تشكل منها التركيب، ولا دخل لعلامات الإعراب في عملية السبك وتلاقح المباني[2]، نلحظ هذا النص القرآني الذي يفصح عن التجاذب بين المعنىٰ والإعراب، قال تعالىٰ: «إنه علىٰ رجْعِهِ لَقَادِرٌ، يومَ تُبلىٰ السَّرائِرُ»الطارق:٨-٩. قيل فالمعنىٰ في هذا «إنه علىٰ رجعه يوم تبلىٰ السرائر لقادر»[3]، وقيل في «يوم تبلىٰ السرائر» أوجه، الأول: هو معمول «قادر»، والثاني «علىٰ التبيين، أي: يُرجع يومَ تُبلىٰ»، والثالث: «تقديره: اذكر، ولا يجوز أن يعمل فيه «رجعه» للفصل بينهما بالخبر، وقيل«الهاء) في «رجعه» للماء أيّ: قادرٌ علىٰ ردِّ الماء في الإحليل أو في الصُّلب، فعلىٰ هذا يكون منقطعاً عن قوله تعالىٰ: «يوم تبلىٰ السرائر» فيعمل فيه «اذكر[4]»، ويرىٰ أبن جني إذا «حملته علىٰ في الإعراب علىٰ «إنه علىٰ رجعه يوم تبلىٰ السرائر» كان خطأً، لفصلك بين الظرف الذي هو «يوم تبلىٰ» وبين ما

١. يُنْظَرُ: اللسانية التحويلية:٧٩.
٢. يُنْظَرُ: المصدر نفسه:٥٦.
٣. يُنْظَرُ: الخصائص:٢:٤٥٩.
٤. يُنْظَرُ: التبيان في إعراب القران للعكبري:٢:٥٦٣

هو معلَّق به من المصدر الذي هو الرجع، والظرف من صلته، والفصل بين الصلة والموصول الأجنبي أمر لا يجوز، فأذ كان المعنىٰ مقتضياً له والإعراب مانعاً منه احتات له، بأن تضمر ناصباً يتناول الظرف، ويكون المصدر الملفوظ به دالا علىٰ ذلك الفعل..»[1]، تلحظ كيف تجاذب المعنىٰ والإعراب، وجيء بما هو خارج عن التركيب «الفعل المضمر» ليُصحح الإعراب كونه لا ينسجم و هذه الحال مع اصل التركيب «إنه علىٰ رجعه يوم تبلىٰ السرائر لقادر»، أن هذه النظرة تذهب بنا إلىٰ ما عرف بقصدية الراوي اللغوي وما مدىٰ ارتباطها بالمعاني الوضعية، إذ نلحظ موقع هذه المعاني بألفاظها الدلة عليها مبهمة من الناحية الإعرابية، ويمكن تحديد العلامة الإعرابية مع ما يتوائم والمعنىٰ الذي قصده الواضع اللغوي، وندرك من ذلك أن دلالة التركيب محصورة بالمعنىٰ الوضعي ليس إلا، كون علامات الإعراب لم تكن موجودة في اصل الوضع اللغوي لمثل تلك التراكيب، وقد حذر ابن جني من الوقوع في الخطأ في تقدير العلامة الإعرابية وتعارضها مع المعنىٰ. قال: «إذا مرَّ بك سيء من هذا من أصحابنا فأحفظ نفسك منه، ولا تسترسل إليه، فأن أمكنك أن يكون تقدير الإعراب علىٰ سمت تفسير المعنىٰ، فهو ما لا غاية وراءه، وأن كان تفسير الإعراب مخالفا لتفسير المعنىٰ تقبلت تفسير المعنىٰ علىٰ ما هو عليه، وصححت طريق تقدير الإعراب حتىٰ لا يشذ شيء منهما عليك، وإياك أن تسترسل فتفسد ما تؤثر إصلاحه»[2]، فالإعراب يأتي في مرحلة ما بعد تفسير المعنىٰ، إن طابقه فتلك هي الوجهة المطلوبة، وإن خالفه علينا تصحيح ما خالف به المعنىٰ وتأوليه للوجهة الحسنة، وفي قول الرماني دليلٌ آخر علىٰ وقوع الإعراب بعدما أكتسب اللفظ دلالته، قال: «لا تنظر إلىٰ ظاهر الإعراب، وتغفل المعنىٰ الذي وقع عليه الإعراب»[3].

إنَّ النظر في طبيعة النصوص التي يراعىٰ فيها الإعراب أو المواءَمَة بينه والمعاني

---

١. الخصائص: ٢:٤٥٩

٢. الخصائص: ١:٢٩٢.

٣. شرح كتاب سيبويه للرماني: ٢:١٥، نقلا عن دلالة الاعراب: ٤٩.

ودلالات النص، تكمن في النص المكتوب اكثر من المنطوق كون الأخير يكون اظهر من خلال النبر والتنغيم، وتجد أن اللغة المنطوقة «لغة التخاطب» تفتقر إلى مراعاة قواعد الإعراب في عملية التواصل اللغوي، أي أنَّ الرَّاوي اللغوي يترخص من استعمال تلك العلامات، والمُخُاطب يفهم ما قاله المَخِاطب «الرَّاوي اللغوي» لأن الأخير لا يمكنه بشكلٍ من الأشكال أن يستوعب تلك القواعد المتشعبة والدقيقة، فضلاً عن صعوبة التطبيق[1]، لان الأمر في ذا منوط بملاحظة عناصر الجملة وعلاقة بعضها ببعض والتنبه إلى اثر العامل بالمعمول وبيان حركة اقتضائه، وكل ذلك غير ممكن في لغة التخاطب، ويمكن أنْ نقصر هذا الفعل على من كان يتكلم على السليقة[2].

والدَّليل الأخر على علاقة الإعراب بالمعنى وكونه يأتي في مرحلة متأخرة بالنسبة للمعنى، قول أبن هشام يقول: «وأول واجب على المعرب أن يفهم ما يعربه مفرداً أو مركباًُ»[3]، أن هذا القول يفهم منه ويوظف في امرين:

الأول: عملية الإعراب وضبط الكلمات بتلك العلامات تكون في النص المكتوب، لان القول في ذا واضح، يقول: «الواجب على المعرب» وليس الواجب على المتلقي ان يبحث عن إسقاطات الراوي اللغوي في هذا الموضوع، علماً أن المعرب للكلام لابد أن يكون على معرفة بالقواعد النحوية عامة، وهذا لا يتسنى لشخص ذي ثقافة لغوية قاصرة.

أما الأمر الثاني، فيفصح عن أن الإعراب يكون في الكلمة المفردة، وهذا ما تحدثنا عنه سلفاً، أي أن الحركات الموجودة والملازمة للصوت الصامت من الكلمة المفردة تفصح عن دلالتها من خلال التغاير الحاصل في بنيتها الصوتية ولا سيما في حركة الصائت القصير، مثال ذلك: المبنى «نَكَدٌ» قيل هو كلُّ شيء جرَّ على صاحبه شرَّاً،

١.يُنْظَرُ: دروس في علم الأصوات العربية:١٧٣.

٢.يُنْظَرُ: التطور اللغوي التاريخي:٥٦-٥٧.

٣.مغني اللبيب:٢:١٦٥.

و«نَكِدَ: عيشه، إشتدَّ، و «نِكِدَ الرجل»: قلل العطاء، وقيل في هذا المعنىٰ:

نَكِـــدتَ أبـــا زبيبـــةَ، إذ ســـألنا ولمِ يَنْكَـــد بحاجتنـــا ضـــبابُ[1]

والنَّكد والنُّكد مثله،

وأعطهـــما مـــا أعطيتـــه طيبـــاً لا خـــير في المنكـــود والناكـــد[2]

و«نَكَدَ: منعه، والنُّكدُ، النوق التي ماتت أولادها فغرزت[3] ومـن تلـك الألفـاظ ايضاً «نكس» يقال: «نَكَّسته» قلبته[4]، ونُكِسَ الرجل: ضعف وعجز، وقيل:

ولمِ ينـــتكس يومـــاً فُـــيظلمَ وجـــهُ لِيَمـرضَ عجـزاَ أو يضـارع مَأثمـا[5]

و «نَكَسَ» رأسه: إذا طأطأه من الذل، قال الشاعر:

وإذا الرجـــال رأوا يزيـــدَ رأيـــتهم خضـع الرقـاب نـواكس الابصـار[6]

ويقال: نُكِسَ المريض: عاودته العلة، ونَكَسَتُ الخطاب: إذا أعدت عليه مرة بعد مرة[7].

إن طبيعة التحول في بنية الكلمة سواء كان علىٰ المستوىٰ الصرفي أم علىٰ مستوىٰ الزمن الذي تدل عليه من شأنه ان يترك تحولاً علىٰ مستوىٰ الدلالة، ومن الأمثلة التي يمكن ان نسوقها في هذا المجال قول المتنبي[8]:

وإني لأعشـــق مـــن عشـــقكم نحـــولي وكـــل امـــرئ ناحـــلِ

١.يُنْظَرُ: لسان العرب:٣:٤٢٧.

٢.يُنْظَرُ: كتاب العين:٣:٤٢٨.

٣.يُنْظَرُ: لسان العرب:٣:٤٢٨.

٤.يُنْظَرُ: كتاب العين:٥:٣١٣.

٥.يُنْظَرُ: لسان العرب:٦:٢٤٢.

٦. يُنْظَرُ: المصدر نفسه:٦:٢٤١

٧.يُنْظَرُ: المصدر نفسه:٦:٢٤٣

٨.يُنْظَرُ: التبيان:٣:٢٢.

يمكن رصد اتجاهين على مستوى الدلالة من خلال كلمة «اعشق»، فقد أجازوا ان يكون فعلاً مضارعاً، فيكون معنى البيت «إني من فرط عشقي لكم اعشق نحولي، واعشق كل عاشق مثلي ناحل مثل نحولي للمشاركة التي بيننا».

كما أجازوا ان يكون «اعشق» اسم تفضيل على وزن «افعل»، فيكون المعنى «إني اعشق لكم، أي: اشد عشقاً لكم من عشقكم نحولي، وكل فتى ناحل، يعني: أنكم تعشقون نحولي ونحول كل فتى هذه صفته»[1].

وغير خفي بعد المعنى المتولد من حسبان «اعشق» اسماً للتفضيل، إلا أننا يمكن ان نعده استغلالاً لإمكانات اللغة من قبل الشراح لتوليد ما امكن من الدلالات في النص.

وقال أبو الطيب أيضا[2]:

لـــــه أيـــــاد إلـــــيَّ سـابقـــــة أعـــــد منهـــــا ولا أعـددهـــــا

فمن الشراح من ذهب إلى أن الفعل «أعد» مبني للمجهول، فيتجه معنى البيت إلى ان الشاعر يقول للممدوح «انا غذي نعمته وربيب احسانه، فنفسي من جملة نعمه، فأنا اعد منها». أما من ذهب إلى ان «أعد» مبني للمعلوم، فيكون معنى البيت عنده ان الشاعر يعد بعض أيادي الممدوح عليه «ولا يأتي على جميعها بالعد لكثرتها»[3]، نلحظ التحول في بنية الكلمة يسهم في التحول الدلالي وهذا التحول يكون عن طريق التغاير في حركة الصامت من الكلمة سواء في فائها أو عينها.

وعوداً على ما ترشح عن نص ابن هشام والقول بلزوم فهم ما يعربه المعرب نلحظ ابتداء أن النص المقروء هو ملك لكل قارئ يجيد فعل القراءة، من هنا نجد الكتابة اكثر صعوبة لكثيرٍ من الناس، لان عملية الكتابة تستدعي الالتزام بالقواعد اللغوية «الصرفية والنحوية» والنسج على سمت العربية وقوانينها، فضلاً عن

١.معجز احمد:٢:٥٧.

٢.يُنْظَرُ: التبيان:١:٣٠٤

٣.يُنْظَرُ: النظام:٦:٤٣٤

الالتزام المعايير الفنية في عملية الكتابة لأن القارئ أو المعرب «في هذه الحال يمكنه أن يلحظ الإشارات السلبية التي تقف أمام قبول النص أو التركيب كونه تركيباً منحرفاً خارجاً عن قوانين اللغة.

أما المنطوق فالمتلقي لا يعول كثيراً على علامات الإعراب في فهم النص المنطوق، كونه يتجه في الأعم الأغلب إلى ما يعين على فهم النص ولاسيما النظر في دلالات الألفاظ الوضعية، فضلاً عن استعمالها المجازي في اللغة، لذلك تنحسر ملاحظات المتلقي في معالجته لبيان الفكرة المطروحة وطريقة التعبير بالألفاظ، ورصد ما يصاحب عملية القراءة من عيوب نطقية ظاهرة. وعلى الرغم من أن النص المنطوق اسبق من النص المكتوب، إذما تحدثنا عن العملية التواصلية، لان الالتزام بالقواعد اللغوية «الصرفية والنحوية» قد أوجدها اللغويون «النحويون» من خلال استقرائهم للغة المنطوقة، وأن الالتزام بعلامات الإعراب في النص المكتوب يفوق الالتزام بها في النص المنطوق، لان اللغة المنطوقة لا تعتمد الإعراب في بيان المعنى، بل ثمة بدائل تعين على فهم المعنى عن طريق الإيماء وتعابير الوجه وحركة اليدين ونبرة الصوت، لان اللغة ليست مجرد ألفاظ أو معانٍ بل فيها من الرمز والإيماء الشيء الكثير[1] ومثال على التغاير في العلامة الإعرابية سواء في النص المكتوب أو المقروئ نطرح قول الشاعر للتحليل:

قول المتنبي[2]:

تظل الطير منها في حديث ... ترد به الصراصر والنعيبا

وقد لبست دماءهم عليهم ... حداداً لم تشق لها جيوبا

فقد اختلف في تقدير وظيفة «دماءهم» النحوية، فمنهم من ذهب إلى النصب، ومنهم من ذهب إلى الرفع، فمن نصب جعلها مفعولاً به لفاعل مقدر يعود على

---

١. يُنْظَرُ: دراسات في علم اللغة:٢٢.

٢. ديوانه:١:٢٩١

الطير، فيكون المعنىٰ ان هذه الطير لبست دماء القتلىٰ التي عليهم أي تلطخت بها وجفت عليها فاسودت وصارت كالحداد وهي الثياب السود تلبس عند المصيبة، ومن ذهب إلىٰ رفع «دماءهم» علىٰ تقدير الفاعلية أراد أن الدماء اسودت علىٰ القتلىٰ فكأنها لبست ثوباً غير ما كانت تلبس من الحمرة إلا أن المعنىٰ في كلا التحليلين يفصح عن دلالة الإحداد علىٰ القتلىٰ[1].

ومن النصوص التي تباينتْ فيها الوظيفة النحوية من خلال العلامة الإعرابية ولكن المعنىٰ لم يتحول عن وجهة:

ألا ليت شعري هل إلىٰ أم جحدرٍ سبيلٌ فأما الصبرُ فلا صبرا[2]

يلحظ رواية الشاهد بنصب «الصبر» ورفعه، وهذا الاختلاف في العلامة الإعرابية لم يغير في المعنىٰ شيء، فالنصب حجازي والرفع تميمي[3]، وكذلك نلحظ الاختلاف في رواية الشاهد باختلاف العلامة الإعرابية، لأنها في هذا المورد أصبحت من المقاييس النقدية التي لجأ إليها النقاد في فحص النصوص الأدبية، ولا أرىٰ لذلك معنىٰ، كون الإعراب في تلك الحالات يخضع إلىٰ التصويب النحوي من خلال التأويل، نلحظ نص الشاعر عقبه بن هبير الاسدي:

معاوي إننا بشر فأسجع فلسنا بالجبال ولا الحديدا[4]

قال سيبويه: «هذا باب ما يجري علىٰ الموضع لا علىٰ الاسم الذي قبله.. والوجهُ فيه الجرُّ لأنك تريد أن تُشرك بين الخبرينِ، وليس ينقض إجراؤه عليك المعنىٰ...وجرىٰ هذا مجراه قبل أن تدخل الباء..»[5]، وقيل إن المبرد ردَّ تلك الرواية علىٰ سيبويه، وقيل إن الأخير قد غلط علىٰ الشاعر، وقد احتج بهذا النص في نسق

---

١. التبيان:١٣٧:١

٢. يُنْظَرُ: كتاب سيبويه:٤٥٤:١.

٣. يُنْظَرُ: شرح الشاهد في شرح أبيات سيبويه:٢٦٩:١.

٤. يُنْظَرُ: الشاهد في كتاب سيبويه:٦٧:١.

٥. الكتاب:٦٧:١-٦٨.

الاسم المنصوب على المخفوض، وقيل إن سيبويه استثمر هذا النص والنصوص التي على شاكلته ليكون موافقاً للقاعدة النحوية، وهذا في حدِّ ذاته سببٌ في تغيير النصوص عن حالتها الأصلية[1]، والرغم من هذا الجدل في تغيير شكل النص من الخفض إلى النصب، لم نلحظ أي حديث عن دلالة النصب ودلالة الخفض، إلا يشعر ذلك أن لا خلاف في المعنى الرغم من تباين العلامات! فالمسألة في هذه الحال هي مسألة شكلية لا علاقة لها بالمعنى لذلك جوز سيبويه ذلك الاستعمال وجعله باباً يمكن القياس عليه ولا ينقض المعنى.

لذلك لا يمكن للقارئ أن يعول في البحث عن الدلالة النحوية عن الإعراب معولاً كاملا [2] كونه يحدد المعنى النحوي، وإنّ كانت الإفادة منه ممكنة إلى حدِّ ما، لان علم النحو هو علم الدلالة، ومفهوم الدلالة يتحقق من تصاقب الألفاظ لتصاقب المعاني على وجهٍ من الوجوه المستعملة في لغة العرب بوصفها نصوصا معيارية، عبر عنها الجرجاني بالرسوم التي رسمت للمستعمل اللغة[3].

ومن الملاحظ أيضا، نجد أن العلامة الإعرابية يكون إقرارها في موضع ما من الكلمة «إذا قلنا بأنها تفصح عن المعنى ولاسيما في المعاني الصرفية» الذي يمثل البناء الخارجي لها، أما ما يعرف بموقها من التركيب فهذا لا علاقة له بالإعراب، كون مجاله البنية الداخلية للتركيب، ولا إجافي الحقيقة إذا قلنا إن هذا الأمر هو من يدفع بتقدير العلامة الاعربية فيما بعد، ويؤثر فيها بعد رصف المباني التي تشكل التركيب. ومن خلال النظر فيما روي عن القدماء من النحويين، نلحظ اعتمادهم موقع الكلمة «معناها» في توجيه علامات الإعراب وهذا ما يتضح اكثر في تقدير ما سقط من التركيب، بحيث يتعذر تمثيل تلك الاصناف المعنوية غير البنائية بألفاظ في البنية الخارجية، وثمة امر اخر في هذا الضرب من التراكيب، هو كون العلامة الإعرابية

١ .يُنْظَرُ: قول عبد القادر البغدادي في خزانته:٢:٢٦٠.
٢.يُنْظَرُ: وصف اللغة العربية:٢٩٦.
٣.يُنْظَرُ: دلائل الاعجاز:٤٢.

المتمثلة علىٰ كلمة ما تكون دليلاً علىٰ ما سقط من التركيب، وظل قاراً في البنية العميقة للتركيب، وعنه قال ابن جني: «أعلم أن هذا الشرج غور من العربية بعيد ومذهب نازح فسيح قد ورد به القرآن وفصيح الكلام منثورا ومنضوما.. »[1] ومما جاء به القران: قواه تعالىٰ: «بما أوحينا إليك هذا القران» يوسف:٣،قال الفراء: «هذا القران، منصوب بوقوع الفعل عليه كأنك قلت: بوحينا اليك هذا القران»[2]، وقوله تعالىٰ: «أضغاث أحلام» يوسف:٤٤، بالرفع، لانهم ارادوا: ليس هذا بشيء إنما هي أضغاث أحلام، ولو قلت: رأيت أضغاثَ أحلام كان صوابا[3].

وأما ما نقل عن العرب نلحظ رفعَهم ما يُنصَبُ من المصادر علىٰ إضمار الفعل المتروك إظهاره في غير الدعاء، ونقل سيبويه قول العرب في نصبهم المصادر علىٰ إضمار الفعل يقولون «حمداً وشكراً ولا كفراً» «وإنما اختُزِل الفعل ههنا لأنهم جعلوا هذا بدلاً من اللفظ بالفعل، كما فعلوا ذلك في باب الدعاء»[4].

وجاء في كلام بعض العرب رفعُهم تلك المباني «وزعم يونس أن رؤبة بن العجاج –التميمي– كان ينشد هذا البيت رفعاً وهو لبعض مذحج وهو هنيّ بن أحمر الكناني:

عجبتٌ لتلك قضيةَ وإقامتي فيكم علىٰ تلك القضية أعجب[5]

وسمع عن بعض العرب الموثوق به يقال له: كيف أصبحتَ؟ يقول: «حمدُ لله وثناءُ عليه[6] ومثل ذا قول المنذر بن درهم الكلبي، سماعاً «من بعض العرب الموثوق به يرويه:

١.الخصائص:٢:١٨٠.

٢.معاني القرآن للفراء:٢:٢٨.

٣.يُنْظَرُ: المصدر نفسه:٢:٢٨

٤. المصدر نفسه:١:٣١٩.

٥. المصدر نفسه:١:٣١٩، وهمع الهوامع: ٣:١١٨.

٦.يُنْظَرُ: المصدر نفسه:١:٣١٩.

فقالــت: حنــانٌ مــا أتــىٰ بــك ههنــا	أذو نســبٍ أم انــت بــالحي عــارف[1]

وحمل قوله علىٰ «أمرُنا حنان»[2] أو ما يصيبنا حنان[3]. ومثله قول الملبد بن حرملة من بني ربيعة بن ذهل بن شيبان البكري قال:

يشــكو إلي جمــلي طــولَ السّــُرىٰ	صـــبرٌ جميـــلٌ فكلانـــا مبـــتلىٰ[4]

وحمل هذا علىٰ صبرُ جميلُ أصلحُ من الشكوىٰ[5]، تلحظ أن الرفع والنصب لايؤثر في المعنىٰ النحوي لتلك التراكيب. ومن ذلك ما يجوز فيه الرفع مما ينصب في المعرفة: «وذلك قولك: «هذا عبدُ الله منطلقٌ» حدثنا بذلك يونس وأبو الخطاب عمّن يوثق به من العرب»[6].

وقد تمثل هذا الاستعمال بقراءة ابن مسعود عبد الله بن غافل بن حبيب الهذلي: «وَهَذَا بَعْلِي شَيْخٌ»[7] هود: ٧٢، والرفع في ذا علىٰ وجهين: الأول: إضمار هذا أو هو علىٰ إنه خبر لمبتدأ محذوف أي: هذا بعلي هو شيخٌ[8]، والوجه الثاني: أن يكونا جميعاً خبراً لـ«هذا»[9]، وقيل نصبه في ذا الموضع علىٰ الحال «من لطيف النحو وغامضه لأنك إذا قلت: هذا زيدٌ قائماً وكان المخاطب لا يعرف زيداً لم يجز لأنه لا يكون زيداً ما دام قائماً، فإذا زال ذلك لم يكن زيداً، فإذا كان يعرف زيداً صحّت المسألة والعامل

---

١. الكِتَابُ:١:٣٢٠، الكشاف: ٣:١٠، همع الهوامع: ٣:١١١.
٢. الكتاب:١:٣١٢٠، والمقتضب: ٣:٢٢٥، وارتشاف الضرب من لسان العرب، لأبىٰ حيان الأندلسي «ت ٧٤٥هـ.، تح: د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، ط«١. لسنة ١٤١٨-١٩٩٨: ٣:١٠٨٧.
٣. المصدر نفسه:١:٣٢٠.
٤. الكِتَابُ:١:٣٢١.
٥. شرح أبيات سيبويه: ١:٣١٨.
٦. الكِتَابُ: ٢:٨٣.
٧. المصدر نفسه: ٢:٨٣، معاني القرآن: ٢:٢، إعراب القرآن لأبي جعفر النحّاس: ٢:١٧٧.
٨. يُنْظَرُ: الكشاف: ٢: ٣٨٨.
٩. الكِتَابُ: ٢:٨٣.

في الحال التنبيه والإشارة»[1].

ومثله فيما رُفع في ذا الموضع قول رؤبة بن العجاج التميمي:

مــــن يــــكُ ذا بــــتٍّ فهــــذا بتــي مقــيظٌ مصــيفٌ مشــتي[2]

فجاء بثلاثة أخبار، مقيِّظ ومصيِّف ومشتِّي[3] وسجل سيبويه ذا الاستعمال سماعاً ممن سجله من العرب أي رفع المباني في ذا الاستعمال اللغوي، وقد ثبت هذا المروي من مسجلي سيبويه ولم تختلف الروايات فيما نقل عنهم[4]، ولاثر لهذا التحول في العلامة الإعرابية بالمعنى.

ونقل عن لغةٍ لطيء رفعَهم الاسمَ المعرفة الواقع بعد الأسماء المبهمة في النداء، على البيان قال سيبويه: «قال الخليل رحمه الله: إذا قلت: «يا هذا» وأنت تريد أن تقف عليه، ثم تؤكده باسمٍ يكون عطفاً عليه فأنت فيه بالخيار: إن شئتَ نصبتَ، وإن شئتَ رفعتَ، وذلك قولك: «يا هذا زيدُ» وإن شئتَ قلتَ: «زيداً» يصير كقولك: «يا تميمُ أجمعون وأجمعين...»[5].

والرفع في ذا الاستعمال لغة لطيِّء قال سيبويه: «وزعم لي بعض العرب أن يا هذا زيدٌ كثيرٌ في كلام طيء»[6]، وأينٍ فعلت َنصبت أم رفعت، فلا يغير في الأمر شيء. ومن الاستدلالات الأخرى التي تفصح عن التغاير في العلامة الإعرابية والمعنى لا يتحول عن وجهةٍ ما روي عن بني تميم وبعض البكريين وأسد وهوازن رفعَهم الاستثناء الذي ليس من نوع المذكور قبله على البدل «الاستثناء المنقطع»، والحجازيون ينصبون ذلك، قال سيبويه في باب ما يُختار فيه النصب لأن الأخيرَ ليس

---

١. إعراب القرآن لأبي جعفر النحّاس: ٢:١٧٧.

٢. الكِتَابُ: ٢:٨٤ ويُنْظَرُ: الإنصاف في مسائل الخلاف: م(١٠٤.، ٢:٧٢٥.

٣. يُنْظَرُ: الأمالي الشجرية: ٢:٢٥٥، وهمع الهوامع: ٢:٥٣.

٤. الكِتَابُ: ٢:٨٤، الأمالي الشجرية: ٢:٢٥٥، الإنصاف في مسائل الخلاف: م(١٠٤.، ٢:٧٢٥، وبعد

٥. الكِتَابُ: ٢:١٩٢، يُنْظَرُ: ارتشاف الضرب: ٤:٢٢٠٢.

٦. الكتاب: ٢:١٩٢.

من نوع الأول[1]: «وهو لغة أهل الحجاز وذلك قولك: «ما منها أحدٌ إلاّ حماراً» جاءوا به على معنى: ولكن حماراً، وكرهوا أن يبدلوا الآخر من الأول، فيصير كأنه من نوعه، فحُمل على معنى «ولكن» وعمل فيه ما قبله... وأما بنو تميم فيقولون: «لا أحدَ فيها إلاّ حمارٌ» أرادوا: ليس فيها إلاّ حمارٌ، ولكنه ذكر «أحداً» توكيداً لأنَّ يعلم أن ليس فيها آدميٌّ ثم أبدل، فكأنه قال: ليس فيها إلاّ حمارٌ»[2].

وهذا ما يمثل بقول غيلان بن حريث التميمي:

لم يغذها الرسلُ ولا أيسارُها إلا طريُّ اللحم واستجزارها[3]

أبدل طريَّ اللحم من الرسل[4]، ومثله ما روي عن بعض بني تميم[5]، لقول النابغة الذبياني الغطفاني قال:

وقفت فيها أصيلانا أسائلها عيَّت جوابا وما بالربع من احد

إلا أواري لايا ما ابينها والنوى كالحوض بالمظلومة الجلد[6]

والمبرد يرى أن الوجه في ذا النصب وهو إنشاد أكثر الناس[7] وعلة النصب في ذا أن الإبدال لا يصح فيه من جهة أن المستثنى ليس من جنس المستثنى منه[8]. ومثل ذلك إنشادهم قول عمرو بن الأيهم، رفعاً، أنشدوا:

---

١. الكِتَابُ: ٢:٣١٩.
٢. المصدر نفسه: ٢:٣١٩-٣٢٠.
٣. المصدر نفسه: ٢:٣٢٤، والشاهد منسوب في شرح أبيات سيبويه: ٢:١١٠.
٤. شرح أبيات سيبويه: ٢:١١٠.
٥. الكِتَابُ: ٢:٣٢٠.
٦. المصدر نفسه: ٢:٣٢١، والمقتضب: ٤:٤١٤.
٧. المقتضب: ٤:٤١٤.
٨. شرح الكافية: ٢:٦٩، وشرح التصريح: ١:٥٤٧.

لـــيس بينـــي وبـــين قـــيس عتـــابٌ غير طعـن الكـلىٰ وضرب الرقـاب[1]

إن إنشاد بني تميم لهذا الكلام علىٰ البدل يفصح عن طبيعة اللغة التي يتحدث بها. وما جاء علىٰ البدل من غير تميم قول الحارث بن عباد بن ضبيعة:

والحـــــرب لا يبقـــــىٰ لجـــــا حمهـــــا التخيـــــل والمـــــراح
إلا الفتـــــىٰ الصـــــبار في النـــــ ـــــنجدات والفـــرس الوقـــاح[2]

ومثله قول ضرار بن مالك بن أوس بن خريمة الأسدي:

عشـــية لا تغنـــي الرمـــاح مكانهـــا ولا النبـــل إلا المشرـــفي المصـــمم[3]

إذ جاء هذا القول في قافية مرفوعة. لضرار بن مالك الأسدي قالها في يوم الردة[4]، وقد ورد الشاهد نفسه في قافية أخرىٰ منصوبة للحصين بن الحمام السِّري[5]. ومثل ذا قول عامر بن الحارث:

وبلـــــدة لـــــيس بهـــــا أنـــــيسُ إلا اليعـــــافرُ وإلا العـــــيسُ[6]

ونقل لنا قول النابغة الذبياني الغطفاني الذي تمثل قوله بلغة أهل الحجاز قال:

حلفـــت يمينـــا غـــير ذي مثنويـــة ولا علم إلا حسـن ظـنٍ بصـاحب[7]

روىٰ سيبويه هذا القول نصباً، إذ نصب ما بعد «إلاّ» علىٰ الاستثناء المنقطع لأن حسن الظن ليس من العلم، وقد ورد هذا رفعاً علىٰ البدل في خزانة الأدب[8]، وهذا

---

١. الكِتَابُ: ٢:٣٢٣.
٢. الكِتَابُ: ٢:٣٢٤.
٣. الكِتَابُ: ٢:٣٢٥، والشاهد منسوب في شرح أبيات سيبويه: ٢:١٢٨، وخزانة الأدب: ٣:٣١٨.
٤. يُنْظَرُ: المصدر نفسه: ٢:٣٢٥. خزانة الأدب: ٣:٣١٨-٣٢٣.
٥. خزانة الأدب: ٣:٣١٨-٣٢٣.
٦. الكِتَابُ: ٢:٣٢٢، و يُنْظَرُ: شرح التصريح: ١:٥٤٧.
٧. المصدر نفسه: ٢:٣٢٢، وشرح أبيات سيبويهَ: ٢:٥١.
٨. يُنْظَرُ: خزانة الأدب: ٣:٣٢٧.

ما يتناسب مع ما سجله سيبويه للنابغة• فيما أجري على البدل في لغة تميم. ومن المسائل النحوية التي تباينت فيها العلامة الإعرابية والمعنى واحد

جراء بعض بني أسد «لا» النافية للجنس النصب في المعرفة مجراها في النكرة.

قيل إن المعارف الواقعة بعد «لا» التي للجنس لا تجري مجرى النكرات في باب «لا» النافية للجنس؛ لأنها لا تعمل في المعرفة، وما وقع ذا الموقع يؤوَّل على النكرة أو يكون على حذف المضاف[١]، وقد تمثل استعمال «لا» النافية للجنس الداخلة على المعرفة بقول رجل من بني دبير[٢]:

لا هثـــــيم الليلـــــة للمطـــــي[٣]

ومثله قول عبد الله ابن الزَّبير بن الأشيم بن الأعشى بن بجرة الأسدي[٤]:

ارى الحجـــات عنـــد أبي خُبيـــبٍ نكـــــدن ولا اميـــــة بــــالبلاد[٥]

إن ما قيل في ذا الموضع ظاهرٌ إعمالها في المعرفة وهذا ما ثبت بالنقل عن العرب، ومثله ما نقل عن رسول الله «ص»، قال: «إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده، وإذا هلك قيصر فلا قيصرَ بعده»[٦].

وقد تأول النحويون قول الزبير في «ولا أميةَ في البلادِ» قالوا: «فليس كما قال،

• يرى الدكتور عبد العال سالم مكرم أن مرجع الخلاف في نصب قول النابغة راجع إلى الخلاف القبلي في رواية الشاهد بين التميمين والحجازيين. يُنْظَرُ: قوله مفصلاً في شواهد سيبويه من المعلقات في ميزان النقد: ١٠٣-١٠٥.

١. يُنْظَرُ: الكتاب: ٢:٢٩٦، والمقتضب: ٤:٣٦٢-٣٦٣، وشرح جمل الزجاجي: ٢:١٦٦.

٢. يُنْظَرُ: الدرر اللوامع على همع الهوامع: ٢:٢١٣، وخزانة الأدب: ٢:٥٩.

٣. الكتاب: ٢:٢٩٦، الأصول في النحو: ١:٣٨٢،

٤. يُنْظَرُ: المصدر نفسه:٢:٢٦٤، ٤:٦١ وشواهد الشعر في كتاب سيبويه: ٢٨٤.

٥. الكتاب: ٢:٢٩٧، و يُنْظَرُ: الأمالي الشجرية: ١:٢٣٩.

٦. يُنْظَرُ: ارتشاف الضرب: ٣:١٣٠٧.، همع الهوامع: ٢:١٩٥.

لأن الشَّاعر إنما أراد: لا أمثالَ أميةَ ولا من يسدُّ مسدَّها... »[1] وكذلك أجروا ذلك علىٰ القول الأول: لا هيثمَ الليلةَ قالوا: «لا مُجرىٰ ولا سائقَ كسوق هيثم»[2]، إلا إن العمل والقول بظاهر النص أقوىٰ من الإرادة التي نسبوها إلىٰ الشاعر أو التقول بلسان الراوي اللغوي وإن كانتا من حيث تفسير المعاني والتراكيب أدخل في تحديد القواعد النحوية، وإذا ما أخذنا بهذه التأويلات نجد أن المباني قد أخذت موقع ما كان أصلاً في التركيب وسدّت مسدَّه حكماً ومعنىً، وهذا ما يعود بنا إلىٰ ظاهر النَّص، لتحقق من اصل العلامة الإعرابية

وبعد عملية التحقق والربط اللغوي بين المعاني والألفاظ وعلاقتها بالعلامات الإعرابية، نلحظ أن عمليات الربط بين مكونات تلك التراكيب سواء في النص المنطوق أو في النص المروي أو المكتوب، تقوم علىٰ شبكة من العلاقات المنطقية عبر العناصر اللغوية التي مثلت تلك التراكيب، وهذا ما دعىٰ سيبويه ومن جاء بعده وحذا حذوه إلىٰ اعتماد الأساس المعياري المتمثل بالكفائة اللغوية، فضلاً عن اعتماده الصورة الثانية للتركيب التي وصفت بأنها لغة لقوم ما وخالفت، أو كانت صورة أو نمطا ثانياً في الموضوع والمعنىٰ نفسه لكن التغاير قد تمثل في العلامات التي لم تغير من دلالة تلك التراكيب شيئاً، والىٰ جانب ذلك كله، ندعوا مستعمل اللغة في اقتفاء الأثر اللغوي في كيفية نسج التَّراكيب النحوية التي تنسجم مع الواقع اللغوي بغض النظر عن توظيف علامات الإعراب التي لا تفصح عما سقط أو حذف من التراكيب، كونها لا تكون دليلاً علىٰ المعنىٰ، لأنها قد تمثلت بحركتين مختلفتين «حركة الرفع + حركة النصب»، والمعنىٰ لا يتنازع أي منهما كون المعنىٰ والدلالة قد اتضحتّ من خلال المباني «الألفاظ» في النص المكتوب، أما المنطوق فإلىٰ جانب الألفاظ ثمة دلائل تفصح عن المعاني والدلالات، أما طبية تلك الحركات ومكانها في الحقل اللغوي، فيتضح ذلك إذا ربطنا الأمر بتحديد علامات الإعراب كونها تفصح

١. المقتضب:٣٦٣:٤، الأصول في النحو:٣٨٢:١-٣٨٣.

٢. يُنْظَرُ: شرح الكافية:١٣٦:٢

عن المعنى «سواء المعنى النحوي أم المعنى الصـرفي»،ومـن هنـا نقـول إن علامـات الإعراب لا يمكن أن تكون الحركات الموجودة في أواخر المباني في التراكيب اللغوية، بل تلك الحركات الموجودة في «فاء الكلمة، وعين الكلمة» كونها تفصح عـن دلالـة اكبر وتميز بين المباني المتماثلة في الهيأة والشكل، ولا أُبالغ أذا قلنا إنَّ الإعراب بدلالتـه منوط بالمباني الصرـفية دون غيرهـا، كونـه الأسـاس في عمليـة الإبـداع والابتكـار اللغوي.

الفصل الثامن

في اللهجات العربية

حظيت اللهجات العربية القديمة في جزيرة العرب بعناية اللغويين القدماء والمحدثين، فضلا عن المستشرقين الذين سعوا إلى البحث في أصول تلك اللهجات في غربي جزيرة العرب وشرقيها، فجاءت كثير من الدراسات القديمة والحديثة لهذه الظاهرة على محورين:

- أولا: إشارات ولمحات مبثوثة في كتب اللغة والنحو والتفسير، وهذه كثيرة جداً، كما نجد في كتاب سيبويه والمعاجم العربية القديمة كالعين، وجمهرة اللغة، وغيرهما.
- ثانيا: مؤلفات خاصة مستقلة تمثلت في كتاب في اللهجات العربية لإبراهيم أنيس، واللهجات العربية نشأة وتطوراً، عبدالفتاح حامد هلال واللهجات العربية القديمة لجمي رابين، ولهجة تميم واثرها في العربية الموحدة لغالب المطلبي ولهجة قبيلة أسد لعلي ناصر غالب وغيرها كثير من الكتب والدراسات الأكاديمية التي عنيت بهذا الضرب من الدراسات اللغوية.

تعريف اللهجة

اللهجة، يقال: لَهَج بالأمر لَهَجاً: أولع بـه واعتـاده، واللَّهْجـة واللَّهَجـة: طـرف اللسان.. وجرس الكلام، وَيَقَالُ: فُلانٌ فَصيحُ اللهجة، وهي لغته التي جُبِلَ عَلَيْهـا، فاعتادها وَنَشَأ عَلَيْهَا، وَاللهجة: اللسان[1].

واللام والهاء والجيم: أصل يدل على المثابرة على الشيء وملازمته، وسمى اللسان لهجة، لأن كلاًّ يلهج بلغته وكلامه.

و في الاصطلاح العلمي الحديث - كما يقـول إبـراهيم أنـيس-: «مجموعـة مـن الصفات اللغوية تنتمي على بيئة خاصة، ويشترك في هذه الصفات جميع أفـراد هـذه البيئة، وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع واشمل تضم عدة لهجـات، لكـل منهـا خصائصها، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التـي يسر اتصـال أفراد هذه البيئات بعضها ببعض...»[2].

فاللهجة هي مجموعة من الظواهر اللغوية تنتمي إلى بيئة جغرافية معينة ويشـترك في هذه الظواهر جميع أفراد هذه البيئة[3].والمقصودة بالظواهر اللغوية في هذا التعريف هي صفات تتعلق بتدقيق مخارج الحروف وكيفية نطقها ووضع أعضـاء النطـق مـع بعض الأصـوات ومقيـاس أصـوات اللـين وكيفيـة إمالتهـا وكيفيـة التفاعـل بـين الأصوات المتجاورة حين يتأثر بعضها ببعض. فـإذا تفشـت هـذه الصـفات في بيئـة جغرافية معينة وسمتّ لهجة أهل هذه البيئة بما يميزها عن سواها من لهجات البيئات المجاورة. وقد تتسع هذه السمات قليلاً لتشمل بعض المفردات والتراكيب، ولكن إن اتّسعت رقعة التمايز لدرجة اختلفتا اختلافا بيناً من حيث المفردات ودلالاتهـا ومـن

١ .يُنْظَر: لسان العرب:٣:١٨٣.

٢ .في اللهجات العربية:١٦

٣. فقه اللغة د. محمد النادري:١٦

حيث صيغ الأفعال وأنواع الجموع وأداة التعريف وقواعد النحو تحولتا إلى لغتين[1].

وقد عرفت اللغة العربية اختلاف اللهجات منذ العصر الجاهلي فقد كان لكل قبيلة من قبائل العرب التي صدر عنها الابتكار اللغوي«قريش، تميم، أسد، غطفان، هذيل، طيء... » لهجتها المختلفة عن لهجات سائر القبائل، ومن هذه الاختلافات ما يتعلق بالجانب الصوتي(الحركات):

- الحركات بين الفتح والكسر نحو «نستعين» وقد وردت النون مفتوحة بلغة قريش وأسد ومكسورة بلغة غيرهم.
- الحركة بين الضم والسكون نحو «وهو» بضم الهاء وسكونها.
- بتحقيق الهمزة أو تسهيلها نحو الذئب أو الذيب.
- بالتقديم والتأخير نحو صاعقة و صاقعة.
- بالفتح والإمالة، والإمالة هي الجنوح بالحرف نحو الكسر.
- بالتذكير والتأنيث فبعض القبائل تقول «هذه البقر» وأخرى تقول «هذا البقر».
- بالجمع نحو أسرى و أسارى.

والجدير بالذكر أن مصطلح اللهجة لم يستخدمه اللغويون القدماء، بل استخدموا مصطلح اللسان، فقالوا لسان قريش وتميم. وأحيانا كانوا يستخدمون مصطلح اللغة وهم يعنون به اللهجة كأن يرد في كتب اللغة كـ(كتابِ اللغاتِ) ليونسَ بنِ حبيبٍ أبي عبد الرحمن الضبي النَّحوي المُتوفى سنة ١٨٢[2]هـ، وكتابِ اللغاتِ للفَرَّاءِ يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي المتوفى سنة ٢٠٧[3]هـ، وكتابِ اللغاتِ لأبي عبيدةَ مُعَمَّرٍ بنِ المثنّى أبي عبيدة التميمي البصري المتوفى سنة ٢٠٩[4]هـ، وكتابِ

---

١. في اللهجات العربية:١٧

٢. أنباه الرواة على أنباه النحاة ٤: ٦٨ ، ٧١.

٣. أنباه الرواة على أنباه النحاة ٤: ١ – ١٦.

٤. المصدر نفسه:٣: ٢٧٦ – ٢٨٦.

اللغاتِ لأبي زيدٍ الأنصاريِّ سعيد بن أوس بن ثابت المتوفى سنة ٢١٥[1]هـ، وكتابٍ في لغاتِ القرآنِ لأبي زيدٍ الأنصاريِّ أيضاً، وكتابِ اللغاتِ للأصمعيِّ عبد الملك بن قريب بن قيس عيلان المتوفّى سنة ٢١٢[2]هـ، وكتابِ اللغاتِ لابنِ دريدٍ أبي بكر محمد بن الحسن المتوفّى سنة ٣٢١[3]هـ، و(ما وردَ في القرآنِ من لغاتِ القبائلِ) لأبي عبدِ القاسمِ بنِ سلاّم الهَرَويِّ المتوفّى سنة ٢٢٤ [4]هـ، وكتابِ (اللغاتِ في القرآنِ الكريمِ) رواية إسماعيلَ بنِ عَمروٍ بنِ حسنون المُقرِئِ المتوفّى سنة ٤٢٩هـ، و(كتابِ اللغاتِ) لابنِ بَرّيٍّ عبد الله بن عبد الجبار النحوي اللغوي المتوفّى سنة٥٨٢[5]هـ.

ومجموع هذه اللهجات تنتمي إلى بيئة لغوية اصطلح على تسميتها باللغة الفصحى، وثمة علاقة بينها وبين مفهوم اللهجة وهي علاقة الخاص بالعام، فاللغة العربية الفصحى تشمل على لهجات عدة لكل منها ما يميزها عن غيرها من اللهجات ولا سيما في النظام الصوتي والدلالي. ومفهوم الفصحى: الفصاحة: البيان، تقول: رجل فصيح، وكلام فصيح، أي: بليغ، وأفصح: تكلم بالفصاحة، وكذلك الصبي إذا فهمت ما يقول في أول ما يتكلم، وتفصح الرجل في كلامه، وتفاصح: تكلف الفصاحة. والفصيح في اللغة: المنطلق اللسان في القول، الذي يعرف جيد الكلام من رديئه، والفصيح: اللسان، الطليق، والكلام العربي، والعربية الفصحى: عبارة عن لهجة أو مجموعة لهجات لها صفات خاصة، كالإعراب والبيان، وتسمى اللهجة – أحيانا – لغة، ونجده كثيراً في كتب النحو والمعاجم، مثل: لغة هذيل، ولغة طيء ولغة قريش ولغة تميم ولغة اسد ولغة باهله.

---

١. المصدر نفسه: ٢/ ٣٠ – ٣٥.

٢. المصدر نفسه: ٢ / ١٩٧ – ٢٠٤.

٣.المصدر نفسه: ٣ / ٩٢ – ٩٦.

٤.المصدر نفسه: ٣ / ١٢ – ٢١.

٥.المصدر نفسه: ٢/ ١١٠ – ١١١.

خصائص اللهجات ومظاهر اختلافها

هناك خصائص لغوية تحملها بعض اللهجات، تميزها عن غيرها، وأهمها:

- **على المستوى الصوتي:**

الأصوات وكيفية صدورها، كتحقيق الهمز وتخفيفه، فقبيلة «تميم» تحقق الهمز بعكس أهل الحجاز، وكذلك الإمالة والإبدال «فيروى...أن قبيلة تميم كانوا يقولون في فزت: فزد كما كانوا ينطقون بالهمز عيناً» ولعل الإبدال أبرز الظواهر الصوتية الفارقة بين اللهجات الذي تشتهر به قبيلة ويروى عنها كالاستنطاء والعنعنة والفحفحة والكشكشة وغيرها من اللهجات المذمومة.

- **على المستوى الصرفي**

تتميز بعض اللهجات بطريقة صياغة الأبنية الصرفية من ذلك اسم المفعول من الثلاثي معتل الوسط بالياء فالقياس حذف الياء أو واو مفعول على خلاف فيقال في «باع وخاط»: مبيع ومخيط إلا قبيلة تميم فإنها تصححه فيقولون: مبيوع ومخيوط ومنه قول العباس بن مرداس:

قد كان قومك يحسبونك سيداً   وإخال أنك سيدٌ معيون

- **على المستوى الدلالي**

تنفرد بعض اللهجات بدلالات خاصة وقد نشأ من تنوع الدلالات وجود المشترك اللفظي والترادف من ذلك أن أبا هريرة «رضي الله عنه» لم يفهم معنى «السكين» لما طلبها منه النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» وقال: المدية تريد؟ فقيل له: نعم فقال: أو تسمى عندكم سكيناً؟ ثم قال: والله لم أكن سمعتها إلا يومئذ.

إلا أن هذا الاختلاف في الدلالة لا يكون كثيراً فإن اللهجة إذا اختلفت معاني معظم كلماتها واتخذت أسساً خاصة في بنية كلماتها وقواعد خاصة في تركيب جملها لا تسمى حينئذٍ لهجة بل لغة مستقلة.

- **كيف تتكون اللهجات**

كثير من اللغات ترجع إِلىٰ أصول واحدة ولكنها تباينت مع تقادم الزمن وكلما طال الزمن زادت تباعداً وانقساماً فاللغات العروبية ترجع إِلىٰ أصل واحد وهذا ما يفسر اتفاقها في بعض الخصائص ثم إنها تفرقت وأصبحت لغات كثيرة تحمل كل واحدة منها سمات وخصائص تنفرد بها وهذا التباعد الزمني يضاف إليه التباعد الجغرافي «الانعزال الجغرافي والاجتماعي بين بيئات الشعب الواحد» والهجرات وكانت الهجرات كثيرة في الجزيرة العربية لانعدام عوامل الاستقرار. فضلا عن ذلك سعة الرقعة الجغرافية للجزيرة العربية وانعزال بعض قبائل العرب عن بعضها الآخر ومجاورة بعضها للغات أخرىٰ ولما جاء الإسلام واتسعت رقعة العربية وكثر المتكلمون بها واختلط العرب بغيرهم وكثرت الهجرات والفتوحات «الصراع اللغوي الناجم عن الغزو أو الهجرة أو التَّجاور» أثر ذلك علىٰ خصائص كثير من اللهجات وأضاف سمات جديدة إليها[1].

فالذين ينتمون إِلىٰ لغة ما حين تفترق بهم السبل وتكون العزلة فيما بينهم وتنقطع وشائج القربىٰ والوصال، تصبح الاستعمالات اللغوية متغايرة وهذا يفصح عن انعزال لغوي بعد ما كان جغرافيا لان هذا الانعزال يفرض علىٰ أبناء هذه البيئات اللغوية شكلا لغويا صوتيا ودلاليا خاصا، وهذا لا يكون في زمن قريب بل يحتاج إِلىٰ تاريخ طويل من التطور اللغوي من حيث التوالد والموات نتيجة التواصل اللغوي بين أبناء هذه البيئة.

---

١. يُنْظَر: اللغة لفندريس: ٣١٥.

ما يواجهـه الباحـث في اللهجات العربية القديمة من و صعوبات

أ. أنّ علماء اللغة العرب القدماء لم يهتموا إلا بلهجة قريش، أما سائر اللهجات فقد مروا عليها مرور الكرام، ولا نبالغ إذ نقول أنّه لولا القـراءات القرآنيـة لاندثرت هذه اللهجات في طيات الزمن.

ب. انتبه العلماء إلىٰ اللهجات في مؤلفاتهم ولكـن وقعـوا في لغـط كبـير حـين لم يهتموا بنسبة اللهجة إلىٰ أصحابها، فمثلا كانوا يـذكرون لفظـة قـريش، ثـم يذكرون اللفظة الأخرىٰ ويقولون وهـي لغـة، دون الاهـتمام بنسـبها لقـوم محددين.

ت. إذا أردنا دراسة اللهجات فإننا لن نجد في المكتبة العربيـة كتابـاً قـديماً يُعنـىٰ باللهجات، وبالفروق بينها فعلىٰ الدارس أن ينقب ثنايـا الكتـب والمعـاجم عن أية إشارات تثبت أن هذه الألفاظ هي لهجـات بـل «إن هـذه الدراسـة تتطلب تصفح جميع المؤلفات العربية لأن اهتمام العـرب بالمسـائل للغويـة لم يقتصـر عـلىٰ اللغـويين والنحـويين، فإننـا نجـد الاهـتمام عنـد الجغـرافيين والمؤرخين، بل عند الفلاسفة والأطباء والرياضيين بمناسـبة وغـير مناسـبة ولذلـك فإننا كثيراً ما نعثر علىٰ ملاحظات مهمة عن اللهجات العربية في غير كتب اللغويين»[1].

ومن الجدير ذكره في هذا المجال أنّ أهم مصادر دراسة اللهجات العربية هي:

القراءات القرآنية	المعاجم	كتب النوادر
كتب الأمثال	كتب النحو	كتب اللغة

أ. تعد القراءات القرآنية من أهم مصادر دراسة اللهجات علىٰ الإطلاق، وهذا يعود للمنهج الذي اتبعه أصحاب القراءات، وهو منهج يمتـاز بدقتـه عـن

---

١. فصول في فقه العربية رمضان عبد التواب: ٧٤

كل ما تبقى من مناهج ومصادر لارتباطه الوثيق بالنص القرآني، ولشدة عناية المسلمين بعلم القراءات واشتراطهم التلقي والعرض في عملية النقل وذلك أن أصحاب القراءات «لم يكتفوا بالسماع من لفظ الشيخ في التحمل، وإن اكتفوا به في الحديث، وقالوا: إن المقصود هنا كيفية الأداء، وليس كل من سمع لفظ الشيخ يقدر على الأداء بل لا بد من قراءة الطالب على الشيخ»[1].

ب. تعد المعاجم من المصادر المهمة أيضا في دراسة اللهجات ولكن لا بد أن نذكر أن المعاجم ليست على نوع واحد، نذكر أمثلة على ذلك:

- كتب اللغات، وهو عنوان مشترك لأكثر من كتاب لم يصل من هذه الكتب شيء ولكننا عرفناها بحديث اللاحقين عنها، ومن كتب اللغات كتاب يونس بن حبيب، والأصمعي، وأبو زيد، وابن دريد.
- «كتب لغات القرآن، وأيضا هو عنوان مشترك لأكثر من مؤلف نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر، الفراء، والهيثم بن عدي»[2]. وإذا كانت كتب لغات القرآن - ولاحظ ذكر القدماء اللغة بمعنى اللهجة - من أهم مصادر دراسة اللهجات فمن المؤسف أن نعرف أنه لم يصل من هذه الكتب الكثيرة إلا كتابان.
- المعاجم اللغوية العامة كلسان العرب لابن منظور، والجمهرة لابن دريد.
- المعاجم اللغوية الخاصة، والمقصود بها تلك التي ألفها صاحبها في موضوع واحد ككتاب النخل والكرم للأصمعي.

ت. كتب النوادر ومن أشهرها نوادر ابن الأعرابي، ونوادر أبي زيد ويتميز كتاب أبي زيد بأنه يعزو اللهجات إلى أصحابها فيقول قال فلان من تميم، أو فلان الهذلي نسبة إلى هذيل، أو راجز من حمير.

---

١. إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر البنا الدمياطي: ٣

٢. الفهرست ابن النديم: ٥٣

ث. أما كتب الأمثال فيعتبرها الدكتور عبده الراجحي[1] مصدراً غنياً لدراسة للهجات لأنها تُقال بلسان القوم وتنتقل كما هي دون إخضاع اللهجات الأخرى هذه المقولة للهجتها بل تمضي مثلاً كما هي.

ج. كتب النحو أيضا من الكتب المهمة لدراسة اللهجات، ومن الحري ذكره أن سيبويه نقل بعض اللهجات وأرجعها إلى أصحابها ولكن لم يفعل ذلك في مواضع كثيرة بل اكتفى بعرض القول وركز أكثر على القياس لأن غايته النحو ومما يغفر له أنه من النحاة لا من اللغويين.

ومن الملاحظ أن النُّحاة المُتأخرين كابن مالك كانوا أكثر اهتماماً باللهجات من النُّحاة المُتقدمين.

تصنيف اللهجات

- **صنفت اللهجات العربية القديمة على ضربين**

- **أولاً: اللهجات العربية الفصحى،** وهي اللهجات التي شكلت اللغة العربية المشتركة التي عرفت بلغة القران أو بلغة قريش لان هنالك ارتباطا وثيقا بين لغة القرآن وتعدد اللهجات في الجزيرة العربية فلم يكن القرآن بكل جمله ومفرداته قد نزل بلهجة قبيلة دون غيرها وإنما نزل بأكثر من لهجة بغية أن يكون كتاباً شاملاً لكل ما تعارف عليه العرب من كلمات في ذلك الوقت وعلى الرغم من اختلاف وتعدد اللسان العربي، والذي يعود إلى عدة عوامل جعل من اللغة العربية في منطقة الجزيرة العربية تنتقل من شكلها الأولي البسيط وتبدأ بعملية من التعدد في اللهجات المندرجة تحت تلك اللغة حتى أصبحت أكثر تعقيداً وأكثر كلمات وأعلى مستوى ولعل

١. يُنْظَر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية د. عبده الراجحي: ٥٦

ذلك يندرج تحت ما يسمى بالتطور اللغوي إلى أن وصلت اللغة العربية إلى شكلها الأكبر والأقوى في القرن السابع الميلادي وهو زمن نزول القرآن.

إلا أن قريشاً كانت لها السيادة في اللهجات العربية فلقد استطاعت قريش أن تخرج لهجتها الأصلية من مكامن الزلل التي تقع به اللهجات الأخرى للعرب، وكانت قريش من القبائل التي تصهر في بوتقة لهجتها لهجات العرب الآخرين فتنتقي الكلمات وتستحسنها فتجمعها في لهجتها وبذلك تشكلت لهجة لقريش على مرور الزمن أفصح من أي لهجة أخرى مع اقترابها من كافة لهجات القبائل في الجزيرة العربية [1]، ولقد أورده السيوطي في المزهر «كانت العرب تحضر المواسم في كل عام، وتحج إلى البيت في الجاهلية، وقريش يسمعون لغات العرب، فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به، فصاروا بذلك أفصح العرب، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات، ومستقبح الألفاظ» [2]،ولذلك كان يعتبر أهل قريش أفصح العرب وأفضلهم لساناً ولقد دأب العلماء السابقون على اعتبار لهجة قريش هي الفصحى ولا شيء سواها.

قال أبو نصر الفارابي: «كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانة عند النطق» [3].

فلم تكن تسمع في كلامهم عنعنة تميم، ولا عجرفيَّة قيس، ولا كشكشة أسد، ولا كسكسة ربيعة، ولا الكسر الذي تسمعه من أسد، وقيس مثل: تِعلمون، ونِعلم، ومثل: شِعير، وبِعير.

ونسأل هنا سؤالاً مهماً كيف تشكلت لقريش كل هذه الفصاحة؟ ولماذا كانت قريش أفصح العرب؟ وكيف استطاعت قريش أن تزاوج لهجتها باللهجات الأخرى؟.

---

١. فصول في فقه اللغة: ٧٧.

٢. المزهر في علوم اللغة وأنواعها: ١٢٨

٣.يُنْظَر: نص الفارابي في كتابه الحروف:١٤٥.

أ. العامل الجغرافي

يقول أبو بكر الصديق «رضي الله عنه» «وقريش هم أوسط العرب في العرب دارًا، وأحسنه جوارًا، وأعربه ألسنة»، فلقد كانت قريش ذات موقع جغرافي يبعد عن كل ما يمكن أن يعكّر صفو لغتها فلم تكن قريبة من بلاد الروم ولا من بلاد فارس فلا تختلط لغتها العربية بأي لغة أخرىٰ مما قد يؤدي إلىٰ انحراف لهجتها عن اللغة الأصلية ناهيك علىٰ أنها لم تتعرض لأي احتلال روميّ أو فارسيّ مما جعلها تحمي لغتها بشكل سليم جداً والإبقاء علىٰ نقاء ما لديها.

ب. العامل الديني:

يقول سبحانه وتعالىٰ في محكم كتابه العزيز لنبيّه إبراهيم بعد أن أتمّ بناء الكعبة الشريفة في أرض الحجاز ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ من كُلِّ فَجٍّ عَميق» «الآية ٢٧،سورة الحج»

إذا نحن نتكلم هنا عن أرض بدأت كل القبائل العرب تؤمها منذ زمن سيدنا إبراهيم إلىٰ أن بعث الله نبينا محمداً بالإسلام وأنزل عليه القرآن، فلقد حظيت قريش بشرف خدمة الحجاج الآتين إلىٰ كعبته الشريفة وبذلك قدّر للهجتهم أن تختلط مع لهجات العرب الآخرين بكل ما فيها وبما أننا أوضحنا كيف أخذت قريش من لهجات العرب أفضلها وأبعدها عن الكسر والثقل فلقد كانت قريش أكثر العرب احتكاكاً مع غيرهم من القبائل ولذلك كانت أوسعهم اضطلاعاً علىٰ لهجات غيرهم.

ج. العامل الثقافي:

لا يمكن لنا أن نتحدث عن العامل الثقافي دون أن نركّز علىٰ أهم مركز للثقافة في كل الجزيرة العربية وهو سوق عكاظ، حيث كانت القبائل العربية تجتمع في تلك السوق وتتبارز بالشعر والخطابة بلهجة قريش وذلك مما أعطىٰ للهجة قريش انتشاراً

واسعا بين القبائل العربية واعتبارها اللهجة الأسهل للتفاهم بين القبائل والتقارب بين اللهجات ومن جانب آخر فإن قريشاً كانت تستمع لما يخرج به عرب القبائل الأخرىٰ من اختيار لأحسن الألفاظ لكي يظهروا مدىٰ قوىٰ لهجاتهم فكانت تتخير قريش أفضلها وتضيفها إلىٰ لهجتها.

د. العامل الاقتصادي:

مع فضل الحج للكعبة الشريفة في مكة، فلقد أصبحت قريش مركزاً تجارياً هائلا بين القبائل فلقد كانت القوافل العربية تنطلق من قريش في الشتاء وفي الصيف، واختلاط التجار القرشيين مع غيرهم من التجار جعل من لغتهم أوسع انتشاراً، فلقد كانت التجارة علىٰ شقيّها من حيث التجار القادمين لمكة أو تجار مكة الخارجين منها إلىٰ البلاد الأخرىٰ والقبائل البعيدة مما أتاح لفصحاء قريش القدرة علىٰ انتقاء ما أعجبهم من لهجات القبائل الأخرىٰ وتصفية لغتهم أيّما صفاء.

لعل هذه هي أهم العوامل التي أثـرّت وبشكل جليّ في تشكّل لهجة قريش وتفردها عن غيرها من اللهجات، التي أدت فيما بعد من كونها أكثر اللهجات فصاحة واقتراباً من اللهجة الأم، التي وصلت إلىٰ مرحلة من المراحل لتكون اللهجة الأوسع انتشاراً بين القبائل العربية بكونها لهجة مركزية وشاملة.

□

- **أولا : في المستوى الصوتـي :**

ثمة خلاف لغوي على المستوى الصـوتي بـين لهجتـي قـريش التـي تمثـل البيئـة الحجازية وتميم التي تمثل البيئة النجدية. فمثال ذلك نجد صوت الثاء عند تميم يقابله صوت الفاء عند أهل الحجاز. فـ(اللثام وثم)عند التميميين هي (اللفـام وفُـمّ) عنـد الحجازيين. وقد جاء أن العرب تبدل الفاء ثاءً فيقولون جدف و جدث القبر، ووقـع قي عافور شر وعاثور شر. ونلاحظ أن القرآن استخدم ثمَّ ولم يستخدم فُـمّ. ومـن الخلاف أيضاً إلحاق تميم القاف باللهاة حتى تغلـظ كثـيرا، فيقولـون للقـوم: الكـوم فتأتي بين الكاف والقاف، وهذه لهجة معروفة في بني تميم[1]. من ذلك أيضا اخـتلاف لهجتي الحجاز وتميم في «ض، ظ» فأولهما صوت شديد نسب إلى تميم، والثـاني رخـو نسب إلى الحجاز.

وقد ورد في لسان العرب: فاضت نفسه تفيض فيضا: خرجت، وهي لغـة تمـيم. وحكى المازني عن أبي زيد قال: كل العرب تقول فاظت نفسـه إلا بنـي ضـبة فـإنهم يقولون فاضت نفسه بالضاد، وأهل الحجاز وطيء يقولون فاظت نفسـه. وقضـاعة وتميم وقيس يقولون فاضت نفسه مثل فاضت عينه[2].

ومن الجدير ذكره أن الخلاف حول صوتي الضاد والظاء شغل النحويين قديما إلى درجة أنهم ألفوا فيـه، ومـن ذلـك كتـاب ابـن مالـك «الاعتضـاد في معرفـة الظـاء والضاد».

ومن الخلاف أيضا إبـدال التميميـين التـاء طـاءً، وفي هـذا يقـول ابـن سـيدة في المخصص «وقد أبدلت الطاء من التاء في فعلت إذا كانت بعـد حـرف مـن حـروف

١. ابن دريد: جمهرة اللغة: ٤٢

٢. ابن منظور: لسان العرب: ف ٧: ٢١١

الإطباق. وهي لغة تميم قالوا: فحصط برجلك وهم يريدون فحصت»[1]. وكذلك إبدالهم التاء دالاً، فقالوا فزدُ مكان فرتُ. فالدال والتاء من الحروف النطعية غير ا الأول مجهور والثاني مهموس ففضلوا الأول على الثاني. ولاحظ هنا ميل تميم إلى شديد الألفاظ وهذا ما ينسجم مع بداوتها.

ومن أوجه الاختلاف أيضا ما عرف بظاهرة الاتباع، والاتباع هو أن تتبع حركة الفاء «أول الكلمة» حركة العين كما في شِهيق بالكسر، وبِعير، وهي لهجة تميم وقيس وأسد. الحجازيون يفكون إدغام المثلين في الماضي عند إسناده إلى ضمير الرفع نحو: شددتُ وظللتُ في حين تقول تميم: ظَلّتُ. الحجازيون يفكون إدغام المضارع فيقولون: لم يحلل، أما تميم فتقول: لم يحل. الحجازيون يفكون الإدغام في الأمر في جميع أحواله، فيقولون: أعدد و أعدده. أما التميميون فيبقون الإدغام فيقولون: أعدَّ و شُدَّ.

وفي هذا يقول جرير وهو من تميم معيراً الراعي النميري:

فغضَّ الطرف إنك من نمير ... فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقد نزل القرآن بلهجة قريش في هذه النقطة، حيث يقول ربنا تعالى:

﴿اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾ طه:٣٦

﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي﴾ طه:٨١

﴿وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾ المدثر:٦.

---

١. ابن سيدة: المخصص: ١٣: ٢٧٠

■ **ثانياً: المستويان الصرفي والنحوي**

١. **في التذكير والتأنيث:**

تقول قريش: هي التمر والبر والشعير والذهب بينما تذكَّر تميم هذا كله[١]، فتقول هذا التمر والبر.

إن أهل الحجاز أنثوا أعضاء الجسم كالعنق والعضد بينما جعلها التميميون من المذكر فيقولون هذا عنق. أنَّث أهل الحجاز أسماء الأماكن كالطريق والسبيل والسوق والصراط، بينما أجرتها تميم مجرى المذكر أيضاً فتقول: هذا طريق، وهذا سوق.

٢. **في العدد:**

إنَّ «اثنتين» في لهجة الحجاز تصبح «ثنتين» في لهجة تميم بدون ألف. وإن «عشرة» إذا كان مركبا مختوما بالتاء نحو: ﴿فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً﴾ البقرة:٦٠. تُسكّن شينه عند الحجازيين أما بنو تميم فيكسرونها.

٣. **في الموصول:**

يشدد التميميون النون في الأسماء الموصولة وأسماء الإشارة حين تكون بصيغة المثنى: اللذانِّ، اللتانِّ، وهذانَّ، هاتانِّ. في حيف يخفف الحجازيون وسائر العرب هذه النون[٢]

٤. **في أسماء الإشارة:**

إنّ الحجازيين يقولون «ذلك و تلك» بينما يقول التميميون «ذاك و تيك». إنَّ الحجازيين يمدون اسم الإشارة «أولاء» أما التميميون فيقصرونه ويقولون «أولى». إن قريشا تقول «هذهِ» وصلا ووقفاً، أما بنو تميم فيقولون «هذه» في الوقف و «هذي» في الوصل نحو: هذي ورقة.

---

١. المزهر: ٢: ٢٧٧

٢. شرح التصريح: ١: ١٣٢

٥. **في المصدر بعد «أما»:**

إن التميميين يرجحون نصب المصدر النكرة بعد أما نحو: أما علماً فعالِمٌ، ويجيزون الرفع نحو اما علمٌ فعالِمٌ غير أنهم يوجبون رفع المصدر إذا كان معرفة وليس للنصب إليه سبيل نحو: أما العلمُ فعالِمٌ. أما الحجازيون فينصبون مطلقا في المصدر النكرة، ويرجحون رفع المصدر المعرفة.

٦. **في اسم العلم على وزن فِعال:**

إن التميميين يمنعون من الصرف ما جاء على وزن فِعال من أسماء العلم وهي بالمناسبة أسماء مؤنثة نحو: حذامِ، قطامِ، رقاشِ. أما إن خُتم بالراء نحو: ظفار وهو اسم بلدة في اليمن، أو وبار وهو اسم قبيلة من العرب البائدة، فإن غالبية تميم تبنيه على الكسر مطلقا، وأقلهم يمنعونه من الصرف، وقد اجتمعت اللهجتان في قول الأعشى:

ومرَّ دهرٌ على وبارِ فهلكتْ جهرةً وبارُ

أما قريش فتبني هذا كله _ ما ختم بالراء وما لم يختم بها _ على الكسر[1] كقول لجيم بن صعب في امرأته وكان اسمها حذام:

إذا قالت حذامِ فصدقوها فإنّ القولَ ما قالت حذامِ

٧. **في اسم الفعل:**

ان التميميين يصرفون اسم فعل الأمر «هلمَّ» فيقولون هلما، هلموا، وهلمي، وهلما أما الحجازيون فلا يتصرفون فيه: قال تعالى: ﴿هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ﴾ الانعام:١٥٠ وتصريفه ليس بالفصيح عند أغلب العرب. أن اسم الفعل الماضي «هيهات» عند التميميين هو «ايهات» عند الحجازيين».

٨. **في تمييز كم الخبرية:**

إن التَّميميين يجيزون نصب تمييز كم الخبرية إذا كان الخبر مفردا، بينما قياس النحو جره كقول الفرزدق:

---

١. شرح التصريح: ٢:٢٢٥

كــم عمــةٍ لــك يــا جريــر وخالــةٍ　　　فــدعاء قــد حلبــت عــليَّ عشــاري

٩. في صيغ الأسماء:

- إن الصيغة الدالة على أسماء الزراعة في «فِعال» عند الحجازيين بكسر الفاء، بينما هي فعال عند التميميين بفتحها. فقريش تقول: حِصاد، قِطاف. بينما تقول تميم: حَصاد و قَطاف. بينما نزل القرآن بلهجة تميم بفتح أسماء الزراعة حيث يقول ربنا تعالى في محكم التنزيل: ﴿وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ﴾ الأنعام:١٤١.
- إن الحجازيين قالوا مِرية بالكسر، بينما قالت تميم مُرية بالضم.
- الحجازيون يقولون: كراهة، و تميم تقول: كراهية.
- قال الحجازيون: قلنسية، وقالت تميم: قلنسوة.
- قالت قريش: الهديّ مخففا كالرمي، وقالت تميم: الهديّ مشددا كالعشي[١].

١٠. في الاستثناء:

إن الحجازيين يوجبون نصب المستثنى إذا وقع في كلام تام غير موجب[٢] وكان الاستثناء منقطعا[٣] كأن نقول: ما نزل من السفينةِ إلا البضائعَ، وما اقتربت من الصيادين إلا الكلابَ، نحو قول ربنا تعالى: ﴿مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ النساء:١٥٧.

أما التميميون فيختارون النصب في هذا الموقع ولكنهم يجيزون الاتباع كقول شاعرهم:

وبلــدةٍ لــيس بهــا أنــيس　　　إلا اليعــافيرُ وإلا العــيسُ

أما إذا كان الاستثناء بـ «غير» فالحكم هو الاتباع مطلقاً فيقولون: ما قام أحدٌ غيرُ

---

١. فقه اللغة: ٢٢٢

٢. المزهر: ٢: ٢٧٦

٣. ابن منظور: لسان العرب: ٣: ٥٠٩

ناقة، أما البقية فيقولون غيرَ بالنصب.

١١. في صيغ الفعل

- إن التَّميميين يميلون غالبا إِلى كسر عين الماضي المفتوحة عند الحجازيين. فيقول الحجازيون: زهَد و حقَد، بينما تقول تميم: زهِد و حقِد.
- تقول قريش: برأتُ من المرض وتقول تميم: برئتُ.

وتقول قريش في هذا الباب أنا منك براء. بينما تقول تميم وسائر العرب: أنا بريء منك. واللهجتان في القرآن[1].

- تقول قريش: قلوتُ البُرَّ. بينما تقول تميم: قليتُ.
- قريش تقول «لاته» أي نقصه حقه، بينما تقولها تميم «الاته» واللهجتان في القرآن، حيث يقول ربنا تعالى: ﴿لا يلتكم من أعمالكم شيئا» الحجرات:١٤، ويقول تعالى أيضا ﴿وما ألتناهم من عملهم من شيء» الطور:٢١
- تقول قريش أوصدت الباب. بينما تقول تميم آصدت الباب.
- الواو الواقعة فاء للفعل الماضي في لهجة الحجازيين تقلب همزة في لهجة تميم، فيقول الحجازيون: وكَّد. ويقول التميميون: أكَّد.

١٢. في النواسخ

- إن التميميين يرفعون خبر ليس إذا اقترن بعدها بإلا نحو: «ليس الفاتك إلا الاسدُ» حملا على ما في الإهمال عند انتقاض النفي، كما حمل أهل الحجاز ما على ليس في الأعمال عند استيفاء شروطها[2]
- إن الحجازيين يعملون ما عمل ليس بشروط أربعة هي:
  - ❖ أن لا يتقدم خبرها على اسمها.
  - ❖ ألا يتقدم معمول خبرها على اسمها.
  - ❖ ألا تقع بعدها أن الزائدة.

---

١. المزهر: ٢: ٢٧٦

٢. . فقه اللغة: ٢١٦

❖ ألّا ينتقض نفي خبرها بإلا.

ومن أعمالها بهذه الشروط قوله تعالى في محكم التنزيل « مَا هَذَا بَشَرًا » يوسف:٣١ وقوله جل وعلا: ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾ المجادلة:٢. أما تميم فتهملها لذلك تسمى العاملة ما الحجازية» ٢٥ .

- إن حذف خبر لا النافية للجنس غالب في لهجة الحجازيين، دائم في لهجة تميم فلم يلفظوا به أصلا نحو: لا ضير، ونحو: لا ضرر ولا ضرار.

▪ ثالثا. المستوى الدلالي:

سبق أن أشرنا – حين تحدثنا عن اللغة واللهجة – أن اللهجات لا بد أن تشترك فيما بينها بقدر كبير من المفردات والدلالات وصيغ الأفعال وأنواع الجموع وأداة التعريف وقواعد النحو، وإن لم يتوفر هذا الكم الكبير من الاشتراك تحولت إلى لغات لا إلى لهجات تنتمي إلى لغة واحدة. لذلك من البديهي أن لا نجد في هذا الباب كثيرا لنذكره إذ المقارنة بين لهجتين لا بين لغتين، ولكن على هذا الصعيد نذكر:

بالنسبة لتميم:

- تقول تميم «الأعفك» أي الأعسر.
- وقالت تميم: «بِعِ لي تمرا» أي اشترِ لي.
- قالوا «الجبي» وهو ما حول البئر.
- وقالوا: «جبذ» وهم يريدون بها جذب فأبدلوا مكان الحرفين.
- وقالت تميم أيضا: «جل الشيء» أي معظمه.

- وتستخدم تميم البغي بمعنى الحسد، وبهذا المعنى وردت في محكم التنزيل: ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ البقرة: ٢١٣ أي حسدا.
- الأمة عند تميم تعني النسيان، وقد وردت بهذا المعنى في القرآن الكريم أيضا، حيث يقول ربنا تعالى: ﴿وادَّكر بعد أُمة﴾ يوسف

:٤٥.

- تستخدم تميم «خشع» بمعنى اقشعر، ومنها قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةً﴾ فصلت: ٣٩
- خرص بمعنى كذب لهجة تميم، وقد وافق القرآن لسانها حيث يقول الله تعالى في محكم التنزيل: ﴿إن هم إلا يخرصون﴾ الزخرف: ٢٠

بالنسبة لقريش:

- قالت قريش: الفرسك وتريد به ثمر الخوخ.
- وقالت: الدجر وهو عندها اللوبياء.
- سموا الأسد السرحان.
- قالت قريش: المسطح وهو المكان الذي ينشر فيه التمر.
- قالوا: الضال الأشكل، أي السدر الجبلي.
- وقالوا: أرخصه أي اغسله.

- **ثانيا: اللهجات الشاذة «المذمومة»**

يراد باللهجات المذمومة هي الظواهر اللغوية الصوتية التي نقلت عن بعض العرب ولم تطرد في لغة الاستعمال كونها خرجت عن الأصل الموضوع لها في النطق.

وقد عرفت هذه اللهجات بمجموعة من المصطلحات اللغوية التي عرف بالألقاب اللهجية وقيل إن أقدم خبر في تلقيب اللهجات العربية القديمة هو، ما رواه الجاحظ في كتابه «البيان والتبيين» من أن رجلا جُرّمياً - لم تذكر المصادر اسمه - كان في مجلس معاوية، حين قال معاوية:

«من أفصح الناس؟ فقام رجل من السماط، من عامة الناس فقال: هم قوم ارتفعوا عن «لخلخانية» الفرات، وتيامنوا عن «كسكسة» بكر، ليس لهم «غمغمة»

قضاعة، ولا «طُمّطُمانية» حمير.

فقال معاوية: من هم؟ قال الرجل: قومك يا أمير المؤمنين، قريش.

قال معاوية: ممن أنت؟ قال: من جرم. قال معاوية: وجرم، من فصحاء الناس»[1]، وزادت بعض الروايات:

«تلتلة»	بهراء،	«تضجع»	قيس
«عجرفية»	ضبة	«كشكشة»	هوازن،
«عجعجة»	قضاعة		

ومن هذه العيوب اللهجية:

١- الاستنطاء:

الاستنطاء: هو جعل العين نونا، إذا جاورت الطاء في كلمة واحدة «اعطى_ انطى»، وقد روي أن هذا اللقب للهجة، سعد بن بكر، وهذيل والإزد، وقيس، والأنصار، واهل اليمن[2] فيقولون:

« أنطاك، وانطاني، وانطني» في: « أعطاك، وأعطاني، واعطني». وقرء شاذا قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ الكوثر:١.

وفي كتاب رسول الله «ﷺ» إلى وائل قال: «وأنطوا الثبجة»[3] أي: اعطوا الوسط في الصدقة لا من خيار المال ولا من رذالته[4].

وفي الحديث: «إن مال الله مؤول ومنطى» ومثله أيضا «اليد المنطية خير من اليد الاسفلى»[5].

وما جاء من الشعر في هذه الظاهرة قولا للأعشى:

---

١. البيان والتبين:٢١٢:٣-٢١٣.

٢.يُنْظَر: المزهر:١:٢٢٢.

٣.الكشاف:٤: ٨٠٦.

٤.يُنْظَر: لسان العرب:٢: ٢٢٠.

٥.المصدر نفسه:١٥ :٣٣٢.

جيـــــادُكَ في الصـــــيف في نعمــــــةٍ تُصـــانُ الجــلالَ وتنطـىٰ الشــعيرا[1]

وروي عن ثعلب انه قال:

من المنطيـاتِ المواكـبَ المعـجَ بعـدما يُــرىٰ في فُــرُوعِ المقلتــين نُضُــوبُ[2]

وقيل ان الوضع العام في اللغة العربية يدل علىٰ ان الفعل «أنطىٰ» الصيغة المعـداة بالهمزة من الفعل «نطىٰ» وهو الفعل الأقـدم الـذي اسـتبدل بـه في الشـرق الفعـل «عطىٰ» الذي صـار مرادفـا لفعـل «نطـىٰ» وقـد كـان «فـوللرز» أول مـن افـترض أن«اعطىٰ» العربي يناظر «ناط» في العبرية، وقد اسـتغرقت الصـيغة الجديـدة بعـض الوقت حتىٰ شاعت في المناطق الغربية[3].

٢-التضجع:

التضجع: لغة القعود عن الأمر والتقصير فيه[4] والإضجاع في باب الحركات مثل الإمالة والخفض[5] ولعل المراد بالتضجع هنا، التباطؤ في الكلام، والتقعر فيه. وعرف هذا اللقب في لهجة قيس، فروي القول: وتضجع قيس[6]. ولعله ما يعرف اليوم، بمد الصوت المجرد من لفظ الحروف بين الكلمات، وكأن المتحدث بعد كـل كلمـة يمـد صوته «بألف، أو واو» حتىٰ يستجمع الكلمات التالية، ويتذكرها، وقد عرفـت هـذه الظاهرة بالتراخي الصوتي[7].

٣-التلتلة:

هي كسر حرف المضارع، وقد عرفت بها قبيلة بهراء، من ذلك قولهم: « أنا إِعْلَمُ،

---

١. يُنْظَرَ: الشاهد علىٰ غير هذه الرواية في ديوان الاعشىٰ:١: ١٣٥.

٢. يُنْظَرَ: لسان العرب:١٥ :٣٣٣.

٣. يُنْظَرَ: اللهجات العربية الغربية القديمة:٧١-٧٢.

٤. يُنْظَرَ: لسان العرب:٨ :٢٢٠

٥. المصدر نفسه

٦. يُنْظَرَ: الخصائص:١١:٢

٧. يُنْظَرَ: اللهجات العربية الغربية القديمة:١٨٩

وأنت تِعلمُ، ونحن نِعلمُ»[1]

قال سيبويهُ: «هذا بابُ ما تُكسَرُ فيه أوائلُ الأفعالِ المضارعةِ للأسماءِ كما كَسَرْتَ ثانيَ الحرفِ حينَ قلتَ فَعِلَ، وذلكَ في لغةِ جميعِ العربِ إلاّ أهلَ الحجازِ، وذلك قولُهم: أنتَ تِعْلَمُ ذاك، وأنا إعْلَمُ، وهي تِعْلَمُ، ونحن نِعْلَمُ ذاك»[2].

قد تِعلمُ الخيلُ أياما تُطاعنُها ... من أي شنشنة أ أنت ابن منضورِ

إذ نسبت هذه الظاهرة إلى قبيلة قيس وتميم واسد وربيعة.

وقال الرضيُّ في شرحِ الشافيةِ: «إنّ جميعَ العربِ إلاّ أهلَ الحجازِ يجوّزونَ كسرَ حرفِ المضارعةِ سوى الياءِ في الثلاثيِّ المبنيِّ للفاعلِ، إذا كانَ الماضي على فِعل بكسرِ العينِ... وكذا في المثالِ والأجوفِ الناقصِ والمضاعفِ، نحو إيجَلُ وَ إِخَالُ[3].

فغبرتُ بعدكم بعيش ناصب ... وإخال اني لاحق مستتبعُ

وإِشقَى وإِعَضَ، والكسرةُ في همزةِ «إخالُ» وحدة أكثرُ وأفصحُ من الفتحِ»[4]، وعلّلَ سببَ الكسرِ في الأحرفِ المضارعةِ بأنّها كُسرتْ تشبيهاً لكسرِ عينِ الماضي، ولم يكسرِ الفاءَ لهذا المعنى لأنّ أصلَه في المضارعِ السكونُ، ولم يكسرِ العينَ لئلاّ يلتبسَ «يَفْعَلُ» المفتوحُ و «يَفْعِلُ» المكسورُ فلم يبقَ إلاّ كسرُ حروفِ المضارعةِ، ولم يكسروا الياءَ استثقالاً، إلاّ إذا كانَ الفاءُ واواً نحوَ: «ييجَلُ» لاستثقالِهم الواوَ التي بعد الياءِ المفتوحةِ وكرهوا قلبَ الواوِ ياءً من غيرِ كسرِ ما قبلَها[5]، ويرى أحدُ الباحثين أنّ الفتحَ في أحرفِ المضارعةِ حادثٌ في اللغةِ العربيةِ القديمةِ، بدليلِ عدمِ وجودِه في

---

١. يُنْظَر: مجالس ثعلب:١:٨١

٢. الكتابُ: ٤:١١٠، ويُنْظَر: ٤:١١١-١١٣.

٣. ((إن الفعل (إخال. المشهور فيه كسر همزة المتكلم، ولكنّ بني أسد كانوا ينطقونها مفتوحة... يُنْظَر: في اللهجات العربية:٨٨، يُنْظَر: اللهجات العربية في التراث: ١: ٣٨٨.

٣. شرح الشافية: ١:٩٩.

٤. شرح الشافية: ١:٩٩.

٥. يُنْظَر: شرح الشافية: ١:٩٩، الأدب الجاهلي بين لهجات القبائل و اللغة الموحدة: ١٥٥

اللغاتِ الساميةِ الأخرىٰ، ووجودِ ظاهرةِ الكسرِ في اللغاتِ الساميةِ كالعبريةِ والسريانيةِ والحبشيةِ، فضلاً عمّا بقيَ من الكسرِ في بعضِ اللهجاتِ العربيةِ القديمةِ[1]، ويرىٰ الدكتورُ المطّلبي أنّ لهجةَ تميم «كانتْ تفتحُ معَ حرفِ المضارعةِ حينَ يكونُ الحرفُ «ياءً» وتُكسَرُ في مواضعَ ممّا يقودُنا – والتعبيرُ له – إلىٰ الاستنتاجِ بأنّها تمثّلُ مرحلةً وسطىٰ بينَ الكسرِ – الذي وُجِدَ في اللغاتِ الساميةِ القديمةِ في أحرفِ المضارعةِ – وبينَ الفتحِ الذي استقرتْ عليه عربيةُ القرآنِ ولهجةُ أهلِ الحجازِ» [2].

إنّ اختيارَ فتحِ أحرفِ المضارعةِ له ما يبرّرُهُ إذا علمْنا أنّ حركةَ عينِ المضارعةِ تتمثّلُ بثلاثِ حركاتٍ «فتحةٍ – كسرةٍ – ضمةٍ»، إذْ نجدُ أنّ الانتقالَ في النطقِ من كسرٍ – الذي هو في أدنىٰ اللسانِ – إلىٰ فتحٍ، والفتحُ أدخَلُ إلىٰ الفمِ من الكسرِ، والارتدادُ من الكسرِ إلىٰ الفتحِ فيه من الصعوبةِ والجهدِ العضليِّ، فضلاً عن الضمةِ التي هي أبعدُ ما تكونُ عليه من الكسرةِ، لذلك اختيرَ الفتحُ في الأحرفِ المضارعةِ ليتناسبَ من حيثُ الأداءُ والميلُ إلىٰ الاقتصادِ في المجهودِ مع الكسرةِ والضمةِ في عينِ الأفعالِ المضارعةِ للأسماءِ.

٤-الشنشنة:

في لغة اليمن تجعل الكاف شينا مطلقا كلبيش اللهم لبيش أي لبيك، ومن العرب من يجعل الكاف جيما كالجعبة يريد الكعبة. وقيل هذه الظاهرة موجود في قبيلة تغلب الذين يشنشنون[3] وقيل ان أهل حضرموت ما يزالون يشنشنون في بعض مقولاتهم «عَلِيش» بدلا من «عليك» [4]، وبعضهم جعل مصطلح الفشفشة مقابلا لمصطلح الشنشنة لان الفشفشة هي الأخرىٰ قلب الكاف شينا التي نسبت إلىٰ بعض قبائل اليمن «شحر» و «عمان» [5]

---

١. فصول في فقه اللغة: ١٠٦.

٢. لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة:١٣٦، ويُنْظَر: دراسات وتعليقات في اللغة:٧٨.

٣.يُنْظَر: المزهر:١:٢٢٢، والعقد الفريد:٢:٤٧٥.

٤. يُنْظَر: اللهجات العربية الغربية القديمة:٩٧-٩٨.

٥.يُنْظَر: محاضرات في فقه اللغة:١٢٣.

٥-الطمطمانية:

لغة هي العُجمة لان الطمطماني و الطُّماطم والطمطمي و الطُّمطِم هو الأعجم[١]، والطُّمّطَّمانية: هي إبدال اللام في «ال» ميما، ولم تزل هذه اللهجة منتشرة، متداولة إلى يومنا هذا، وبكثرة، وعلى نطاق واسع، وتنسب الطمطمانية إلى قبائل منها:

«طي، والإزد، وحمير، ودوس وقبائل جنوب جزيرة العرب، وبعض قبائل اليمن»[٢] فهم يقولون:

« طاب امهواء، وصفا امجو» يريدون طاب الهواء، وصفا الجو.

وقد روي عن بجير بن عنمة الطائي – احد بني بولان – قوله:

ذاك خليلي وذو يعاتبني يرمي ورائي بامسهم وامسلمة[٣]

وروي عن النبي «ﷺ»، أن رجلا من أهل اليمن سأله: «هل من امبر امصيام في امسفر»؟، فرد عليه «ﷺ»: «ليس من امبر امصوم في امسفر»[٤]

وروي عن الرسول الكريم أيضا قوله: «من زنى من امبكر فاصقعوه مئة»[٥]

ويرى بعض الباحثين في تحليلهم لهذه الظاهرة ان الأصوات المائعة«اللام والميم والنون والراء» ومعروف أنه في كل اللغات العروبية يغير احد الصوتين المائعين الموجودين في كلمة ما مخرجه[٦].

١.يُنْظَر: لسان العرب:١٢:٣٧١.

٢.يُنْظَر: فقه اللغة وسر العربية:١٢٧.و مجالس ثعلب:١:٥٨.

٣.يُنْظَر: مغني اللبيب:١:٤٨.

٤.يُنْظَر: سر صناعة الاعراب:١:٤٢٣.

٥.يُنْظَر: لسان العرب:٨:٢٠١.

٦.يُنْظَر: محاضرات في فقه اللغة:٩٢.

٦-العجعجة:

العجعجة لغة هي رفع الصوت قيل: عجّ يعج عجا، وضج ضجا رفع صوته وصاح بالدعاء والاستغاثة[١]

وهي قلب « الياء المشددة» في آخر الكلمة « جيما»، وتنسب العجعجة إلى قبيلة قضاعة [٢]، فيقولون:

« الراعج خرج معج» يريدون قول: الراعي خرج معي. وأنشدوا لبعضهم رجزا فقالوا:

خالي عويق وأبو علج

لمطعمان اللحم بالعشج

وبالغداة فلق البرنج[٣].

وقد أرادوا بذلك: أبو علي، والعشي: الليل، والبرني.

ويقول سيبويه: «واما ناس من بني سعد فانهم يبدلون «الجيم» مكان «الياء» في الوقف لأنها خفية فابدلوا من موضعها بين الحروف وذلك قولهم: هذا تميمج يريدون: تميمي.. »[٤].

وقال أبو عمر بن العلاء: قلت لرجل من بني حنظلة: ممن أنت؟ فقال: فقيمج. قلت: من أيهم؟ قال: مُرج، يريد: «فقيمي» و«مري» وانشد لهميان بن قحافة السعدي من الرجز:

يطير عنها الوبرَ الصّهابجا

---

١. يُنْظَر: لسان العرب:٢:٣١٨.

٢. يُنْظَر: المزهر:١:٢٢، والاقتراح:١٢٨.

٣. يُنْظَر: الكتاب:٤:١٨٢، وسر صناعة الاعراب:١:١٧٦.

٤. الكتاب:٤:١٨٢.

يريد الصهابي [1].

وقد قيد اللغويون هذه الظاهرة بشرطين هما الياء المشددة والوقف، ومتى خرجت الظاهرة عن هذين الشرطين عدوها شاذة.

٧-العنعنة:

ظاهرة صوتية تتلخص بقلب «الهمزة» «عينا» في أوائل «أن»، وتنسب العنعنة إلى تميم، وقيس، وأسد، وبعض أهل اليمن، فيقولون «عن» بدل عن «أنَّ»

من الشواهد، قول الشاعر ذي الرمة:

ععن ترسّمت من خرقاء منزلة ... ماء الصبابة من عينيك مسجوم

يريد بذلك: «أأن ترسمت» [2].

وروي أيضا للشاعر: جران العود قوله:

فما ابن حتى قلت: ياليت عنّنا تراب ... وعنّ الأرض بالناس تخسف

يريد في «عنّنا»: أننا، وفي «وعنّ»: وأنّ [3].

ان التبريد الصوتي لهذه الظاهرة هو ان صوتي العين والهمزة من أصوات الحلق ومخرجهما من اقصاه، وقيل فحيث وقعت العين وقعت الهمزة مكانها وفي ذلك نوع من المبالغة في النبر أي تحقيق الهمز إذ يقول بعضهم «عاتى المال» و «خاسعين» و«عامنوا» و«متكعون» [4].

١. يُنْظَر: سر صناعة الاعراب:١:١٧٦.

٢. يُنْظَر: الصاحبي في فقه اللغة:٥٣.

٣. يُنْظَر: سر صناعة الاعراب:١:٢٣٦

٤. يُنْظَر: كتاب العين:١:٥٢ ومحاضرات في فقه اللغة:٩٥.

٨-الفحفحة:

الفحفحة: هي قلب حرف «الحاء» «عينا»، وهذا لقب لهجة هذيل، فيقولون في حتّى: « عتى » ويبدو ان سبب هذا القلب صوتي كونهما من أصوات الحلق والعين انصع من الحاء كونه صوتا مجهورا والحاء صوتا مهموسا[١].

وقد روي: أن عمر بن الخطاب «رضي الله عنه» سمع رجلا من هذيل يقرأ قول الله تعالى«ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ.» يوسف:٣٥ بفحفحة هذيل:

« عتى عِين » فقال للهذلي: من أقرأك هذا؟ قال الهذلي: ابن مسعود. فكتب إليه، فقال: «إن الله تعالى أنزل القرآن بلغة قريش، وجعله عربيا، فأقرئ الناس بلغة قريش، ولا تقرئهم بلغة هذيل، والسلام»[٢].ومثله قوله تعالى: ﴿فتربصو به حتى حين»المؤمنون:٢٥.

وقال ابن جني العرب تبدل احد هذين الحرفين من صاحبه لتقاربهما من الخرج كقولهم «بحثر» ما في القبور، أي بعثر و« ضبعت الخيل» أي ضبحت، فعلى هذا يكون «عتى» و«حتى» في الكلام عينه لكن الأخذ بالأكثر استعمالا وهو «حتى» اما الآخر فجائز وغير خطإٍ[٣].

٩- الكسكسة:

من الظواهر الصوتية التي لم يتفق اللغويون على تحديدها هل هي في السين من الكاف ام في الشين فقيل هي إضافة حرف «السين» بعد «كاف المخاطبة» في الوقف أو في الوصل أو قلب الكاف المؤنث سينا، وهي في لهجة «تميم، ربيعة، ومضر، وبكر، وهوازن ».فيقولون: السلام «عليكس» أي عليكِ ومررت « بِكِس» أي بكِ،

١.يُنْظَر: كتاب العين:١:٥٢، والمزهر:١:٢٢٢.

٢.يُنْظَر: سر صناعة الاعراب:١:٢٤١، والخصائص:١:٨٥، الإبدال لابي الطيب اللغوي:١:٢٩٥.

٣.يُنْظَر: المحتسب:١:٣٤٣.

وقال عنها سيبويه بانها الحاق الكاف المؤنثة سينا في الوقف دون الوصل قال: «واعلم ان ناسا من العرب يلحقون الكاف السين ليبينوا كسرة التأنيث، وإنما الحقوا لأنها قد لا تكون من حروف الزيادة في استفعل وذلك أعطيتكس، واكرمتكس، فاذا وصلوا يجيئون بها لان الكسرة ابين»[1].

١٠- الكشكشة:

عن الخليل بن احمد هي لغة ربيعة يقولون: عليكش و إليكش، بزيادة شين بعد كاف المؤنث واستشهد على ذلك بقول رؤبة من الرجز:

تضحك مني أن رأتني احترش

ولو حرشتِ لكشفت عن حرش

عن واسع يغرق فيه القنقرش[2]

وقيل هي قلب الكاف شينا في آخر الكلمة، وهذا ما نقله سيبويه قال«فاما كثير من تميم وناس من اسد فانهم يجعلون مكان الكاف للمؤنث الشين وذلك قولهم: انشِ ذاهبة، ومالشِ ذاهبة، تريد: إنك ذاهبة، ومالك ذاهبة» [3] وقد نسبت الكشكشة إلى أهل اليمن، وحكي عن بعض أهل اليمن، وهو يلبي يوم عرفة، قائلا:

وقيل هي لغة وليست لهجة كما يقال ولقد كانت هذه لغة بني تميم حيث إنهم كانوا يكشكشون بمعنى يوشوشون ولذلك نزل عليهم القرآن بلغتهم لغة بني تميم وهي إحدى القراءات العشر في القرآن، ومن الآيات التي نزلت على لغتهم قوله تعالى في سورة مريم:

﴿وَهُزِّي إِلَيْش بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْش رُطَبًا جَنِيًّا»

---

١. الكتاب:٤:١٩٩.

٢. يُنْظَر: العين:٥:٢٦٩.

٣. الكتاب:٤:١٩٩.

واستخدمت الشين بدلا من الكاف، وهـذه القـراءة متعـارف عليهـا عنـد أهـل القرآن، وأنشدوا من قول مجنون ليلىٰ:

فعينـــاش عيناهـــا ولـــونش لونهـــا ولكـن عظـم السـاق مـنش دقيـق[1]

وقد قيد اللغويون هذه الظاهرة بكاف المؤنث، ولكن نقـل الينـا بعـض المصـادر قابها في غير ذلك، إذ قال ابن جني: وقرأت علىٰ أبي بكر محمـد بـن الحسـن عـن أبي العباس احمد بن يحيىٰ لبعضهم:

عـــــــليَّ فـــــيما ابتغـــــــي أبغـــــــيش
بيضــــــاء ترضـــــــيني ولا ترضـــــــيش
وتطيـــــــب ودَّ بنـــــــي أبـــــــيش
إذا دنـــــــوتُ جعلـــــــتُ تنئـــــــيش
وإن نأيـــــــتُ جعلـــــــت تـــــــدنيش
وإن تكلمـــــــت حثـــــــت في فـــــــيش
حتـــــــىٰ تنقـــــــي كنقيـــــــق الـــــــديش[2]

فقد جعل مكان الكاف شينا في لفظ «الديك».

ولعل هذا الإبدال أو الإلحاق مرده إِلىٰ ان أصوات اقصىٰ الحنك «الكاف والجيم» الخالية من التعطيش تميل بمخرجها إِلىٰ نظائرها من أصوات أمامية حين يليها أمامي كالكسر، لان صوت اللين في مثل هذه الحال يجتذب إِلىٰ الإمام قليلا أصوات اقصىٰ الحنك، فتنقلب إِلىٰ نظائرها من أصوات وسط الحنك «كصوت الشين»[3]

١. يُنْظَر: سر صناعة الاعراب:١:٢٠٦.
٢. المصدر نفسه:١:٢٠٧
٣. يُنْظَر: في اللهجات العربية:١٢٣.

١١- الوتم:

هو قلب «السين» في أواخر الكلمات «تاء»، ونسبت هذه الظاهرة إلى «قضاعة» أو إلى بعض العرب فيقولون:

« النات، والأكيات » يريدون قول: الناس، والأكياس، ومن شواهد ذلـك قـول شاعرهم : علباء بن أرقم:

يــــا قـــــبح الله بنـــــــي الســــــعلات

عمــــــرو بــــــن يربـــــوع شـــــرار النــــات

ليســـــــــو أعفـــــــــاء ولا أكيـــــــــات[١]

يريدون بـ «شـــرار النات: شرار النَّاس، ويريدون بــ «ولا اكيات»: ولا أكياس، وقرأ بعضهم ﴿قل أعوذ برب الناس﴾ «قل أعوذ برب النات» بدل الناس.[٢]

١٢_الوكم:

هو كسر الكاف من ضمير المخاطبين «كم» اذا سبق بكسر أو ياء

في لغة ربيعة وبكر بن وائل إذ يقولون: بكِم وعليكِم.

وقد قال سيبويه: «قال ناس من بكر ابن وائل: «من أحلامِكِمْ» و «بِكِـمْ» شـبهها بالهاء لأنها علم إضمار وقد وقعت بعد الكسرة فاتبع الكسرةِ الكسـرةَ، حيث كانـت حرف إضمار وكان أخف عليهم من أن يضما بعد أن يكسـر» [٣] وقد سـجّلَ سـيبويهُ سماعاً من أهلِ هذه اللغةِ من نقل عن الحطيئةِ جرول بن أوسٍ بنِ مالـكٍ بن حؤيةَ بن مخزوم بن مالـك من غطفان[٤]، وقيل من هذيل[٥]:

---

١. يُنْظَر: سر صناعة الاعراب:١:١٥٥.

٢. يُنْظَر: مختصر شواذ القران لابن خالويه:١٧٣.

٣. الكتاب: ٤: ١٩٧.

٤. الأغاني: ٢:١٤٩-١٩٤، الأعلام: ٢:١١٨، خزانة الأدب: ٢:٤٠٦، شواهد الشعر في كتاب سيبويه:٢٨٥.

٥. جمهرة أنساب العرب:١٩٧.

وان قال مـولاهم عـلىٰ جـل حـادث   من الدهر ردوا فضل احلامكـم ردوا[1]

وقد عُرفتْ هذه الظاهرةُ فيما بعدُ – أي بعدَ تأليفِ الكتابِ – بالوَكْمِ[2]، ووُصِفَتْ بأنها لغةٌ رديئةٌ جداً[3] وذهبَ المبردُ إلىٰ أنها غلطٌ منهم فاحشٌ[4].

١٣_ الوهم:

هو كسر «الهاء» من ضمير الغائبين «هم» وإن لم يكن قبل الهاء ياء أو كسرة وذلك قولهم: منهِم وعنهِم وبينهِم وإن لم يكن قبل الهاء ياء ولا كسرة.

قال سيبويهُ: «وعُلمَ أنَّ قوماً من ربيعةَ يقولُ: مِـنْهِمْ أتبعوهـا الكسرـةَ، ولم يكـنِ المسكّنُ حاجزاً حصيناً عندهم»[5].

ويُطلعُنا الفرّاءُ في معاني القرآنِ علىٰ لغتينِ في الهاءِ التي هي ضميرُ الغائبينَ، ويرىٰ لكلِّ لغةٍ مذهباً في العربيةِ، إذ يقولُ: «فأمّا من رفعَ الهـاءَ فإنّـه يقـولُ أصـلُها رفـعٌ في نصبِها وخفضِها ورفعِها، فأمّا الرفعُ فقولُهم «هُم قالوا ذاك» في الابتداءِ، ألا ترىٰ أنها مرفوعةٌ، ولا يجوزُ فتحُها ولا كسرُها، فتُرِكَتْ في «عليهُم» علىٰ جهتِها الأولىٰ وأمّا من قالَ «عليهِم» فإنّه استثقلَ الضمةَ في الهاءِ وقبلها ياءً ساكنةً، فقـالَ: «علـيهِم» لكثـرةِ دورِ المُكنّىٰ في الكلامِ، وكذلك يفعلونَ بها إذا اتصلتْ بحرفٍ مكسورٍ مثلِ «بهِـم» و «بهُم» يجوزُ فيه الوجهان مع الكسرةِ والياءِ الساكنةِ»[6]، أما إذا كان المسكّنُ غيرَ اليـاءِ نحو«من، وعن» فالساكنُ حاجزٌ غيرُ حصينٍ من تأثرِ الهاءِ بالصـوتِ المكسـورِ قبـلَ

١. الكتابُ: ٤:١٩٧، المقتضب: ١: ٢٧٠.

٢. يُنْظَر: الاقتراح:١١٣.

٣. يُنْظَر: الكتابُ: ٤:١٩٧.

٤. يُنْظَر: المقتضب: ١:٢٦٩–٢٧٠.

٥. الكتابُ: ٤:١٩٦.

٦. معاني القرآن: ١:١٢، المقتضب: ١:٣٧، ويُنْظَر: إعراب القرآن للنحاس: ١:٢١، الحجة في القراءات السبع:٢١، والتيسير في القراءات السبع:٢٧، شرح التسهيل لابن مالك: ١:١٤٤.

ذلكَ الساكنِ، وقد سُمّيَتْ هذه الظاهرةُ «بالوهمِ»[1] وقيل هي مطّردةٌ في كلِّ حالاتِ هذا الضميرِ[2] –عندَ أناسٍ من ربيعةَ – سواءٌ سُبقَ بكسرٍ أم بياءٍ أم لم يسبقْ، إلا أنّا عدمْنا هذا القولَ في الكتابِ ولم يشرْ إليه سيبويهُ عندما وصفَ هذه الظاهرةَ.

١٤_ اللخلخانية:

تعرض في لغة أعراب الشحر وعمان، وهي قولهم: مشا الله كان، يريدون ما شاء الله كان[3].

١٥_ الغمغمة:

لقد ورد هذا اللقب في قصة الجرمي أمام معاوية عندما قام مادحا «ليس فيهم غَمْغمةُ قُضاعة» الغَمغمة والتَّغَمْغم كلام غير بيِّن[4].

١٥_ الرتة:

هي تعذر الرجل اذا أراد الكلام أو هي عجلة في الكلام مع قلة الأناة فيه، أو هي عيب في النطق، كقلب «الراء» «غين» أو قلب «اللام» «ياء»، ونحو ذلك من العيوب النطقية التي تلحق لغة المستعربين. وقد نسبت هذه اللهجة إلى أهل العراق[5].

١٦-القُطْعَة:

هي نوع من الرخيم، أو الميل الشديد لتقصير الكلمات عند النداء، وقيل هي منسوبة إلى طيء كالعنعنة في تميم، إذ يقولون: يا أبا الحكا، وهم يريدون: يا أبا الحَكَم، فيقطع الكلام عن إبانة بقية الكلمة. وهذا يعني أن القطعة نوع من ترخيم اللفظ[6].

---

١. يُنْظَر: المزهر: ١:١٢٢.

٢. يُنْظَر: محاضرات في فقه اللغة: ١٣٥.

٣.يُنْظَر: فقه اللغة وسر العربية:١٢٧.

٤.يُنْظَر: جمهرة اللغة:١:٢١٧.

٥.يُنْظَر: فقه اللغة وسر العربية:١٢٥-١٢٧.

٦.يُنْظَر: العين:١:١٣٧

١٧-العجرفة:

العجرفية لغـة: هـي الجفـوة في الكـلام، والخـرق في العمـل[١] وفي الاصـطلاح اللغوي هي التقعر في الكلام وتنسب إِلىٰ قبيلة ضبة [٢].

فهذه بعض الظواهر اللهجية التي عرفت باللهجات المذمومة أو الشاذة، قد مات بعضها كونه انحرافا لغويا تنبه له مستعملو اللغة وراحـوا يترفعـون عـن اسـتعماله، وبعضها مازال مستعملا إِلىٰ يومنا هذا كالكشكشة والعجعجة لكن في بيئات محددة.

١.لسان العرب:٩:٢٣٤.

٢.يُنْظَرَ: مجالس ثعلب:١:٨١.

الفَصْلُ التَّاسِعُ

مظاهر التطور اللغوي

ثمة عوامل لها دور في إثراء اللغة العربية واتساعها على ما سواها من اللغات، وقد عدَّ بعض منها من وسائل إثراء اللغة، وقد حدد القدماء تلك العوامل بالمظاهر اللغوية الآتية:

١. المجاز　　　٢. الترادف　　　٣. المشترك اللفظي والأضداد

٤. الاشتقاق　　　٥. المعرب والدخيل

أولاً: الاستعمال المجازي للغة

يعد المجاز وسيلة من وسائل إثراء اللغة، إذ تكلم القدماء عن قيمته واثره في تنمية اللغة العربية وبيان دوره المتجلي في الاتساع، وذكروا ان الأمور التي تدعوهم إلى اللجوء إلى المجاز الاتساع، وقيل: إنما يقع المجاز ويعدل اليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه[١] ومثلو لذلك بقول رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» في الفرس «هو البحر» فيتجلى الاتساع في انه زاد في أسماء الفرس البحر، فيستعمل هذا اللفظ استعمال بقيه أسماء الفرس ولكن بشرط القرينة[٢]. أما المحدثون فقد اتفقوا

١. الخصائص:٢:٤٤٢.

٢. ينظر المجاز اللغوي واثره في إثراء اللغة العربية:١٠١.

علىٰ دور المجاز في إثراء اللغة ولكنهم اختلفوا في بيان مكانته بين وسائل إثراء اللغة، إذ عدَّ عند بعضهم مظهرا من مظاهر التطور الدلالي[1].وبناء علىٰ ما تقدم لننظر ما قيل في حد المجاز اللغوي وبيان اصله اللغوي.

يبدو أن المعنىٰ الاصطلاحي لحقيقة المجاز مستمد من الأصل اللغوي، فلقد نقل ابن منظور«ت:٧١١هـ» قول اللغويين: «جزت الطريق، وجاز الموضع جوازا ومجازا: سار فيه وسلكه، وجاوزت الموضع بمعنىٰ جزته، والمجاز والمجازة الموضع»[2].

وكان عبد القاهر الجرجاني «ت:٤٧١هـ» قد كشف العلاقة بين اللغة والاصطلاح في اشتقاق لفظ المجاز، فالمجاز عنده: «مفعل من جاز الشيء يجوزه إذا تعداه، وإذا عدل باللفظ عما توجبه أصل اللغة، وصف بأنه مجاز علىٰ معنىٰ أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكان الذي وضع به أولا»[3].

وهو لا يكتفي بذلك حتىٰ يحدد العلاقة بين الأصل والفرع في عملية العدول عن أصل اللغة، أو النقل الذي يثبت إرادة المجاز لهذا اللفظ أو ذاك دون الاستعمال الحقيقي فيقول: « ثم إعلم بعد: إن في إطلاق المجاز علىٰ اللفظ المنقول عن أصله شرطا ؛ وهو أن الاسم يقع لما تقول أنه مجاز فيه بسبب بينه وبين الذي تجعله فيه»[4].

ويراد بذلك المناسبة بين المعاني المنقولة والألفاظ التي جيء بها لها مع معناها الوضعي أي لابد من شرط ملاحظة الأصل عند نقله إِلىٰ معناه الجديد، إذ يشترط ان تكون هناك علاقة كالسببية في استخدام اليد مثلا بمعنىٰ النعمة لأنها سبب لها، أو كتسمية الاعتدال غصنا، والقوام بانا، والحلم طودا، لافتراع الغصن استقامة، ورشاقة البان طولا، ورسوخ الطود ثباتا. فجاء النقل متساوقا في مناسبته مع المعاني

١. ينظر دلالة الالفاظ:١٢٤.

٢. ابن منظور، لسان العرب، مادة : جاز .

٣. عبد القاهر، أسرار البلاغة : ٣٦٥ .

٤. المصدر نفسه : ٣٦٥ .

الجديدة دون النبو عنها في شيء[1].

ويوكد عبد القاهر هذه المناسبة القائمة بين اللغة والاصطلاح في اشتقاق المجاز، متناولا قضية الوضع الحقيقي، وتجاوزه إلى المعنى الثانوي المستجد في المجاز، فيقول: «وأما المجاز فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها لملاحظة بين الثاني والأول، فهي مجاز، وإن شئت قلت:

كل كلمة جزت بها. ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له من غير أن تستأنف فيها وضعا لملاحظة بين ما تجوز إليه وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها، فهي مجاز»[2].

ويقول أبو يعقوب السكاكي«ت: ٦٢٦هـ»: «المجاز هنا هو الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق استعمالا في الغير بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناه في ذلك النوع »[3].

والمراد من ذلك هم مراقبة وتحديد الكلمة التي تتخطى حدودها بمرونتها الاستعمالية من موقع إلى موقع، ويتجاوز اللفظ محله من معنى إلى معنى، مع إرادة المعنى الجديد بقرينة تدل على ذلك ؛ فيكون أصل الوضع باقيا على معناه اللغوي، والنقل إضافة لغوية جديدة في معنى جديد، وبهذا يبدو لنا أن المجاز يتضمن عملية تطوير لدلالة اللفظ المنقول المعنى، وتحميله المعنى المستحدث بما لا يستوعبه اللفظ نفسه لو ترك واصل وضعه الحقيقي[4].

وكان التحرر من الضيق اللفظي، والاتساع في رحاب اللغة، أساس هذا الاستعمال، فرارا من الجمود. وعلى هذا فالمجاز حدث لغوي فضلا عن كونه عنصرا بلاغيا نابضا بالاستنارة والعطاء، هذا الحدث يفسر لنا تطور اللغة العربية الفصحى

---

١. ينظر مجاز القُرآنِ خصَائصهُ الفَنيَّة وبَلاغَته العَربيَّة:٥٩.

٢. أسرار البلاغة : ٣٢٥ .

٣. مفتاح العلوم : ١٧٠ .

٤. ينظر أصول البيان العربي : ٣٥ .

بتطور دلالة ألفاظها على المعاني الجديدة، والمعاني الجديدة في عملية ابتداعها لا يمكن إدراكها إلا بالتعبير عنها، والتصوير اللفظي لها، وذلك لا يتحدد بزمن أو بيئة أو إقليم، وإنما هو متسع للعربية في أعصارها وأدوارها[1].

ويتبين مما سبق أن للمجاز دورا هاما في إثراء اللغة، ولهذا الدور وجهان:

الأول: أن له دورا أساسيا في ثرائها، والثاني: ان له دورا في إيجاد وسيلتين غيره من وسائل الإثراء هما(الترادف والمشترك اللفظي» لان الألفاظ يمكن إضافتها والانتقال بها من الخاص إِلى العام كما هو حال الصفات في الترادف.

ثانيا : الترادف في اللغة العربية

إن الترادف في اللغة هو امر طبيعيٍّ الوجود كونه مظهرا من مظاهر تطورها ونمو مفرداتها، فضلا عن حاجة الناس له في مقتضيات العملية التواصلية والفهم لها. فكان من الطبعي أن نجد ألفاظاً كثيرةً لتفسير المعنى الواحد حتى وإن بدت بعض معاني هذه الألفاظ المترادفة بهيأة صفات فيما بعد، وتمثلت بألفاظ عدّت كثرتها من الدواهي[2].

فالمترادف إذن، هو التعبير عن الشيء الواحد بلفظين مختلفين أو اكثر. وأول من أشار إِلى هذا المصطلح سيبويه حينما قسم علاقة الألفاظ بالمعاني على ثلاثة أقسام[3].

١ .اختلاف اللفظين لاختلاف المعنيين، وهذا امر طبيعي الوجود في اللغة كقولنا: فرس، شجر، بيت، رجل.........

٢ ..اتفاق اللفظين واختلاف المعنى، نحو الجون الأبيض، والجون الأسود

٣.اختلاف اللفظين والمعنى واحد نحو: الناس والأنام، والذئب والسيد، وذهب

---

١ . ينظر مَجَازُ القُرآنِ خصَائصهُ الفَنيَّة وبَلاغَته العَربيَّة:٦٠-١٦

٢ . ينظر الصاحبي:٦٥-٦٦، دراسات في فقه اللغة :صبحي الصالح:٢٩٤.

٣. ينظر الكتاب:٧:١-٨.

ومضى..

فهو التوسع باللفظ على حساب المعنى، أو اختلاف اللفظ واتفاق معناه. أو الألفاظ المترادفة والمتقاربة في المعنى.

وبدأ جمع تلك الألفاظ والاهتمام بها مذ شرع اللغويون الأوائل في جمع اللغة والنظر في ألفاظ القران الكريم وتفسيرها، وكان العمل في بداية الأمر عملا تقريبيا أي ان الجمع لا يعنى كثيرا بالتدقيق في تحري عن النوع من هذه الألفاظ، ولعل هذا ما قاد إلى توسيع دائرة المترادف فيما بعد.[1] وقد بالغ بعض اللغويين في جمع بعض الألفاظ التي لا تمت للألفاظ المترادفة بصلة واصبح ذلك من قبل الألفاظ المفتعلة، على سبيل المثال كان الأصمعي عبد الملك بن قريب«٢١٦هـ» يفخر بأن يحفظ للحجر «سبعين»اسما[2].

جامعوا الألفاظ المترادفة

نورد بعض من صنف وعُني بجمع المترادفات من القدماء والمحدثين:

١. أبو عبيد معمر بن المثنى «٢١٠هـ» ، «أسماء الخيل» و«كتاب السيف»

٢. الأصمعي عبد الملك بن قريب«٢١٦هـ»، «أسماء الخمر» و«ما اختلف لفظه وتفق معناه».

٣. أبو حاتم، سهل بن محمد بن عثمان السجستاني«٢٥٥هـ»، «كتاب السيوف والرماح».

٤. أبو الفضل العباس بن الفرج بن علي الرياشي «٢٥٧هـ»، «ما اختلفت أسماؤه من كلام العرب»

٥. أبو عبد الله الحسين بن احمد بن خالويه«٣٧٠هـ» «أسماء الأسد» و«أسماء الحية»

---

١. ينظر مدخل إلى فقه اللغة:٢٩٤.

٢. ينظر:المزهر:٣٢٥:١.

٦. أبو الحسن الرماني«٣٨٤هـ»، «الألفاظ المترادفة والمتقاربة المعنىٰ»
٧. أبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري«٥٧٧هـ»، «قبسة الأريب في أسماء الذيب»
٨. أبو طاهر مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي«٨١٧هـ»، «أسماء النكاح»
٩. السيوطي جلال الدين«٩١١هـ»، «الإفصاح في أسماء النكاح»
١٠. إبراهيم اليازجي «نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد»
١١. رفائيل نخله اليسوعي«قاموس المترادفات والمتجانسات»

الترادف بين الإثبات والإنكار:

لاشك ان ظاهرة الترادف في اللغة كأي من الظواهر اللغوية التي مسها الخلاف وكثُر الجدل حولها ولعل هذا الأمر «اعني الخلاف في مسائل اللغة والنحوي والتصريف» مرتبط بالعقلية العربية اللغوية التي بنيت أساسا علىٰ الرفض تارة والتشكيك تارة أخرىٰ، ثم تعود من حيث ما بدأت، لأننا أوجدنا الحجة علىٰ من انكر الترادف وهذا ما ورد علىٰ ألسنتهم من مقولات واللفاظ تشي تناقضهم، ولكي نكون اكثر دقة لنقف عند ابن الأعرابي«٢٣١هـ» الذي انكر الترادف في اللغة قال: «كلُّ حرفيين أوقعتهما العرب علىٰ معنىٰ واحد، في كل واحد منهما معنىٰ ليس في صاحبه ربما عرفناه فأخبرنا به وربما غمض علينا فلم نلزم العرب جهله»[1] ثم أوجدناه يفسر الشعر بالمعنىٰ، ويستغرب لمن ينكر عليه ذلك، ويستشهد لمسلكه هذا بالقران والحديث، قال ابن جني«٢٩٩هـ»: «اخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن عن أبي

١. ينظر الأضداد لابن الانباري:٧ .

العباس احمد بن يحيىٰ قال: انشدني ابن الأعرابي:

ومو ضع زبن لا أريد مبيته   كأني به من شِدة الروع آنس

فقال له شيخ من أصحابه: ليس هكذا انشتنا، إنما انشتنا: وموضع ضيق، فقال: سبحان الله ! تصحبنا منذ كذا وكذا، ولا تعلم أن الزبن والضيق واحد وقال الله تعالىٰ وهو اكرم قيلا: ((قل ادعوا الله أو ادعوا لرحمن أيما تدعوا فله الأسماء الحسنىٰ» الاسراء:١١٠ وقال رسول الله (ص): (نزل القران علىٰ سبع لغات كلها شافٍ كافٍ» »[١].

فضلا عن ذلك وجدنا إقراره الفعلي للترادف في قوله عن العمامة «يقال للعمامة: هي العمامة، والمشوذ، السِّب، والمقطعة، والعِصابة، والعِصاب، والتاج، والمكورة» [٢].

اما أبو العباس ثعلب «٢٩١هـ» وهو تلميذ ابن الأعرابي فيرىٰ ان كل ما يظن من المترادفات إنما هو من المتباينات التي تتباين في الصفات، كالإنسان والبشر، فالأول موضوع له باعتبار النسيان أو انه يؤنس، والثاني باعتبار انه بادي البشرة[٣].

وعلىٰ الرغم من ترسمه آثار شيخه في الإنكار إلا انه وقع فيما وقع فيه شيخه من ذكره للألفاظ بمعنىٰ واحد، قال: «ثوبُ خلق، وسمل، وشبارق، ومزق، وطرائق، وطرايد، ومشقز............... »[٤].

اما أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري«٣٢٨هـ» فتابع ابن الأعرابي وتمسك بمذهبه، القائل بان الأسماء سميت لعلة ظاهرة كانت أم خفية، لان مكة عنده

---

١. الخصائص:٢:٤٦٩.

٢. المزهر:١:٤١٠.

٣. ينظر المصدر نفسه:١:٤٠٣.

٤. المصدر نفسه:١:٤١١

سميت بهذا الاسم لجذب الناس إليها، والكوفة لازدحام الناس بها، والبصرة للحجارة البيضاء الرخوة فيها [1]، وابن الأنباري لم يختلف عن سابقيه في إقرارهم الفعلي للترادف حينما وقف عند تقسيم الألفاظ وأنواعها، قال: «..والضرب الآخر ان يقع اللفظان المختلفان على المعنى الواحد، كقولك: البُر والحنطة، والعير والحمار، والذئب والسِّيد، وجلس وقعد، وذهب ومضى» [2].

أما بن فارس«٣٩٥هـ» الذي انكر الترادف في اللغة وسلك مسلك سابقيه من العلماء المنكرين، فقال: «ويسمى الشيء الواحد بالأسماء المختلفة نحو السيف والمهند والحسام. والذي تقوله في هذا: إن الاسم واحد وهو السيف وما بعده من الألقاب والصفات ومذهبنا ان كل صفة منها فمعناها غير معنى الأخرى..... » [3] ومع إنكاره نجده يورد ألفاظاً مختلفة ثم يفسرها بمعنى واحد، نحو المعطس والمرسن والراعف للأنف، ونجده يفخر باتساع العربية على اللغات بقوله: «ومما لا يمكن نقله البته أوصاف السيف والأسد والرمح، وغير ذلك من الأسماء المترادفة، ومعلومُ ان العجم لا تعرف للأسد اسما غير واحد، فأما نحن فنخرج له خمسين ومئة اسم» [4].

أما ابن درستويه«٣٤٧هـ» فقال: «محال ان يختلف اللفظان والمعنى واحد كما يظن كثير من اللغويين والنحويين وإنما سمعوا العرب تتكلم بذلك على طباعها وما في نفوسها من معانيها المختلفة وعلى ما جرت به عاداتها وتعارفها ولم يعرف السامعون لذلك العلة فيه والفرق فظنوا انهما بمعنى واحد.......... » [5].

نجد ابن درستويه لم يقف عند علة التسمية والفروق في اصل الوضع عند ابن

---

١. ينظر نص ابن الأنباري في الأضداد :٧-٨.

٢. الاضداد:٦-٧.

٣. الصاحبي:١١٤-١١٥.

٤. الصاحبي:٢١.

٥. المزهر:١:٣٨٦

الأعرابي وتابعيه، بل زاد على ذلك حكمة الواضع، استنادا إلى ان اللغة توقيف، وان واضعها حكيم عليم ودليل ذلك قوله تعالى«وعلم ادم الأسماء كلها»، علما ان الآية لا دليل فيها على توقيف اللغة[1] والى جانب ذلك يرى ان القول بالترادف ينافي العقل والقياس، علما ان اللغة والنظر في ظواهرها اللغوية لا تؤخذ بالمنطق العقلي والحكمة لان ذلك لا يصدق على كثير من الظواهر اللغوية كونهما يتعارضان مع الواقع اللغوي[2] ويعتقد الأستاذ محمد نور الدين المنجد أن ابن درستويه وضع يده على أسباب جوهرية لحدوث الترادف حسب النهج الوصفي منها:

١. الخطأ في الفهم والتأويل.
٢. كثرة استعمال التشبيه.
٣. اختلاف اللغات.

إذ يفهم من هذا ان تكون دلالة اللفظة صحيحة حقيقية في قبيلة واحدة.[3] وممن انكر الترادف أبو هلال العسكري«٣٩٥هـ»، وقد وضع لهذا الغرض كتابه«الفروق في اللغة» قال فيه: «ان الاسم كلمة تدل على معنى دلالة الإشارة، واذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرف، فالإشارة اليه ثانية وثالثة غير مفيدة، وواضع اللغة حكيم لا يأتي فيها بما لا يفيد، فان أشير منه في الثاني والثالث إلى خلاف ما أشير اليه الأول كان ذلك صوابا، فهذا يدل على ان كلّ اسمين يجريان على معنى من المعاني وعين من الأعيان في لغة واحدة، فان كلّ واحد منهما يقتضي خلاف ما يقتضيه الآخر......»[4].

ولكن أبا هلال العسكري صنف كتابا ذكر فيه من المترادفات الشيء الكثير اسمه «التلخيص في معرفة أسماء الأشياء» يقول في احد تضاعيفه: «الحُلبُوب، و الحُلكوك،

---

١. ينظر أقوال العلماء في هذه الآية في البحر المحيط لابي حيان الاندلسي:١٤٥:١-١٤٦.
٢. الترادف في اللغة، حاكم الزيادي:٢٠٧
٣. ينظر الترادف في القران الكريم:٤٨.
٤. الفروق في اللغة:١٣

والغِربيب، والُمسحنكك، والحالك، والُمحلولك.....كل ذلك الأسود»[1].

بل وجدناه يذكر الترادف في كتابه الفروق ويذكر أمثلة قرآنية قال: «وعندنا ان قوله تعالى (آثرك الله علينا))[يوسف/ ٩١] معناه انه فضلك الله علينا... »[2].

ان النظر في مقولات المنكرين نلحظ ثمة تناقضا قد وقعوا فيه، لانهم قد اقروا الترادف بشكل عملي حينما ذكروا طائفة من الألفاظ المترادفة على الرغم من إنكارهم النظري للترادف، وعلل الأستاذ محمد نور الدين هذا التناقض الذي وقف عنده الدكتور حاكم الزيادي، بان المنكرين توصلوا ببعد نظرهم إلى ما توصل اليه علم اللغة الحديث الذي امعن النظر في هذه المسالة ففرق بين الترادف الكامل وأشباه الترادف فانكر الأول واقر الثاني، ولا يعدُّ ذلك من التناقض وإنما هي النظرة الموضوعية للظاهرة بمختلف مستوياتها[3].

والحق في ذلك لم نلحظ أي إشارة من المنكرين القدماء في حديثهم عن الترادف بانه يقسم على قسمين تام وغير تام وأجازوا احدهما دون الآخر، بل جاء رفضهم وعدم الإقرار منهم بهذه الظاهرة، وهذا واضح من خلال العلل التي اعتلوا بها ولاسيما قولهم بان الواضع واحد، أو ان الأسماء سميت لعلة، أو اذا أشير إلى الشيء مرة واحدة فعرف، فالإشارة اليه ثانية وثالثة غير مفيدة.

أما من اثبت التَّرادف فقد ذهب إلى:

١. إنها ظاهرة معروفة في اللغة. وشواهدها معروفة في العاجم والكب اللغوية.
٢. الترادف نجم عن تعدد اللهجات العربية القديمة.
٣. وجوده ضروري لكثرة الوسائل إلى الإخبار عما في النفس، فانه ربما عسر استعمال احد اللفظين والنطق به أو نسي احدهما، فوجدوا

---

١. التلخيص:١:٢٣.
٢. الفروق:١١٨.
٣. ينظر الترادف القران:٥٢.

المترادفات لتعين على بيان القصد.

٤. ان الترادف واقع في اللغة لاحتياج أهل اللغة إلى الشرح والتفسير، «لا ريب فيه، لا شك فيه» «إني أريد أن أُنكحك إحدى ابنتي » أي أُزوجك.

٥. في الترادف إتاحة للتوسع في سلوك الفصاحة وأساليب البلاغة في النظم والنثر، قال الحطيئة:

إلا حبذ هندٌ وارضٌ بها هندُ وهندٌ أتى من دونها النأي والبعدُ [١].

ومن علماء العربية الذين اثبتوا الترادف: أبو علي الفارسي«٣٧٧هـ» فقد كان يستحن الترادف ويعجب به، وما نقل عنه بانه انكر الترادف مستدلين على ذلك بحواره مع ابن خالويه حينما قال ابن خالويه: «احفظ للسيف خمسين اسما فتبسم أبو علي، وقال: لا احفظ له إلا اسما واحدا وهو السيف. قال ابن خالويه: أين المهند والصارم و.........فقال أبو علي: هذه صفات. »[٢] ففيه نظر لأنه هنا فرق بين الاسم والصفة، وفي موضع آخر يقول: «ومن أسماء الحاجة عنده: الحوجاء، واللوجاء، والإرب، واللُّبانة، والتَّلية.. »[٣] وكد ابن جني إثبات شيخه للترادف قال: «كان أبو علي رحمه الله اذا عبر عن معنى بلفظ ما ولم يفهمه القارئ عليه، وأعاد ذلك المعنى بلفظ غيره ففهمه يقول: هذا اذا رأى ابنه في قميص احمر عرفه، فان راه في قميص كحلي لم يعرفه»[٤].

أما ابن جني فقد كان على راس القائلين بالترادف والمدافعين عنه، إذ جعله ميزة للعربية تشُرف بها، ويراه من خصائص العربية[٥].

---

١. ينظر :مدخل إلى فقه اللغة:٢٩٤.

٢. المزهر:١:٤٠٥.

٣. الخصائص:٢:١٢٩.

٤. المصدر نفسه:٢:٤٧٠.

٥. ينظر الخصائص:٢:١١٥-١٢٥.

ويرى ابن جني في استعمال اللفظين وتساويهما في لغة العربي مرده إلى امرين:

أما إنها من لغة قومه وهو الأرجح وفائد ذلك التوسع في أوزان الشعر وسعة التصرف في بديع النثر، وفي هذا ردٌّ على من انكر الترادف زاعما انه لا فائدة منه.

وأما ان تكون احدهما لغة قومه، والثانية مستفادة من قبيلة أخرى، لكنها لصقت به لطول عهدٍ، وكثرة تكرارٍ، فتساوت مع لغته[1]

أما في غلبة احد المترادفين على الآخر في استعمال العربي فيعود إلى احتمالين: الأول: ان اللفظة الكثيرة الدوران على لسانه لغةٌ له ولقومه، والقليلة الاستعمال مستفادة من قوم آخرين. أما الثاني: فان اللفظين جميعا من لسان قومه ولكن القليلة منهما ضعيفة في نفس العربي شاذة عن قياسه[2]

أسباب الترادف:

١. الوضع اللغوي الأول: وهو ما تواضعه العرب طلباً للحاجة، وسعة تصرف أقوالها.
٢. تداخل اللهجات: أي ما تواضعت القبائل العربية من ألفاظ على معنى واحد في السان العربي، واجتمعت هذه الألفاظ لشخص واحد من هذه القبيلة أو تلك.
٣. الاقتراض اللغوي: وهي الألفاظ الوافدة على لغة العرب، مثلا: الياسمين «في العربية» والسمسق، و السِّجلاط، والرصاص «اعجمي» والصـّرفان «عربي»، الهاون «اعجمي»، والمنحاز، والمهراس «عربي»، المسطح والمربد، والجرين والمِربد «أهل البصرة ونجد»، والجوخان «فارسي».
٤. التطور اللغوي: ويدخل فيه _القلب نحو: جبذ وجذب، هجهج به وجهجه به «صاح به»

---

١. ينظر المصدر نفسه: ١:٣٧٣

٢. ينظر الخصائص:١:٣٧٣

الإبدال: نحو: سراط، و صراط، وزراط.

_كثرة استعمال الصفة وتناسي ملمحها الدقيق في الوصف يقود إلى تحولها إلى الاسم يضاف إلى الاسم الأصلي مثلا «الحسام».

_تخصيص الدلالة، مثلا«اسكاف» تدل على كل صانع، أصبحت تدل على«الخراز» أو «الخفاف».

_المجاز، وهو ما نقل عن طريق المجاز، مثلا«الوغى» الصوت في الحرب اصبح مرادفا للحرب.

آراء المحدثين العرب:

يرى الدكتور علي وافي والدكتور اميل يعقوب ان العربية تمتاز بثرائها على أخواتها السامية، بل تعد من اغنى لغات العالم بالمترادفات[1] أما إبراهيم أنيس فيرى الترادف واقعا في العربية المشتركة وفي القران الكريم، ويأتي بأمثلة على ذلك منها: آثر وفضل، وحضر وجاء، وبعث وارسل، ومثوى ومأوى، وبارئ وخالق[2] أما رمضان عبد التواب فيرى عدم صحة الإنكار جملة مع من انكر، وإنما يجب الاعتراف بان بعض ما يتوهم انه من المترادف هو غير مترادف، وان أهل اللغة قد تساهلوا في كثير من المفردات بعدها من المترادف، وهذا لا يعني إنكار المترادف كله[3] أما الدكتور حاكم الزيادي فيرى أنَّ الترادف واقعا في اللغة العربية ولا سبيل إلى إنكاره، وهو موضوع ينميه التطور ويدعمه الاستعمال ويشهد به الواقع اللغوي[4].

١. فقه اللغة وافي، :١٦٢ وفقه اللغة العربية وخصائصها، يعقوب:١٧٤

٢. في اللهجات العربية:١٧٥

٣. فصول في فقه اللغة:٣١٥

٤. الترادف في اللغة:٣٠٦

وقد اشترط بعضهم شروطا لوقوع الترادف في اللغة منها:

١. الاتفاق في المعنىٰ بين الكلمتين اتفاقاً تاماً:

فمثلاً إذا فهم العربي من كلمة «جلس» شيئاً لا يستفيده من كلمة «قعد» فهذا يُعتبر غير ترادف.

٢. الاتحاد في البيئة اللغوية: بحيث أن تنتمي الكلمتان إلىٰ لهجة واحدة أو مجموعة منسجمة من اللهجتان، إلا أنّ رمضان عبدالتواب اشترط بالكلمتين أن تنتمي إلىٰ لهجةٍ واحدة باعتبارها بيئة لغوية منفصلة أو إذا كانت ضمن اللغة المشتركة فهي لبيئة لغوية منفصلة عن اللهجات الأخرىٰ.

٣. الاتحاد في العصر: فعند قياس كلمتين بالترادف، فيجب النظر إليهما بكونهما استُعملتا في نفس العصر، أي بنظرةٍ وصفيةٍ لا علىٰ أساس النظرة التاريخية.

٤. ألا يكون أحد اللفظين نتيجة تطوّر صوت آخر: مثال «الجثل والجفل» فكلاهما النمل ، ويمكن أن تكون إحدىٰ المفردتين متطورة صوتياً عن الأخرىٰ

وبهذه الشروط حدّ المحدثون من كثرة الترادف والغلوّ فيه حتىٰ صارت المترادفات بقدرٍ مقبول حتىٰ كأنهم أدركوا الاضطراب والخلط في هذه المسألة[1].

آراء اللغويين الغربيين:

بلوم فليد: يقول إننا ندعي ان كل كلمة من كلمات الترادف تؤدي معنىٰ ثابتا مختلفا عن الأخرىٰ، لذا لا يوجد شيء اسمه ترادف حقيقي و«ستورك» يرىٰ ان كل كلمة لها تأثير عاطف، وتملك تأثيرا إشاريا، و هذا لا تجد كلمات مترادفة. و«لايبن» يقول اذا كان الترادف مرهونا بالسياق فمن غير الممكن ان تجد تعبيرين في أي لغة مترادفين. و«جود مان» يرىٰ ان اللفظين لا يمكن ان يحل احدها محل الآخر دون

---

١. الترادف في اللغة :٦٥-٦٦ ، وانظر فصول في فقه اللغة:٣٢٢

تغير الدلالة الحقيقية. و«هاري» ان اشتراط التماثل التام بين المفـردات ينفـي وجـود الترادف، ولكن قد يكون هنالك تشابه إلى حد كبير بين بعض المفردات[1].

إثبات الترادف عند المشتغلين بعلوم القران

ان إثبات الترادف عند المشتغلين بعلوم القران غير مقصود لذاته بل كـان وسـيلة عندهم في الحديث عن بعض علوم القران وإعجـازه، ولإثبـات الـترادف عنـد مـن اثبته طريقتان:

- **الأولى: الترادف في الأحرف السبعة،**

وهو الحد الأقصى المحتمل من المترادفات لكل لفظ من ألفـاظ القـران الكـريم، أي عدد الأوجه التي تقرأ بها الكلمة، وهذا يعني ان ثمـة أوجـه مـن المعـاني المتفقـة بالألفاظ المختلفة[2].

ولكن يبقى ان ننبه على انه ليس لاحد ان يستبدل لفظا بلفظ من عند نفسه، بل ان هذه الأحرف أو المترادفات وردت عن النبي (ص)، وقد عرضـها عـلى جبريـل(ع) على الوجه الذي فيه الإعجاز[3]

من تلك الأحرف التي قُرأ بها:

«كالعهن المنفوش»	«كالصوف المنفوش»	عن ابن مسعود
«مشوا فيه»	«مرّوا فيه»،«سعوا فيه»	عن أبي
«انظرونا نقتبس من نوركم»	«أخّرونا» ،«أمهلونا»	عن ابن مسعود

---

١. ينظر: علم الدلالة . احمد مختار: ٢٢٤-٢٢٧

٢. ينظر البرهان في علوم القران: ١:٢٢٠، والجامع لأحكام القران: ١:٤٢

٣. المحرر الوجيز لابن عطية: ١:٦٠-٦١

«طعام الأثيم»	«طعام الفاجر»	ابن مسعود
«ساوىٰ بين الصدفين»	«...بين الجبلين» في لهجة تميم	ابن مسعود
«أصوب قيلا»	«أقوم قيلا» «أهيأ قيلا»	عن انس بن مالك عن النبي(ص)

- **الثانية: الترادف من حيث التوكيد ويقسم على قسمين:**

اللفظي، وهو تقرير معنىٰ الأول بلفظه أو مرادفه. ومثاله:

«فجاجا سبلا»	الانبياء:٣١
(ضيقا حرجا»	الانعام:١٢٥
(غرابيب سود»	فاطر:٢٧

أما المعنوي فقد ذكره الزركشي، وذكر انه يحسن بالواو أو بأو التي نابت عن الواو، أو بثم الذي أجازه الفراء[1].

مثال ذلك:

(فلا يخاف ظُلما ولا هضما»	طه:١١٢
(لا تبقي ولا تذر»	المدثر:٢٨
(شرعةً ومنهاجا»	المائدة:٤٨
(إنا أطَعنًا سادَتَنا وكُبَراءَنا»	الأحزاب:٦٧
(عذرا أو نذرا»	المرسلات:٦
(نشوزا أو اعراضا»	النساء:١٢٨
(استغفروا ربكم ثم توبوا اليه»	هود:٥١

١. ينظر البرهان:٢:٤٧٦

أما الأمر الآخر فهو النظر إِلىٰ المترادف علىٰ انه احد أنواع المتشابه في القران الكريم، وهذا ما يتضح في إيراد القصة الواحدة في صور شتىٰ وفواصل مختلفة.

(ما ألفينا عليه آباءنا»	البقرة	«وجدنا..... »	لقمان
(فانفجرت»	البقرة	(فانبجست»	الأعراف
(فأزلهما الشيطان»	البقرة	(فوسوس لهما الشيطان»	الأعراف
أنّىٰ يكونُ لي ولدُ»	آل عمران	أنّىٰ يكونُ لي غلامُ	مريم
ويوم يُنفخ في الصور ففزع»	النحل	(.........فصعِق	الزمر

فالذين اثبتوا هذه الظاهرة في القران واستدلوا بتلك الآيات القرآنية دعتهم الحاجة إِلىٰ فهم النص القرآني وتفسير مفرداته وتقريب معانيه وتوضيح الغامض من ألفاظه.

ومن المحدثين الذين ذهبوا إِلىٰ الإقرار بوجود الترادف القران الكريم الدكتور صبحي الصالح، إذ يرىٰ ان القران نزل بلغة قريش المثالية يجري علىٰ أساليبها وطرق تعبيرها، وقد أتاح لهذه اللغة طول احتكاكها باللهجات العربية الأخرىٰ اقتباس مفردات تملّك أحياناً نظائرها ولا تملك منها شيئاً أحياناً أخرىٰ، حتىٰ إذا أصبحت جزءاً من محصولها اللغوي فلا غضاضة أن يستعمل القرآن الألفاظ الجديدة المقتبسة إِلىٰ جانب الألفاظ القرشية الخالصة القديمة[1].

- **أما من انكر الترادف في القران**

فتفاوتت مقولاتهم فمنهم من يرىٰ أنّ ثمة ألفاظاً أحسن من ألفاظ، ومعناها في اللغة واحد، وهو بذلك لا ينكر الترادف، وإنما يؤثر بعض الألفاظ علىٰ بعض، فالإنكار هنا في تساوي الفصاحة لا المعنىٰ. وبهذا يرىٰ الزركشي أن من فصاحة القرآن اختلاف الكلام باختلاف المقام فلكلّ موضع ما يليق به ولا يحسن بمرادفه.

و منهم من يتحرّج من القول بالترادف في بعض الألفاظ في كتاب الله يؤثر

١. دراسات في فقه اللغة:٢٩٩.

الفروق بين ما يُظنُّ من المترادفات كالفرق بين الخوف والخشية.

وفريق ثالث يُنكر الترادف إنكاراً تاماً، مثل ابن الأعرابي الذي بينا رايه من قبل، والأصفهاني الذي ذكر في مقدمته أنه يهدف بكتابه أن يحقّق من الألفاظ المترادفة على المعنى الواحد وما بينهما من الفروق الغامضة[1].

ومن العلماء الذين أنكروا بنت الشاطئ، فهي تنكره باللغة العربية وأيضاً في القرآن ما لم يكن الترادف ناتجاً عن اختلاف اللغات أو القرابة الصوتية[2] وكذلك كان للدكتور عفيفي محمود عفيفي رأياً بذلك، فقد أثبت بالأدلّة العلمية أنه لا ترادف بين ألفاظ البصر والنظر والرؤية وأنّ لكلّ منها مجال استعمال محدّد في القرآن الكريم[3].

- **أمثلة للألفاظ مترادفة في القرآن الكريم:**

- أتى، جاء:

أتى وجاء: يذكر ابن فارس في الإتيان أنه يدلّ على مجيء الشيء وصاحبه وطاعته[4] وفي لسان العرب جاء بمعنى الإتيان، والإتيان بمعنى جاء[5] أي أنه لم يفرّق بينهما، والأصفهاني يقول: الإتيان المجيء بسهولة ويقال للمجيء بالذات وبالأمر وبالتدبير[6]. ويرى كذلك أنّ المجيء أعمّ و الإتيان قد يقال باعتبار القصد، وإن لم يكن منه الحصول، والمجيء يقال اعتباراً للحصول، وبهذا وردتا في القرآن، بقوله تعالى ((إذ قال لأهله إني آنستُ ناراً سآتيكم منها بخبرٍ أو آتيكم بشهابٍ قبسٍ لعلّكم تصطلون، فلما جاءها نودي يا موسى...)). سورة النمل:٧-٨

١. المفردات في غريب القرآن:٦

٢. الإعجاز البياني ومسائل ابن الأزرق:١٩١

٣. ينظر: مقالته «أسرار بيولوجية في ألفاظ قرآنية" نشرت في مجلة منار الإسلام الإماراتية عدد جمادى الأولى ١٤١٩هـ.

٤. مقاييس اللغة:١:٤٩(أتى.

٥. لسان العرب: (جيء. و(أتي.

٦. المفردات: (أتي.

وتعليقاً على هذه الآية ذكر محمد المنجد أنّ الإتيان تحيط به ثلة من معاني الغموض «الشك والجهل وعدم القصد» والمجيء تحيط به معاني العلم واليقين وتحقّق الوقوع والقصد[1].

ومن خلال رأيه نجد أنه ذكر في الآية في بدايته «سآتيكم» قبل الوصول إلى النار لأنه لديه شك بالوصول والحصول على شهابٍ قبس ثمّ بعد الوصول إليها قال الله تعالى «جاءها» أي تحقّق اليقين بالوصول إليها

وكذلك في قوله تعالى: ((قال إن كنتَ جئتَ بآيةٍ فأتِ بها إن كنتُ من الصادقين» سورة الأعراف:١٠٦ فالمجيء بالآية ذُكر بحقّ موسى عليه السلام وما من شكّ أنه كان مستيقناً من تلك الآية، أما الإتيان بها فكان طلباً من فرعون على وجه التحدي وذلك يدلّ على شكٍّ في نفس فرعون [2] وقوله تعالى: «ولا يأتونك بمثلٍ إلا جئناك بالحقِّ وأحسن تفسيراً» كانت المقابلة بالإتيان بالمثل وبالمجيء بالحق، ومقابلة المثل بالحق، تدلُّ على أنّ المثل باطلٌ وهذا الضلال أصله الجهل بينما الحق علمٌ ويقين[3].

وقوله تعالى: ((ولولا أجلٌ مسمّىً لجاءهم العذاب وليأتينهم بغتةً» سورة العنكبوت:٥٣ فمجيء العذاب أمرٌ محقّق، أما وقت التنفيذ فغيبٌ مجهول[4].

- **آنس، أبصر، رأى، نظر**
- **آنس:**

يقول ابن فارس: «الهمزة والنون والسين أصلٌ واحد وهو ظهور الشيء، وكلّ شيءٍ خالف طريقه التوحّش»[5] ويرى الراغب الأصفهاني، في قوله تعالى ((فإن آنستم منهم رُشدا))[٨٤] أنه بمعنى أبصرتم أُنساً بهم[6]. وبهذه الآية يقول ابن

١. الترادف في القرآن:٢:١٤٦
٢. الترادف في القرآن:٢:١٤٨
٣. نفس المصدر:٢:١٤٩
٤. الترادف في القرآن :٢:١٥٠
٥. مقاييس اللغة (أنس. :١:١٤٥
٦. المفردات :(أنس.

حيان: «إن آنستم أي أحسستم، والنار علىٰ بُعد لا تُحسّ إلا بالبصر، و الإيناس أعـمّ من الرؤية، لأنك تقول: «آنستُ من فلانٍ خيراً»[1].

وذكر محمد المنجد في كتابه أنه يميل إِلىٰ أنّ الإيناس إحساس بـما يـؤنس بـه، قـد يكون هذا الإحساس عن طريق حاسة البصر أو عن غيرها[2] وبـذلك اتبـع رأي أبي هلال العسكري[3].

- **أبصر**

يقول ابن فارس: «الباء والصاد والراء: أصلان: أحدهما العلـم بالشيـء وأصـل ذلك كلّه وضوح الشيء، ويقال: بصرتُ بالشيء إذا صرتُ به بصير «عالماً» وأبصرته إذا رأيته»[4]. والأصفهاني يقول «إنّ البصـر يقال للجارحة وللقوة التي فيها»[5]. ويبيّن محمد المنجد أنّ الإبصار قوة في العين تنقل صورة الأشياء فيدركها العقل، وتلك هي الرؤية، ثم يحصل العلم بالمرئي، فكأنها مراحل متتابعة، والإبصار مرحلة مـن تلـك المراحل[6].

- **رأى:**

يقول ابن فارس: «الراء والهمزة واليـاء أصـلٌ يـدلّ عـلىٰ نظـر وإبصـار بعـينٍ أو بصيرة، فـالرأي مـا يـراه الإنسـان في أمـره... والرِّئـي مـا رأت العـين مـن حـالس حسنة»[7]. ومن قول ابن فارس استدلّ أنّ الـرأي والإبصـار لديـه مترادفـان، لكـن حسب المراحل التي ذكرها محمد المنجد، نجـد أنّ الـرأي غـير الإبصـار لأنّ الرؤيـة مرحلة بعد الإبصار الحسي، فهو يدلّ علىٰ الإدراك.

---

١. البحر المحيط:٦:٢٣٠
٢. الترادف في القرآن :٢:١٨١
٣. الفروق اللغوية:٢٩
٤. مقاييس اللغة (بصر. :١:٢٥٣
٥. المفردات :(بصر.
٦. الترادف في القرآن:١٨٢
٧. مقاييس اللغة(بصر. :١:٣٥٢

▪ **نظر:**

ورد توضيحه عند اللغويين بانه عبارة عن تقليب الحدقة نحو المرئي التماساً لرؤيته، ولما كانت الرؤية من توابع النظر ولوازمه غالباً أجري لفظ النظر على الرؤية على سبيل إطلاق اسم على المسبب[1]. ويذكر الأصفهاني أنه يراد به التأمل، كما في قوله تعالى: «قل انظروا ماذا في السماوات» سورة يونس:١٠١ أي تأمّلوا[2]. ويبيّن أبو حيّان في تفسيره لقوله تعالى: «قال ربّ أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقرّ مكانه فسوف تراني» سورة الأعراف:١٤٣

أرني بمعنى اجعلني متمكناً من الرؤية التي هي للإدراك، علمٌ أنّ الطلب هو الرؤية لا النظر الذي لا إدراك معه، فقيل: لن تراني ولم يقللن تنظر إليّ[3].

وبذلك تتبع رأي محمد المنجد بأنّ لفظ «آنس» له خصوصية لا نجدها في رأى وأبصر ذلك لأنّ الرؤية والإبصار عاماً في كلّ ما يظهر للعيان فالإبصار: قوة في العين والرؤية: دالّةٌ على الإدراك[4].

هذا الأمر يلزمنا الاعتناء بالمفردة القرآنية وتركيبها واستعمالها في اللسان العربي بما يُشرف السياق ويجلو الحكمة لا حسبما يقال دائما أنّه جرى على ألسنة العرب من شواذّ ومن تخريجات وتقديرات، فالرحيم ليس الرحمن، والكافر ليس المشرك، بل «الذي كفر » ليس هو «الكافر»، و«الذين أشركوا» ليسوا «المشركين» وعلى هذا لكل كلمة في السياق القرآني لها موقع خاص وغرض معلوم لان ميزة الترادف تفرض المساواة بحيث يصح لنا إبدال كلمة مكان أخرى وهذا غير جائز في القران الاعتقاد بحكمة النسيج القر آني على مستوى فرادة مفرداته ومواقعها وتراكيبها.

---

١. مقاييس اللغة(نظر. :٥:٤٤٤ وانظر المفردات (نظر. والفروق اللغوية:٨٦

٢. المفردات(نظر.

٣. البحر المحيط:٤:٣٨٣

٤. الترادف في القرآن:١٨١-١٨٣

- **ثالثا : المشترك اللفظي والأضداد :**

عُني اللغويون بالمشترك اللفظي عنـايتهم بظـاهرة الـترادف، دون ان تثـار حولـه خصومات كتلك التي أوردناها عند دراستنا للـترادف، وبـدو ان ورود أمثلـة مـن المشترك اللفظي في القران دفعت باللغويين والمفسرين ودارسي الإعجاز والبلاغة إلى الاحتفاء به ودراسته، بل عُدّ واحدا من وجوه إعجاز القران [1].

والمشترك اللفظي هو ما اتفق لفظه وأختلف معناه أي ان المباني مترادفة والمعـاني مختلفة، وقد ذكر سيبويه المشترك اللفظي في الكتـاب، إذ يـرى مـن كلامهـم اتفـاق اللفظين واختلاف المعنيين [2].

- **ومن الكتب التي عنيت بهذه الظاهرة :**

«كتاب الوجوه والنظائر» لمقاتل بن سليمان البلخي«١٥٠»

«كتاب الوجوه والنظائر» لهارون بن موسى الأزدي«١٧٠»

«ما اتفق لفظه وأختلف معناه من القران المجيد» للمبرد«٢٨٥»

«الأشباه والنظائر في الألفاظ القرآنية التـي ترادفـت مبانيهـا وتنوعـت معانيهـا» للثعالبي «٤٢٩»

«الأجناس من كلام العرب وما اشتبه في اللفـظ واختلـف في المعنـى» لابي عبيـد القاسم بن سلام«٢٢٤».

ومن الكتب التي عنيت بدراسة اللغة العربية كتـاب«مـا اتفـق لفظـه وأختلـف معناه» لابي العميثل الأعرابي «٢٤٠» ويضم هذا الكتـاب ثلاثمئـة كلمـة، وكتـاب «النجد فيما اتفق لفظه واختلف معناه» لكراع النمل «٣١٠»، ويضم تسعمئة كلمـة «ينظـر علـم الدلالـة:١٥٢»، وكتـاب «مختصـــر الوجـوه في اللغـة» للخـوارزمي

---

١. ينظر علم الدلالة احمد مختار عمر:١٤٨

٢. الكتاب:١:٢٤.

الكاتب«٣٨٧»، وهذا الكتاب هو اختصار لكتاب يقع في الفي ورقة لإسحق بن محمد الذي جمعه من كتاب الوجوه للأصمعي، والعين للخليل والمواقيت لغلام ثعلب والجمهرة لابن دريد الأزدي.

ولقد اقر اغلب اللغويين بوقوع المشترك ومن هؤلاء سيبويه، وابن فارس في باب«الأسماء كيف تقع على المسميات»، بان الأشياء الكثير تسمى بالاسم الواحد، والى ذلك ذهب الثعالبي في فقه اللغة وسر العربية، إذ أورد جملة من الأمثلة في فصل «وقوع اسم واحد على أشياء مختلفة».

أما من ذهب مذهبا مغايرا، وجعل من المشترك اللفظي ليس بظاهرة عامة ابن درستويه عبدالله بن جعفر«٣٤٧»، فهو ينكر ان يكون المشترك اللفظي موضوعا في الأصل، لما في ذلك من الإلباس، فلو جاز ان نضع لفظ واحد للدلالة على معنيين مختلفين أو احدها ضد الآخر لما كان ذلك إبانة بل تعميه وتغطية، فاللغة موضوعة للإبانة عن المعاني. والذي يرد منه قليل نادر، ولعله يأتي في لغتين متباينتين أو لحذف وقع في الكلام حتى اشتبه اللفظان وخفي سبب ذلك على السامع[١].

والى ذلك ذهب أبو علي الفارسي «٣٧٧» حين ذكر ان اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين ينبغي إلا يكون قصدا في الوضع ولا أصلا، ولكنه من لغات تداخلت أو تكون كل لفظة تستعمل بمعنى، ثم تستعار لشيء، فتكثر وتغلب، فتصير بمنزلة الأصل[٢].

ويبدو أن وجود المشترك اللفظي بما له من خصائص في وضعه واستعماله في السياق، كان يوهم بعض الذين انكروه بأن في ذلك مفسدة لا تجوز ان تصدر عن واضع واحد، وهذا الرأي عائد إلى ان اللغات توقيفية.

أما الذين أقروه، فقد ذكروا أنه ممكن الوقوع لجواز أن يقع من واضعين، بأن

١. المزهر:١:٣٨٥.

٢. دراسات في فقه اللغة، صبحي الصالح:٣٠٤.

يضع أحدهم لفظا لمعنى، ثم يضعه الآخر لمعنى الآخر[1].

- **أسباب وقوع المشترك اللفظي:**

الاقتراض اللغوي: كأن تكون اللفظة المقترضة تشبه في لفظها كلمة عربية، لكنها ذات دلالة مختلفة، ومن ذلك كلمة «سور»، وهي في لغة العرب تعني الحائط، وفي لسان العجم تعني الضيافة، وبهذا المعنى وردة على لسان النبي(ص) حين قال: «يا أهل الخندق، قوموا فقد صنع جابر سورا» أي طعاما. وكذلك لفظة «حُب» في العربية تعني الوداد وفي الفرسية تعني الجرة.

القلب والإبدال يكونان سببا في وجود المشترك اللفظي. أي اتفاق كلمتين كانتا في الأصل مختلفتين، ثم حدث تطور فيهما فتحدت صورتهما اللفظية، كلفظة «حنك» التي تدل على السواد، وهي متطورة من «حلك» أي شدة السواد، قلبت فيه اللام نونا فهذه الكلمة تطابقت مع «حنك» الأصلية التي تدل على ما تحت الذقن من الإنسان.

التطور الدلالي عن طريق المجاز: فقد تنبه القدماء إلى ذلك حينما وقفوا على أشياء كثير منها:

العين، الجاسوس، الربيئة«الذي يرقب القوم»، الحر، سيد القوم، واحد الأخوة الأشقاء، هذا في باب التشبيه، أما في غيره، فيقولون: العين: هي الدينار، و اعوجاج في الميزان، وعين القبلة، ومطر ايلم كثير لا يقلع، وعين الركبة، وسحابة تأتي من جهة القبلة.

ومن ذلك «الهلال» :هلال السماء، و هلال الصيد، وقطعة الرحى.[2]

ولاشك في ان للمشترك اللفظي أثرا في تنمية ألفاظ اللغة العربية فهو يلبي الحاجة المتجددة للدلالة على معان تتولد باستمرار، وبات من الواضح ان أهل اللغة يميلون إلى التعبير عن المعاني المتعددة بكلمة واحدة لما لذلك من اقتصاد في بذل

---

١. ينظر المزهر:١:٣٦٩.

٢. المزهر:١:٣٧٢

الجهد، فضلا عن ان اللفاظ محدودة قاصرة عن الوفاء بمطالب التعبير ولا سيما في الأفكار المجردة [1]

أما الأضداد فهو نوع من المشترك اللفظي ويتصل به اتصالاً وثيقاً، لانَّ المشترك اللفظي يقع على شيئين ضدين وعلى مختلفين غير ضدين، فالذي يقع على الضدين: الجون، والجلل[2].

وقد اهتم اللغويون بهذه الظاهرة كونها ترد في القران الكريم، لذلك سعى بعضهم إلى بيان مقاصدها وتوضيحها لمن لا يعرف أسرار العربية، وفي ذلك ردٌّ على الشعوبيين الذي يرمون العرب بكل نقيصةٍ.[3]

إن لمعرفة متناكر الدلالة خيارين مشروعين، يمكن أن نأخذ بأحدهما دون الآخر:

الأول: يقتضي ان يكون مجيئه متغايرا بسبب الواضع على اختلاف، ونعني بالواضع مجموعة أشخاص، فالذي عناه الأول بالجون عناه الثاني ولكن على خلاف في التخصيص، والمقصود عند الطرفين هو اللون ولكن التغاير أو التضاد حاصل في تخصيص اللون، فهو عند الأول ابيض وعند الثاني اسود. أما معرفتنا بقصد المتكلم، يكون الجواب هو ان كلام العرب يصحح بعضه بعضا، ويرتبط أوله بأخره، ولا يعرف معنى الخطاب إلا باستيفائه واستكمال جميع حروفه...[4].

الثاني: إذ يحمل على محل التورية في التعبير بمقتضى حكمة الواضع الذي شاء أن يكون هذا الضرب ضربا للترميز إلى ما يخشى عليه من خصمٍ أو حسدٍ أو نَشْرٍ ما كان متفقا على كتمانه، ناهيك بما لهذا الضرب البلاغي من نكتة لطيفة تقتضي التعبير عن الشيء السّيّء بالحسن، والأسود بالأبيض، والأعمى بالبصير، والجاهل بالعالم،

---

١. المدخل إلى فقه اللغة:٢٨٦.

٢. ينظر المزهر :١:٢٨٧

٣. ينظر مقدمة ابن الأنباري في كتابه الأضداد

٤. ينظر كتاب الاضداد:٢

وربما يكون أساس وضعه بقصد التفاؤل بإصلاح الشيء[1].

- **الكتب المصنفة في الأضداد**

من صنف تحت عنوان الأضداد

محمد بن المستنير «قطرب» «٢٠٦هـ»

أبو زكريا، يحيىٰ بن زياد الفراء «٢٠٧هـ»

أبو عبيدة معمر بن المثنىٰ «٢١٠هـ»

أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمعي «٢١٦هـ»

أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي «٢٢٤هـ»

أبو محمد عبدالله بن محمد التوزي «٢٣٣»هـ

أبو يوسف يعقوب بن إسحاق، ابن السكيت «٢٤٤هـ»

أبو حاتم سهل السجستاني «٢٤٨هـ»

أبو العباس احمد بن يحيىٰ ثعلب «٢٩١هـ»

أبو بكر محمد بن القاسم بن الأنباري «٣٢٨هـ»

أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي «٣٥١هـ»

أبو الحسن بن فارس بن زكريا الرازي«٣٩٥هـ»

أبو البركات عبد الرحمن بن الأنباري«٥٧٧هـ»

- **أما من صنف في إبطال الأضداد:**

ابن درستويه أبو محمد عبدالله بن جعفر بن محمد «٣٤٧هـ» الذي يؤمن بقدسية اللغة وحكمة واضعها وهو الله عز وجل، وأنه لا يمكن أن يضع الحكيم العليم ألفاظاً تكون سببا في الإلباس والتعمية، يقول: «ليس إدخال الإلباس في الكلام من الحكمة والصواب، وواضع اللغة عز وجل حكيم عليم، وإنما اللغة موضوعة للإبانة عن المعاني، فلو جاز وضع لفظ واحد للدلالة علىٰ معنيين مختلفين، أو أحدهما ضدّ

١. ينظر :قول أبي حاتم السجستاني في كتاب الاضداد:٩٩

الآخر، لما كان ذلك إبانة بل تعميه وتغطية»[1].

الحسن بن بشر المعروف بالآمدي(«٣٧٠هـ»)، فقد ذُكر له كتاب عنوانه «الحروف الأصول في الأضداد»، إذ سلك فيه سبيل ابن درستويه، وكان من متابعيه حتىٰ في منهجه الذي سعىٰ من ورائه إِلىٰ إبطال الأضداد، إذ كان يرجع معنيي الضد إِلىٰ معنىٰ واحد يصلح ان يكون أصلاً لكلا المعنيين، يقول«وأما ما ذكر من أن «دون» تأتي بمعنىٰ خلف وأمام، وأنها عند أهل العربية من الأضداد، مثل «وراء»، فقد أخبرتك أن معناها عند أهل اللغة «التقصير عن الغاية »، واذا كان الشيء وراء الشيء أو أمامه أو يمنة أو شأمة، صلح في ذلك كله ان تقول: هو دونه.....فليس هذا من الأضداد في شيء وإنما جعلها قوم من الأضداد لما رأوها تستعمل في هذه الوجوه لما فيها من الإبهام، وكذلك «وراء» إنما هي من المواراة و الاستتار، فما استتر عنك فهو وراء، خلفك كان أم قدامك... »[2].

إن المدقق في نصي ابن درستويه والآمدي يرىٰ بحثهما يقوم علىٰ أصول الكلمات في وضعها الأول، وليس إِلىٰ ما ألت اليه فيما بعد، وهذه النظر تنسجم مع ما يسنىٰ حديثا بالمنهج التأريخي.

وهذا الإنكار حمل جماعة من اللغويين علىٰ الردِّ والقول بالتضاد، ومنهم ابن فارس الذي قال: «وأنكر ناس هذا المذهب وأن العرب تأتي باسم واحد لشيءٍ وضده...وهذا ليس بشيء، وذلك أن الذين رووا أن العرب تُسمي السِّيف مهنداً، والفرس، طرفاً، هم الذين رووا أن العرب تسمي المتضادين باسم واحدٍ، وقد جردنا في هذا كتابا ذكرنا فيه ما احتجُّوا به وذكرنا ردَّ ذلك ونقضه»[3].

وثمة من يرىٰ أن الشعوبيين الذين كانوا يزرون بالعرب ويرمونهم بكل نقيصة

---

١. المزهر:١:٣٨٥

٢. الصاحبي في فقه اللغة:٦٦-٦٧

٣. المصدر نفسه:٦٦-٦٧.

هم الذين قالوا، بعدما وقفوا على الأضداد، إن لغة العرب خاليةُ من الحكمة ومفتقرةٌ إلى الدقة والبلاغة في إطلاق الألفاظ وتحديد المعاني، وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم ابن الأنباري في كتابه الأضداد «أهل البع والزِّيغ والإزراء بالعرب»[١] والواضح من هذا ان ابن الأنباري يريد ان يثبت حقيقة الأضداد والوجوه التي تنصرف إليها ليجيب عن الحجج التي أبداها الشعبيون، يقول: «لا يراد بها حال التكلم والإخبار إلا معنى واحد فمن ذلك:

كلُّ شيءٍ ما خلا الموتَ جلَل والفتى يسعى ويُلهيه الأمل

فدل ما تقدم قبل جلل وتأخر بعده على أن معناه: كلّ شيءٍ ما خلا الموت يسير ولا يتوهم ذو عقل وتمييز أن«الجلل» ها هنا معناه «عظيم»[٢].

وعلى هذا الاعتبار ففكرة التضاد تجيء نتيجة للتطورات الحاصلة من الاستعمال والدلالات الجديدة، لذلك تعد دراسة الأضداد، كالمجاز، من الموضوعات اللغوية التي يجب ان تدرس من ناحية الدلالة التاريخية، وبهذا يمكن ان نردّ كثيرا مما عُدَّ من التضاد إلى هذه الحقيقة في التطور والاستعمال، واذا ما رجعنا إلى الألفاظ التي اشتهرت بالضدية، ندرك حقيقة هذا التطور الذي أفاد اللغة توسعا وشمولا[٣].

- **أسباب نشأة الأضداد**

ما جرى بالوضع/ أي ان اصل الأضداد جرى بالوضع الأول للدلالة على معنيين متضادين، و هذا رأي ضعيف لم يقبله اللغويون كونه لا يتفق وقوانين تطور الدلالة.

اختلاف اللهجات/ ويشترط في ذلك ان يكون استعمال اللفظ في لغة واحدة «أي لهجة واحدة»، ويقوا ابن دريد: الشِّعب: الافتراق، والشِّعب: الاجتماع، وليس من

---

١. الاضداد:١

٢. الاضداد:٢

٣. في فقه اللغة العربية، محمد فريد عبدالله:٣٤٦-٣٤٧

الأضداد، وإنما هي لغة قومٍ [1].

الاقتراض اللغوي/ وهذا ليس بكثير في لغة العرب، ومثال ذلك كلمة «بَسّل» المستعارة من العبرية والآرامية وتدل فيهما على غير الصالح أو غير الجائز، وبذلك غدت تدل على الحلال كما هي في العربية وعلى الحرام بعد الاقتراض. [2]

جوانب صوتية/ من ذلك اتحاد كلمتين في صيغة من الصيغ يثير دلالة ضدية، مثل: ضاع: اختفى وظهر وضاع في الأصل جاءت من اصلين: ضيع: اختفى وضوع: ظهر فانقلبت الياء والواو إلى الفٍ، فأصبحت: ضاع.

ومثله في الإبدال / لمق: المحو و الإثبات، والأصل فيهما: لمق: محا.... نمق: كتب. فأبدلت النون لاما.

ومثله في القلب الكاني/ قالوا: تلحلح: أقام وذهب، فأن المعنى الثاني في الأصل لكلمة أخرى هي: تحلحل، ثم حدث قلب مكاني فقدمت اللام وأخرت الحاء.

الصيغة الصرفية / استعمال صيغة فعيل للفاعل وللمفعول نحو «الغريم» للدائن والمدين. و«القنيص» للقانص والمقنوص.

ما تبعثه العوامل النفسية والاجتماعية/ ما اطلق تفاؤلاً نحو: القافلة إذ تطلق على الجماعة الذاهبة مع ان الأصل هو إطلاقها على الراجعة من السفر، وكذلك كلمة «السليم» للديغ، و«المفازة» للصحراء والقياس «المهلكة»

ما اطلق لأجل التأدب، مثل كلمة«بصير» للأعمى و«المولى» للعبد.

ويلاحظ ان الخوف والحسد يدفعان إلى استعمال كلمات تصف الجميل بالقبح والحسن بالبشاعة، ومن ذلك إطلاق كلمة «بلهاء»على المرأة كاملة العقل، مع ان البله نقصان في العقل. وإطلاق لفظة الأعور على الحديد البصر، وهو في الأصل لمن

---

١. المزهر:١:٣٩٦

٢. علم الدلالة، احمد مختار:٢٠٥

ذهبت احدىٰ عينيه[1].

وما يستعمل للتهكم كقوله تعالىٰ ((فبشرهم بعذاب أليم))

وما يترشح عن الاستعمال المجازي، فكلمة «الناهل» تطلق علىٰ العطشان والريان علىٰ ما سيكون، لان الناهل هو العطشان الذاهب إِلىٰ الشراب.

وهناك إضافة إِلىٰ ما ذكر عوامل ترجع إِلىٰ سبل التطور الدلالي كالتخصيص، كلفظة «طرب» التي تخصصت بالدلالة علىٰ الفرح، وكذلك لفظة «المأتم» للنساء المجتمعات في الحزن.

- **رابعاً :المعرب والدخيل**

ومن سبل نمو الثروة اللغوية اللفظية المعرب والدخيل، لانهما يضيفان إِلىٰ اللغة عن طريق الاقتراض ألفاظا لم يكن الأهل اللغة بها عهد من قبل، ومسألة الاقتراض اللغوي امر مسلم به، لأنه يمثل ظاهرة إنسانية عامة تقوم علىٰ تبادل التأثير والتأثر[2].

فالمعرب هو لفظٌ استعارته العرب الخلص في عصر ما من أمة أخرىٰ، واستعملوه في لسانهم، أي وضع في الصيغ والقوالب العربية.

أما الدخيل فهو لفظ أخذته العرب من غيرها من الأمم، دون تغييرٍ في وزنه، وقد يلحقه تحريفٌ طفيف في النطق[3].

ويبدو أن سبب هذا الاقتراض الذي لم يأتي غالبا عن طريق الاختلاط، وإنما عن

---

١. ينظر فصول في فقه اللغة:٣٥١

٢. دراسات في فقه اللغة:، صبحي الصالح ٣١٥

٣. ينظر فقه اللغة، علي وافي:١٩٩

طريق التجارة ورحلة الشعراء والزعماء في زمن متقدم عن الفتوحات الإسلامية. لذلك نلحظ كثيراً من الكلمات المعربة والدخيلة في الشعر الجاهلي، علما ان المستعمل من هذه الألفاظ المعربة له نظائر في لغة العرب لكن استعمالها جاء لأسباب عدَّةٍ منها ما يتعلق بطبعة اللفظ كخفته وكثرة دورانه في الاستعمال ولاسيما في لغة الشعراء ذات الانتشار الواسع بين القبائل.

- **المعرب في القران الكريم**

ذكر ابوعبيد القاسم بن سلام أن الناس اختلفوا في لغات العجم الواردة في القران «سجيل، المشكاة، اليم، الطور، أباريق، استبرق» فذهب فريق إلى أن فيه أحرفا «كلمات» كثيرة بلغات العجم، على حين ذهب الفريق الآخر إلى ان القران ليس فيه من كلام العجم شيء، ومن أدلتهم: قوله تعالى «قرآنا عربيا» و«بلسان عربي مبين».

و قوله تعالى: «وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ. عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ. بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ } [الشعراء / ١٩٢ – ١٩٥].

وقوله تعالى: { وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْماً عَرَبِيّاً } [الرعد / ٣٧].
وقوله تعالى: { وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِيّاً } [الشورى / ٧].
وقوله تعالى: { إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } [الزخرف / ٣].

وقوله تعالى: { قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ } [الزمر / ٢٨]. ومنهم: الفقيه الأصولي الإمام محمد بن إدريس الشافعي «ت٢٠٤هـ ـ ٨٢٠م»، إمام فقه اللغة أبو عبيدة «ت٢١٠هـ ـ ٨٣٥م»، المفسر والمؤرخ ابن جرير الطبري «ت٣١٠هـ ـ ٩٢٣م»، والقاضي أبو بكر، وابن فارس[1] وقال الإمام الشافعي – بعد أن ساق

١. الإتقان في علوم القران:١٣٧

الآيات السابقة: «فأقام حجته بأن كتابه عربي في كل آية ذكرناها، ثم أكد ذلك بأن نفى عنه جل ثناؤه كل لسان غير لسان العرب في آيتين من كتابه، فقال تبارك وتعالى: { ولقد نعلم انهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين } [النحل / ١٠٣]، وقال: { ولو جعلناه أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته ءاعجمي وعربي } [فصلت / ٤٤][1].

وذهب فريق ثالث إلى تصديق القولين معا، لان هذه الكلمات أصولها أعجمية، إلا إنها دخلت العربية فحُوّلت عن ألفاظ العجم إلى ألفاظ العرب، فصارت عربية، ثم نزل القران وقد اختلطت هذه الكلمات بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال إنها أعجمية فهو صادق، فهي باعتبار الأصل، عربية باعتبار الحال[2]، ونقل السيوطي عن ابن النقيب انه قال: « من خصائص القران على سائر الكتب المنزلة أنها نزلت بلغة القوم الذين أُنزِلت عليهم، ولم ينزل فيها شيءٌ بلغة غيرهم، والقران احتوى على جميع لغات العرب، وانزل فيه بلغات غيرهم من الروم والفرس والحبشة شيءُ كثير»[3]ومن أصحاب هذا الرأي أبو عبيدة القاسم بن سلام «ت ٢٢٤هـ ـ ٨٣٨ م » الذي قال: والصواب عندي ـ والله أعلم ـ مذهب فيه تصديق القولين جميعاً، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء، لكنها وقعت للعرب، فعربتها بألسنتها وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها فصارت عربية، ثم نزل القرآن وقد اختلطت هذه الحروف بكلام العرب، فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال إنها أعجمية فهو صادق، وقد مال إلى هذا القول الجواليقي وابن الجوزي وآخرون. وهذا المذهب قد جمع بين القولين، فهو يقول: إن وجود بعض الألفاظ الأعجمية لا يُخرجه عن كونه عربيّاً ؛ لأنها قليلة، والعبرة للأكثر، وأن هذه الألفاظ هي أعجمية في الأصل، عربية بالاستعمال والتعريب.

١. الرسالة الإمام الشافعي : ٤٦، ٤٧
٢. المزهر:١:٢٦٩
٣. الإتقان في علوم القران:١٣٧

ومهما يكن من شيء فان الدراسة لهذا الضرب من الكلمات تفصح عن معرفة بعض علماء اللغة بكثير من الألفاظ الأجنبية التي دخلت إلى اللغة العربية، وأن بعضهم أشار إلى خصائص صوتية تتعلق ببعض اللغات المجاورة، مما يدل على معرفتهم بتلك اللغات، وقد انتهى القدماء إلى ان عجمة **الاسم تعرف بوجوه:**

النقل، بأن يُنقل ذلك احد أئمة العربية.

خروجه عن أوزان العربية، نحو«إبريسم» فان هذا الوزن مفقود في ابنيه الأسماء في اللسان العربي.

أن يكون أوله نون ثم راء، نحو «نرجس» فان ذلك لا يكون في كلمة عربية.

أن يكون آخره الزاي بعد الدال نحو«مهندز » فان ذلك لا يكون في كلمة عربية.

أن يجتمع فيه «الصاد»و «الجيم» نحو: الصولجان، والجص.

ان يجتمع فيه «الجيم» و«القاف» نحو: المنجنيق، والجوسق«القصر»

ان يكون رباعيا أو خماسيا خاليا من حروف الذلاقة«الباء، والراء، والفاء، واللام، والنون، والميم»، فانه متى كان عربيا، فلابد ان يكون فيه شيء منها، نحو«سفرجل».

والخلاصة أنك تجد ان بعض الكلمات الأعجمية التي وفدت على لغة العرب أخذت أوزان كلماتها وهيأة حركاتها لتشاكلها وتماثلها وتأتلف معها، وما كان منها ثقيل عند تعريبه، مُنع من الصرف «التنوين» حتى لا تزيد حرفه حرفا على المنطق[1].

والعربية في باب الاشتقاق لم تحجم عن المعرب والدخيل، لان الأخير قلَّ ان يبقى على حاله وهكذا يصير بعد تعريبه أصلا من أصول الكلام الذي يدخله الإعراب والتصريف، فكأنه والحال هذه لا يختلف عن كلام العرب إلا في اصل

---

١. ينظر مولد اللغة، لأحمد رضا: ١١٠

الوضع.

- **خامساً: ظاهرة الاشتقاق/**

الكلمات في اللغة العربية تنتمي إلى فصائل لغوية مشتركة تتمثل بقوالب صرفية تلتقي بها مع مثيلاتها في مادتها ومعناها: كتب - كاتب - مكتوب - كتابة - كتاب.. فتشترك هذه الكلمات في مقدار من حروفها وجزء من أصواتها. وتنتمي هذه الألفاظ إلى أصل واحد في قدر من المعنى وهو معنى المادة الأصلية العام وإن اشتراك الألفاظ، المنتمية إلى أصل واحد في أصل المعنى وفي قدر عام منه يسري في جميع مشتقات الأصل الواحد مهما اختلف العصر أو البيئة.

والذي يعطي الكلمة العربية هذه المساحة من الحركة في قوالبها الصرفية هو الاشتقاق وهو

هو: عملية استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من أخرى، والقياس هو الأساس الذي تبنى عليه هذه العملية.

ويقول ابن جني: «أن الاشتقاق عندي على ضربين، كبير وصغير، فالصغير ما في أيدي الناس وكتبهم. كأن تأخذ أصلاً من الأصول فتقرأه فتجمع بين معانيه، وإن اختلفت صيغه ومبانيه. ذلك كتركيب، من س ل م، فإنك تأخذ منه معنى السلامة في تصرفاته نحو سلم ويسلم وسالم وسلمى والسلامة.. »[1]

الاشتقاق من منظور عام هو أن تجد بين اللفظين تناسباً في أصل المعنى فترد أحدهما إلى الآخر، فالمردود مشتق والمردود إليه مشتق منه.

الاشتقاق هو: عملية استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من أخرى، أو استخراج لفظ من آخر متفق معه في المعنى والحروف الأصلية. وقد عني علماء العربية بالاشتقاق منذ بدايات الدرس اللغوي حينما ربطوا بين الألفاظ ذات الأصوات

---

١. الخصائص:١:٥٢٥.

المتماثلة والمعاني المتشابهة، إذ اتضحت لهم ناحية الأصالة والزيادة في مادة الكلمة. وقد اقتفى المحدثون ذلك الأثر فضلا عن المستشرقين الذين اتجهوا إلى دراسة اللغات السامية إذ ظهر لهم أن ألفاظها تعتمد على جذور تعتبر الأصل في كل اشتقاق وأن الجذر الثلاثي الأصول هو الأكثر شيوعًا مثل: «ضرب ــ فهم ــ كتب»

- **ويقسم الاشتقاق على أقسام عده:**

الاشتقاق الصغير: وهو نزعك لفظاً من لفظ، ولو مجازاً، بشرط أن يكون بين اللفظين اتفاق في الحروف الأصول وترتيبها، وتناسب في المعنى، كاشتقاقك الضارب من الضرب.

وقد عنوا بقولهم «ولو مجازاً» أحد أمرين: الأول أن تنزع المشتق من المشتق منه، وهو منطوٍ على معناه المجازي، كاستعمالك المثقف «اسم المفعول» بمعنى المؤدب والمعلم، اشتقاقاً من التثقيف بمعنى التأديب والتعليم، وعلى المجاز. والثاني أن تطلق «الضارب» مثلاً على من لم يضرب لأنه سيضرب، وهو في الحقيقة لمباشر الضرب، أو على من ضرب وهو لا يضرب الآن، كما ذهب إليه بعضهم.

أو هو أن تأخذ أصلاً من الأصول، فتتقراه فتجمع بين معانيه وإن اختلفت صيغه ومبانيه نحو: «س ل م » حيث يجتمع فيه معنى السلامة في صرفه نحو: سلم، يسلم سالم، سلمان، سلمى، السلامة، والسليم [1] وهذا الاشتقاق نوع من التوسع في اللغة يساعدها على مسايرة التطور الاجتماعي. إي أن الاشتقاق العام نوع من التوسع في اللغة تلجأ إليها المجامع اللغوية للتعبير عما قد يستحدث من معانٍ، ومذهب جمهور العلماء بصدد هذا الاشتقاق أنه لا يصح القيام به إلا حين يكون له سند من نصوص اللغة، ولما ثبت لهم أن بعض المشتقات كاسم الفاعل واسم المفعول ونحوهما قد رويت كثيرًا في أساليب العرب قالوا: إن هذا النوع من المشتقات قياسي يسمح لمستعملي اللغة من أيأتوا بصورة لفظية مشتقة تكون مقيسة على المروي من

١. ينظر الخصائص:١:٥٢٥، وينظر المثل السائر:٢:٣١٩.

أساليب العرب، وعلى هذا سيكون لاشتقاقهم أساس أو سند قوي يبرر تلك العملية الاشتقاقية، وهذا هو الاشتقاق الذي يعد محل إجماع العلماء قديمهم وحديثهم.

- **الاشتقاق الكبير:**

أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثية فتقعد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحدًا، وتجتمع عليه التراكيب الستة، وما يتصرف من كل واحد منها عليه، وإن تباعد شيء من ذلك عنه رُدَّ بلطف الصنعة والتأويل إليه ومن أمثلته لفظة«جبر» وتقليباتها «جرب بجر برج رجب ربج » وتفيد كلها معنى «القوة والشدة » وهو عند ابن جني يعرف بالكبير والأكبر، إذ قال: «وأما الاشتقاق الأكبر – أي الكبير – فهو أن تأخذ أصلاً من الأصول الثلاثة فتعقد عليه وعلى تقاليبه الستة معنى واحداً، تجتمع التراكيب الستة وما يتصرف من كل واحد منها، عليه، وإن تباعد شيء من ذلك رُدّ بلطف الصنعة والتأويل إليه. كما يفعل الاشتقاقيون ذلك في التركيب الواحد. وقد كنا قدمنا ذكر طرف من هذا الضرب، من الاشتقاق، في أول هذا الكتاب«يقصد كتابه الخصائص» عند ذكر أصل الكلام والقول، وما يجيء من تقليب تراكيبها نحو: ك ل م، ك م ل، م ل ك، ل ك م، ل م ك، وكذلك في ق و ل، و ق ل،... وهذا أغوص مذهباً وأحزن مضطرباً، وذلك أنا عقدنا تقاليب الكلام الستة، على القوة والشدة، وتقاليب القول الستة، على الإسراع والخفة.. »[1] فالاشتقاق الكبير أن يكون اتفاق بين الحروف دون تريبها، إذ يعول فيه على ائتلاف الحروف في المادة دون ترتيبها، وهو يلزمك أبداً أن تتلمس للحروف الأصلية المؤتلفة هذه، أصلاً مشتركاً من المعنى، على أي صورة شكلت. وإذا كان ابن فارس قد تذرع في «المقاييس» بالاشتقاق الصغير ليرد مفردات المادة الواحدة إلى أصل من المعنى، فقد تذرع ابن جني، وأستاذه أبو علي حينا، بالاشتقاق الكبير، لينشد في تقاليب المادة كيف ركبت،

---

١. الخصائص:١:٥٢٥.

جنساً من المعنىٰ.

ونتيجة ذلك نجد بعض العلماء قد تكلف من الجهد في تقليب الأصل الواحد علىٰ وجوهه كيف شُكلت، ما ذهب بهم إلىٰ القول بعدم اطراده قال بن جني: «واعلم أنَّا لا ندّعي أن هذا مستمر في جميع اللغة، كما لا ندّعي للاشتقاق الأصغر – أي صغير – أنه في جميع اللغة بل إذا كان ذلك الذي هو في القسمة سدس هذا أو خمسه متعذراً صعباً كان تطبيق هذا وإحاطته أصعب مذهباً وأعز ملتمساً.. »[1].

قال ابن جني: «علىٰ أن هذا وإن لم يطَّرد وينقد في كل أصل، فالعذر علىٰ كل حال فيه، أبين منه في الأصل الواحد، من غير تقليب لشيء من حروفه. فإذا جاز أن يخرج بعض الأصل الواحد من أن تنظمه قضية الاشتقاق، كان فيما تقلبت أصوله«فاؤه وعينه ولامه» أسهل والمعذرة فيه أوضح»[2]. والىٰ هذا ذهب جلال الدين السيوطي إلىٰ القول في كتابه المزهر حول الاشتقاق الكبير: «وهذا مما ابتدعه الإمام أبو الفتح وكان شيخه الفارسي يأنس به يسيراً، وليس معتمداً في اللغة ولا يصح أن يستنبط به اشتقاق في لغة العرب»[3]. ولم يقف اللغويون عند تلك التقليبات بل ذهبوا إلىٰ الإيغال في معانيها إذ ربطوا تلك المباني المختلفة بمعنىٰ له صفة العموم فيها معتمدين أصلا مفترضا لها . وقد بحث هذا الاشتقاق ابن الأثير في المثل السائر: «واعلم انا لا ندعي ان هذا يطرد في جميع اللغة، بل قد جاء شيء منها كذلك، وهذا ما يدل علىٰ شرفها وحمتها، لان الكلمة الواحدة تتقلب علىٰ ضروب من التقاليب، وهي مع ذلك دالة علىٰ معنىٰ واحد، وهذا من اعجب الأسرار التي توجد في لغة العرب وأغربها »[4]. وذهب الشيخ العلايلي إلىٰ رد القول بان هذه التقليبات تدل علىٰ

---

١. الخصائص:١:٥٣٠

٢. الخصائص: ١١\١

٣. المزهر: ٢٠٨\١.

٤. المثل السائر:٢:٣٢٢.

معنىٰ واحد في اصل الوضع، بل هو تصور عقلي يعوزه التطبيق والاستقراء[1]. والاشتقاق الكبير وفي ضوء تلك المعطيات نجده يخالف الاشتقاق الأكبر الذي قيل فيه هو حُدّ تتفق في اللفظين بعض الحروف وتتقارب في الباقي نحو جبل وجبر، وحلف وحرف، وهمس وهمش. وهذا ما سنأتي عليه.

- **الاشتقاق الأكبر:**

أن تتحد الكلمات في بعض الحروف وتختلف في باقيها مع اتحادها في المخرج.. مثال: «أزّ، هزّ و نعق، نهق و الجثل، الجفل» أو انه إقامة حرف مكان حرف اخر في الكلمة نفسها بشرط المناسبة في الصفة والمخرج نحو نهق ونعق وثلب وثلم[2] والأجدر بهذا القسم أن يبحث عادة في وسيلة القلب والإبدال، كون الكلمة المشتقة (المبدلة احد أصولها» ترتبط مع الصور اللفظية الآخر ببعض المعاني ارتباطا عاما لا يتقيد بالأصوات نفسها بل بترتيبها الأصلي والذي ترشحت عنه، نحو كلمة «الصراط والسراط والزراط، و الهديل والهدير..

وقد جيء بهذا الضرب من الاشتقاق في الخصائص في باب «تصاقب الألقاط لتصاقب المعاني» واستدل عليه بجملة من المفردات إلىٰ تمثلت بالمعنىٰ عينه وبعض أصول الجذر اللغوي نحو: جنف وجرف وعسف و اسف[3].

ويرىٰ الدكتور عبد الحسين المبارك ان سبب هذه الظاهرة الصوتية «الاشتقاق الأكبر» مترشح عن الإبدال الصوتي الذي جيء به نتيجة الخطأ في السمع أو التصحيف والتحريف فضلا عن التغاير اللهجي بين البيئات اللغوية[4].

---

١. مقدمة لدرس لغة العرب: ٢٠٦

٢. ينظر فقه العربية وخصائصها:٢٠٦.

٣. ينظر الخصائص:١:٥٣٨.

٤. ينظر فقه اللغة:١١٨.

- **سادسا: النحت في اللغة العربية**

النحت اللغوي ضرب من الاشتقاق، إذ انقسم الباحثون من علماء اللغة إزاء نسبة النحت إلى الاشتقاق، إلى أربعة فرقاء:

الفريق الأول: ويرى «أنّ مراعاة معنى الاشتقاق و جعل النحت نوعاً منه: ففي كلّ منهما توليد شيء من شيء، وفي كل منهما فرع وأصل، ولا يتمثّل الفرق بينهما إلاّ في اشتقاق كلمة من كلمتين أو أكثر على طريقة النحت واشتقاق كلمة من كلمة في قياس التصريف»[1].

الفريق الثاني: ويذهب إلى أنّ النحت غريب عن نظام اللغة العربية الاشتقاقي. لذلك لا يصحّ أن يعد قسماً من الاشتقاق فيها. وحجّته أن لغويّينا المتقدّمين لم يعتبروه من ضروب الاشتقاق، وأنه يكون في نزع كلمة من كلمتين أو أكثر، بينما يكون الاشتقاق في نزع كلمة من كلمة. زد على ذلك أنّ غاية الاشتقاق استحضار معنى جديد، أما غاية النحت فالاختصار ليس إلاّ[2].

الفريق الثالث: ويمثله الشيخ عبد القادر المغربي. وقد توسط بين الفريقين السابقين: فاعتبر النحت «من قبيل الاشتقاق وليس اشتقاقا بالفعل، لأن الاشتقاق أن تنزع كلمة من كلمة. والنحت أن تنزع كلمة من كلمتين أو أكثر، وتسمى تلك الكلمة المنزوعة منحوته»[3].

الفريق الرابع: وقد انفرد به العلامة محمود شكري الألوسي. وقد أدرج النحت في باب الاشتقاق الأكبر.

فيقول: «و «النحت» بأنواعه، من قسم «الاشتقاق الأكبر»»[4].

---

١. ينظر دراسات في فقه اللغة :د. صبحي الصالح:٢٤٣-٢٤٤.

٢. ينظر الاشتقاق :للدكتورفؤادترزي:٣٦٣ وفقه اللغة وخصائص العربية :لمحمدالمبارك:١٤٨-١٤٩ . وفقه اللغة العربية وخصائصها للدكتور أميل يعقوب:٢٠٩

٣. الاشتقاق والتعريب :للشيخ عبدالقادرالمغربي:١٣

٤. كتاب النحت وبيان حقيقته ونبذة من قواعده، للعلامة السيد محمود شكري الألوسي، تحقيق وشرح محمدبهجةالأثري:٣٩، ط. المجمع العلمي العراقي، سنة ١٤٠٩هـ.

وعنده أن الاشتقاق الأكبر هو: «أن يؤخذ لفظ من لفظ، من غير أن تعتبر جميع الحروف الأصول للمأخوذ منه، ولا الترتيب فيها، بل يكتفى بمناسبة الحروف في المخرج، ومثلوه بمثل: نعق، من النهق، والحوقلة من جملة: لاحول ولا قوة إلا بالله، للدلالة على التلفظ بها»[1].

وما ذكره العلامة الألوسي -سلفا-، أعتبره خلطا غير مُرِّضٍ، إذ النحت يتميز عن الاشتقاق الأكبر بتوليد جديد له بعض خواص الاشتقاق.

ويمكننا القول ان النحت من قبيل الاشتقاق وليس اشتقاقا بالفعل -كما قال الشيخ المغربي-، من حيث أن عنصر التوليد فيه ظاهر، والذي عليه مدار الاشتقاق وبينهما اختلاف غير يسير.

- **حدُّ النحت في اللغة:**

يعرف النحت بالاشتقاق الكبّار[2] و أصله في اللغة: هو النشر والبري والقطع[3]. ويقال: نحت النجّار الخشب والعود إذا براه وهذب سطوحه، ومثله في الحجارة والجبال، وقال تعالى: (وتنحتون من الجبال بيوتاً فرهين)الشعراء/ ١٤٩

والنحت في الاصطلاح: أن تعمد إلى كلمتين أو جملة فتنزع من مجموع حروف كلماتها كلمة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها. ولما كان هذا النزع يشبه

---

١. المصدر نفسه:٣٨

٢. ينظر موضوعة النحت في المزهر :للسيوطي، ١:٤٨٢-٤٨٥. وكتاب النحت وبيان حقيقته ونبذة من قواعده: للعلامة السيد محمود شكري الألوسي، تحقيق وشرح محمد بهجة الأثري، . مطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٤٠٩هـ. أولاشتقاق: للأستاذ عبد الله أمين، ص ٣٨٩ وما بعدها.
ومن أسرار اللغة :للدكتور إبراهيم أنيس:٧١ وما بعدها. وكتاب النحت في اللغة العربية :للدكتور نهاد الموسى، الطبعة الأولى – دار العلوم للطباعة والنشر بالرياض سنة١٤٠٥هـ. ودراسات في فقه اللغة:٢٤٣ .

٣. ينظر: لسان العرب"و" تاج العروس"مادة: ن. ح، ت.

النحت من الخشب والحجارة سمِّيَ نحتا[1].

وهو في الاصطلاح اللغوي: «أخذ كلمة من كلمتين متعاقبتين، واشتقاق فعل منها»[2].

ويعد الخليل بن أحمد «ت ١٧٥ هـ» هو أوّل من أكتشف ظاهرة النحت في اللغة العربية حين قال: «إن العين لا تأتلف مع الحاء في كلمة واحدة لقرب مخرجيهما كونهما من المخرج الصوتي نفسه، إلاّ أن يُشتَق فَعِلٌ من جمع بين كلمتين مثل «حيّ على» كقول الشاعر:

أقول لها ودمع العين جار ألم يحزنك حيعلة المنادي

فهذه كلمة جمعت من «حيّ» ومن «على». ونقول منه «حيعل، يحيعل، حيعل»[3].

ويعرّف الدكتور نهاد الموسى النحت بقوله: هو بناء كلمة جديدة من كلمتين أو أكثر أو من جملة، بحيث تكون الكلمتان أو الكلمات متباينتين في المعنى والصورة، إذ تكون الكلمة الجديدة آخذة منهما جميعاً بحظ في اللّفظ، دالة عليهما جميعاً في المعنى[4].

ويعد تعريف الدكتور نهاد الموسى الذي أوردناه في ما سبق من القول، أشمل تعريف للنحت كونه قارب بين التعريفات التي ساقها اللغويون من قبل.

- **صور النحت في اللغة العربيّة:**

لقد ورد النحت في اللغة العربية على صور عديدة أهمّها[5]:

تأليف كلمة من جملة لتؤدي مؤدّاها، وتفيد مدلولها، كبسمل المأخوذة من «بسم

---

١. ينظر الاشتقاق والتعريب :للأستاذ عبد القادر المغربي: ١٣

٢. ينظر :العين :للخليل بن أحمد، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي:١:٦٠، ط. دار الرشيد ببغداد، سنة ١٩٨٠م.

٣. ينظر :النحت بين مؤيديه ومعارضيه :للدكتور فارس فندى البطاينة:١٢٢، بحث منشور بمجلة "اللسان العربي (العدد٣٤ سنة١٩٩٠م. ، وهي دوريّة متخصّصة سنوية تصدر عن مكتب تنسيق التعريب بالمملكة المغربية.

٤. ينظر: النحت في اللغة العربية :٦٥-٦٧

٥. ينظر فقه اللغة :د. علي عبدالواحدوافى:١٨٦

الله الرحمن الرحيم»، وحيعل المأخوذة من «حي على الصلاة، حي على الفلاح».

ومما ورد في كلام العرب:

لقد «بَسْمَلَتْ» ليلى غداة لقيتها فيا حبّذا ذات الحبيب المبسمل

تأليف كلمة من المضاف والمضاف إليه، عند قصد النسبة إلى المركب الإضافي إذا كان علماً كعبشمي في النسبة إلى عبد شمس، وعبد ري في النسبة إلى عبد الدار.

تأليف كلمة من كلمتين أو أكثر، تستقل كل كلمة عن الأخرى في إفادة معناها تمام الاستقلال، لتفيد معنى جديدا بصورة مختصرة. وهذا النوع كثير الورود في اللغات الأوربية، قليل في العربيّة وأخواتها الساميات ولم تعرف منه إلا بعض ألفاظ نتيجة تخريج لبعض العلماء، من ذلك «لن» الناصبة، يرى الخليل أنّها مركبة من «لا» النافية و «أن» الناصبة. و «هلم»: يرى الفرّاء أنها من «هل» الاستفهامية، ومن فعل الأمر «هلمَّ» بمعنى أقصد وتعال. وقيل: إنّها مركبة من هاء التنبيه و «لم» بمعنى ضم. و«أيان» الشرطية مركبة من «أي آن» فحذفت همزة آن وجُعلت الكلمتان كلمة واحدة متضمّنة معناهما. وغير خاف أنّ وجود هذا القسم رهن بافتراضات جدليّة وخلافات بين العلماء.

- **الغرض من النحت**[1] :

تيسير التعبير بالاختصار والإيجاز. فالكلمتان أو الجملة تصير كلمة واحدة بفضل النحت.

يقول ابن فارس: «العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار. وذلك» رجل عبشمي «منسوب إلى اسمين»[2] هما عبد وشمس.

وسيلة من وسائل تنمية اللغة وتكثير مفرداتها؛ حيث اشتقاق كلمات حديثة، لمعان حديثة، ليس لها ألفاظ في اللّغة، ولا تفي كلمة من الكلمات المنحوت منها بمعناها.

---

١. ينظر فقه اللّغة:٢٢

٢. الصاحبي :لابن فارس:٢٢٧

- **أقسام النحت**

قام المتأخرون من علماء اللغة من خلال استقرائهم للأمثلة التي أوردها الخليل بن أحمد وابن فارس بتقسيم النّحت إلىٰ أقسام عدّة[1] يمكن حصرها فيما يلي:

النحت الفعلي: وهو أن تنحت من الجملة فعلاً، يدل علىٰ النطق بها، أو علىٰ حدوث مضمونها، مثل: «جعفد» من: جعلت فداك «و بسمل» من: «بسم الله الرحمن الرحيم».

النحت الوصفي: وهو أن تنحت كلمة واحدة من كلمتين، تدل علىٰ صفة بمعناها أو بأشدّ منه، مثل: «ضِبَطْر» للرجل الشديد، مأخوذة من ضَبَط وضَبَر. و«الصّلدم» وهو الشديد الحافر، مأخوذة من الصلد والصدم.

النحت الاسمي: وهو أن تنحت من كلمتين اسما، مثل «جلمود» من: جمد وجلد. و«حَبْقُر» للبرد، وأصله حَبُّ قُرّ.

النحت النسبي: وهو أن تنسب شيئاً أو شخصاً إلىٰ بلدتي: «طبرستان» و «خوارزم» مثلاً، تنحت من اسميهما اسماً واحداً علىٰ صيغة اسم المنسوب، فتقول: «طبرخزيّ» أي منسوب إلىٰ المدينتين كليهما. ويقولون في النسبة إلىٰ «الشافعي وأبي حفيفة»: «شفعنتي» وإلىٰ «أبي حنيفة والمعتزلة»: «حنفلتي»، ونحو ذلك كثير.

النحت الحرفي: مثل قول بعض النحويين، إنّ «لكنّ» منحوتة، فقد رأىٰ القراء أنّ أصلها «لكن أنّ» طرحت الهمزة للتخفيف ونون «لكن» للساكنين، وذهب غيره من الكوفيين إلىٰ أنّ أصلها «لا» و «أن» والكاف الزائدة لا التشبيهيّة، وحذفت الهمزة تخفيفا[2].

النحت التخفيفي: مثل بلعنبر في بني العنبر، وبلحارث في بني الحارث، وبلخزرج في بني الخزرج وذلك لقرب مخرجي النون واللاّم، فلما لم يمكنهم الإدغام

---

١. ينظر: الاشتقاق والتعريب، للأستاذعبدالقادرالمغربي:١٦ ودراسات في فقه اللغة :للدكتور صبحي الصالح:٢٤٩

٢. ينظر :النحت بين مؤيديه ومعارضيه :١٢٢

لسكون اللاّم حذفوا، كما قالوا: مست وظلت. وكذلك يفعلون بكلّ قبيلة تظهر فيها لام المعرفة، فأمّا إذا لم تظهر اللاّم فلا يكون ذلك، مثل: بنى الصيداء، وبنى الضباب، وبنى النجار[1].

وهناك تأويلات ألفاظ قائمة على وجوه فكهة يمكن حملها على النحت، وذلك كالذي أورده الجاحظ «ت٢٥٥هـ» عن أبي عبد الرحمن الثوري، إذ قال لابنه: «...أي بني، إنما صار تأويل الدرهم، دار الهمّ، وتأويل الدينار، يدني إلى النار»[2] ومنه: «كان عبد الأعلى إذا قيل له: لم سمّي الكلب سلوقيا؟ قال: لأنه يستل ويلقى، وإذا قيل له: لم سمّي العصفور عصفوراً؟ قال: لأنه عصى وفرّ»[3].

هذا، وحين نستعرض الشواهد الصحيحة المرويّة عن العرب في النحت لانكاد نلحظ نظاماً محدّداً نشعر معه بما يجب الاحتفاظ به من حروف وما يمكن الاستغناء عنه. وليس يشترك بين كلّ تلك الأمثلة سوى أنّها في الكثرة الغالبة منها تتّخذ صورة الفعل أو المصدر، وأنّ الكلمة المنحوتة – في غالب الأحيان– رباعيّة الأصل.

ومن أشهر الأمثلة الرباعيّة الأصول ما يلي:

كلمة منحوتة من كلمتين مثل «جعفل» «أي» جعلت فداك «وكذلك «جعفد» منحوتة من نفس الكلمتين في بعض الرّوايات.

كلمة منحوتة من ثلاث كلمات مثل: «حيعل» أي قال: «حي على الفلاح».

كلمة منحوتة من أربع كلمات مثل: «بسمل» أي قال: «بسم الله الرحمن الرحيم». أو ربّما كانت هذه الكلمة منحوتة من كلمتين فقط هما «بسم الله».

أكبر عدد من الكلمات التي نحت منها كلمة واحدة هو ذلك القول المشهور «لا حول ولا قوة إلاّ بالله»، فقيل من هذه العبارة: «حوقل» أو «حولق»[4].

---

١. فقه اللغة :د. إبراهيم أبوسكين:٢٣

٢. لبخلاء :للجاحظ، تحقيق طه الحاجري:١٥، ط. دار المعارف: مصر، سنة١٩٥٨م.

٣. المصدر نفسه:١٠٦

٤. من أسرار اللغة د :إبراهيم أنيس:٧٢

- **مذهب ابن فارس في النحت:**

لقد استهوت ابن فارس فكرة النحت وطبّقها على أمثلة كثيرة في كتابه «مقاييس اللغة» فخرج علينا بنظرية مفادها: أنّ أكثر الكلمات الزّائدة على ثلاثة أحرف، منحوت من لفظين ثلاثيين.

يقول ابن فارس في كتابه «مقاييس اللغة»: «إعلم أنّ للرّباعي والخماسي مذهبا في القياس، يستنبطه النظر الدقيق؛ وذلك أنّ أكثر ما تراه منه منحوت، ومعنى النّحت: أن تؤخذ كلمتان وتنحت منهما كلمة تكون آخذة منهما جميعا بحظ. والأصل في ذلك ماذكر الخليل من قولهم: حيعل الرجل إذا قال: حيّ على»[1].

كما يقول ابن فارس في كتابه «الصاحبي»:

«العرب تنحت من كلمتين كلمة واحدة، وهو جنس من الاختصار... وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت. مثل قول العرب للرجل الشديد «ضِبَطْر» من ضَبَطَ وضَبَرَ»[2].

مما سبق؛ نستنتج -كما استنتج أحد الباحثين من قبل[3] -بأن ابن فارس مسبوق في نظريته؛ حيث يشتم من نصّه في المقاييس بأن الخليل بن أحمد قد سبقه في مذهبه المذكور وأنّه يسير على طريقته في ذلك.

- **موقف المحدثين من النحت:**

يقول الدكتور صبحي الصالح: «ولقد كان للنحت أنصار من أئمة اللغة في جميع العصور، وكلّما امتدّ الزمان بالناس ازداد شعورهم بالحاجة إلى التوسّع في اللغة عن طريق هذا الاشتقاق الكبّار، وانطلقوا يؤيدون شرعية ذلك التوسع اللغوي بما يحفظونه من الكلمات الفصيحات المنحوتات.

ولكن النحت ظلّ -مع ذلك- قصّة محكيّة، أو رواية مأثورة تتناقلها كتب اللغة

---

١. مقاييس اللغة :لابن فارس، تحقيق عبدالسلام هارون:٣٢٨-٣٢٩، ط. دار إحياء الكتب العربيةسنة١٣٦٦هـ.

٢. الصاحبي :لابن فارس:٢٧١

٣. ينظر قول الأستاذ إبراهيم أبو سكين في فقه اللغة:٢٤

بأمثلتها الشائعة المحدودة، ولا يفكر العلماء تفكيراً جدياً في تجديد أصولها وضبط قواعدها، حتىٰ كانت النهضة الأدبية واللغوية في عصرنا الحاضر؛ وانقسم العلماء في النحت إلىٰ طائفتين:

طائفة تميل إلىٰ جواز النحت والنقل اللّفظي الكامل للمصطلحات.

وطائفة يمثّلها الكرملي حيث يرىٰ: «أن لغتنا ليست من اللّغات التي تقبل النحت علىٰ وجه لغات أهل الغرب كما هو مدوّن في مصنفاتها. والمنحوتات عندنا عشرات، أمّا عندهم فمئات، بل ألوف، لأنّ تقديم المضاف إليه علىٰ المضاف معروفة عندهم، فساغ لهم النحت. أما عندنا فاللغة تأباه وتتبرأ منه»[1].

وقد وقف الدكتور صبحي الصالح من الطائفتين موقفاً وسطاً حيث يقول: «وكلتا الطائفتين مغالية فيما ذهبت إليه؛ فإن لكلّ لغة طبيعتها وأساليبها في الاشتقاق والتوسّع في التعبير. وما من ريب في أنّ القول بالنحت إطلاقا يفسد أمر هذه اللغة، ولا ينسجم مع النسيج العربي للمفردات والتركيبات، وربّما أبعد الكلمة المنحوتة عن أصلها العربي. وما أصوب الاستنتاج الذي ذهب إليه الدكتور مصطفىٰ جواد حول ترجمة «الطب النفسي الجسمي psychosomatic»، فإنّه حكم بفساد النّحت فيه «خشية التفريط في الاسم بإضاعة شيء من أحرفه، كأن يقال: «النفسجي» أو النفجسمي» ممّا يبعد الاسم عن أصله، فيختلط بغيره وتذهب الفائدة المرتجاة منه»[2].

- **النحت بين السّماع والقياس:**

يقرّر الدكتور إبراهيم نجا -رحمة الله- أن: «النحت سماعي. وليس له قاعدة يسير وفقها القائلون، إلاّ في النسبة للمركب الإضافي. فقد قال العلماء إنه مبنيّ علىٰ تركيب كلمة من اللفظين علىٰ وزن «فعلل»، بأخذ الفاء والعين من كلّ لفظ ثم ينسب للفظ الجديد كعبشميّ في عبد شمس، وعبد ريّ في عبد الدار، وتيمليّ في تيم

١. دراسات في فقه اللغة :٢٤٦-٢٦٦

٢. ينظر المصدر نفسه:٢٦٦

اللاّت. وفي غير ذلك مبنىٰ علىٰ السّماع والأخذ عن العرب»[1].

غير أنّ بعض الباحثين المتأخرين فهموا نصّ ابن فارس: «... وهذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة علىٰ ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت»[2] -فهموه فهماً مختلفاً؛ فقد استنتج بعضهم من هذا النص أنّ ابن فارس يرىٰ أنّ النحت قياسي.

يقول الدكتور إبراهيم أنيس: «ومع وفرة ما روي من أمثلة النحت تحرج معظم اللّغويين في شأنه واعتبروه من السّماع، فلم يبيحوا لنا نحن المولدين أن ننهج نهجه أو أن ننسج علىٰ منواله. ومع هذا، فقد اعتبره ابن فارس قياسيا، وعده ابن مالك في كتابه التسهيل قياسيّا كذلك»[3].حيث يقول «ابن مالك» في التسهيل: قد يُبْنَىٰ من جُزأي المركب فَعْلَلَ بفاء كل منهما وعينه، فإن اعتلّت عين الثاني كمل البناء بلامه أو بلام الأول ونسب إليه. وقال أبو حيّان في شرحه: وهذا الحكم لا يطّرد؛ إنّما يقال منه ما قالته العرب، والمحفوظ عَبْشميّ في عبد شمس، وعبد ريّ في عبد الدار، ومرقسيّ في امرئ القيس، وعَبْقَسَىٰ في عبد القيس، وتيملي في تيم الله. انتهىٰ[4].وقد علّقت لجنة النحت بمجمع اللغة العربية في القاهرة علىٰ هذا الاختلاف بالقول: «... وقد نقلنا فيما تقدّم عبارة ابن فارس في فقه اللغة، وهي لا تفيد القياسية إلاّ إذا نظر إلىٰ أنّ ابن فارس ادعىٰ أكثرية النحت فيما زاد عن ثلاثة، ومع الكثرة تصحّ القياسية والاتساع»[5].

وهكذا يظلّ النحت بين قياس وسماع بين اللغويين، ووقف مجمع اللغة العربية من ظاهرة النحت موقف المتردّد في قبول قياسيته، حتىٰ «تجدد البحث أخيراً حول إباحته أو منعه، فرأىٰ رجال الطبّ والصيدلة والعلوم الكيماوية والحيوانية والنباتية

---

١. فقه اللغة العربية :للدكتور إبراهيم محمد نجا:٥٦، وفقه اللغة :للدكتور إبراهيم أبوسكين:٢٥
٢. الصاحبي :لابن فارس:٢٧١
٣. من أسرار اللغة :د. إبراهيم أنيس:٧٢
٤. ينظر :المزهر، للسيوطي:١:٤٨٥
٥. ينظر :مجلة المجمع :٧:٢٠٢و النحت في اللغة العربية :للدكتورنهادالموسىٰ:٢٤٨

في إباحته وسيلة من خير الوسائل التي تساعدهم عند ترجمة المصطلحات الأجنبية إِلى اللغة العربية»[1].

ومن هنا؛ انتهى مجمع اللغة العربية بالقاهرة إِلى قرار سنة ١٩٤٨م يفيد: «جواز النّحت في العلوم والفنون للحاجة الملحّة إِلى التعبير عن معانيها بألفاظ عربيّة موجزة»[2].

ولكن بشرط انسجام الحروف عند تأليفها في الكلمة المنحوتة، وتنزيل هذه الكلمة على أحكام العربية، وصياغتها على وزن من أوزانها.

وبتحقيق هذه الشروط يكون النّحت -كجميع أنواع الاشتقاق- وسيلة رائعة لتنمية هذه اللغة وتجديد أساليبها في التعبير والبيان من غير تحيّف لطبيعتها، أو عدوان على نسيجها المحكم المتين[3].



١. اللغة والنحو :عباس حسن: ٢٤٥، ط. دارا لمعارف في مصر، سنة ١٩٦٦، ومن أسرار اللغة :د. إبراهيم أنيس، : ٧٤-٧٥

٢. مجلةالمجمع٢٠:٧.

٣. دراسات في فقه اللغة :للدكتور صبحي الصالح : ٢٧٤

المصـــــادر والمراجـــــع

- الأبجدية، نشأة الكتابة وأشكالها عند الشعوب، لأحمـد هبّـو، دار الحـوار، اللاذقية، ١٩٨٤م.
- أبو الأنبياء لعباس محمـود العقـاد، كتاب اليوم، ١٩٥٣م.
- ابـو البركـات البغـدادي و فلسـفته الالهيـة دراسـة لموقفـه النقـدي مـن فلسـفة ابـن سـينا، د جمـال رجـب سـيدبي، مكتبـة وهبـه/ : القـاهرة/ ط(١) ١٩٩٦م.
- الإتقان في علوم القران لجلال الـدين السيوطي، بيروت دار الفكر.
- الاحكام في أصول الاحكـام، لابـن حـزم، تحقيـق: أحمـد شـاكر، نشرـ: زكريا علي يوسف، مطبعة القاهرة.
- احسن التقاسيم في معرفـة الأقـاليم، للمقدسي المعروف بالبشاري، وضع مقدمته وحواشيه وفهارسه، د. محمد مخـزوم، دار إحيـاء الـتراث العـربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٨١٩٨٧.
- اختلاف الروايـة في شـواهد سـيبويه الشعرية، د. حسن موسى الشـاعر، دار البشـير، عـمان، ط(١) لسـنة ١٤١٣١٩٩٢.
- الأدب الجاهلي بـين لهجـات القبائـل واللغة الموحـدة، د. هاشـم الطعـان، منشـورات وزارة الثقافـة والفنـون لسنة ١٩٧٨.
- ارتشاف الضرب من لسان العـرب، لأبي حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)، تح: د. رجب عثمان محمـد، مراجعـة د. رمضـان عبـد التـواب، مكتبـة الخـانجي، ط(١) لسـنة ١٤١٨١٩٩٨.
- الاسـاس في فقـه اللغـة العربيـة وأرومتهـا، للـدكتور هـادي نهـر، ط(٢) دار الامـل للنشرـ والتوزيـع اربد، ٢٠٠٥
- الاساس في فقه اللغة لفولفد يـتريش فيشر، ترجمة سـعيد حسـن بحـيري، ط(١) مؤسسة المختار ٢٠٠٢م.
- أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة: احمد مختار عمـر، جامعـة طـرابلس، ١٩٧٣.
- الاشتقاق عبد الله امين، لجنة التأليف والترجمة، القاهرة.
- الاشـتقاق، لفـؤاد حنـا تـرزي، دار الدعوة للطبع والتوزيع،١٩٦٩م.
- الاشـتقاق والتعريـب، لعبـد القـادر المغـربي، مطبعـة الهـلال، مصرـ ١٩٠٨م.
- أصالة علم الأصوات عند الخليل من خلال مقدمة كتاب العـين، د. احمـد محمـد قـدور، دار الفكـر، دمشـق،

ط(٢) لسنة ١٤٢٢٢٠٠٣.
- الأصوات اللغوية، د. إبراهيم أنيس، مكتبة الانجلو المصرية، ط(٤) لسنة ١٩٩٩.
- الأصول دراسة أبستمولوجيه للفكر العربي عند العرب، للدكتور تمام حسان، الهيئة العامة للكتاب، مصر- ١٩٨٢م.
- الأصول في النحو، لأبي بكر محمد بن سهل بن السراج (ت٣١٦هـ)، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط(٢) لسنة ١٤٠٧١٩٨٧.
- الاضداد لابن الانباري ابي محمد بكر بن القاسم، تحقيق: محمد ابو الفضل ابراهيم، دائرة المطبوعات والنشر، الكويت، ١٩٦٠م.
- الاطلس اللغوي في التراث العربي(دراسة في كتاب سيبويه) للدكتور خالد نعيم، ط(١) دار السياب لندن ٢٠١٠م.
- إعراب القران، لأبي جعفر احمد بن محمد النحاس (ت٣٣٨هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه عبد المنعم خليل ابراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١) لسنة ١٤٢١٢٠٠٢.
- الإعلام، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط(٦) لسنة ١٩٨٤.
- الامالي الشجرية، للسيد ضياء الدين ابي السعادات هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الشجري، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
- الإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين، لكمال الدين ابي البركات الانباري (ت٥٧٧هـ)، دار إحياء التراث.
- ايجاز التعريف في علم التصريف، لابن مالك (ت٦٧٢هـ)، تح: د. حسن احمد العثمان، مؤسسة الريان، بيروت، ط(١) لسنة ١٤٢٥٢٠٠٤.
- الايضاح في علل النحو لابي القاسم الزجاجي(٣٣٧) تحقيق: مازن مبارك، ط(١) دار الضنائن، بيروت، ١٩٧٩م.
- بحوث ومقالات في اللغة، رمضان عبد التواب،مكتبة الخانجي ط(٢) القاهرة، ١٩٨٨م.
- البخلاء، للجاحظ، تحقيق: طه الحاجري، دار المعرف بمصر، ١٩٥٨م.
- بحار الانوار للعلامة المجلسي-(١١١٠) مؤسسة الوفاء، بيروت لبنان ١٤٠٢هـ.
- البرهان في علوم القران، لبدر الدين الزركشي، تحقيق/ محمد أبو الفضل ابراهيم،دار التراث.
- البيان والتبين، للجاحظ، تحقيق: عبد

السلام محمد هارون، ط(٣٩) مكتبة الخانجي، القاهرة،١٩٦٨م

- تاريخ اللغات السامية، لاسرائيل ولفنسو، مطبعة الاعتماد،مصر، ١٩٢٩م.
- التبيان في اعراب القران للعكبري لعبد الله بن الحسن بن عبدالله العكبري(٦١٦) ط(١) القاهرة ٢٠٠٨م.
- التبيان في شرح الديوان لابي البقاء العكبري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ١٩٧١م.
- التطور اللغوي التاريخي، إبراهيم السامرائي، بيروت – لبنان، ط٢ لسنة ١٩٨١ ١٤٠١.
- التطور النحوي للغة العربية، برجشترآسر، أخرجه وصححه وعلق عليه، د. رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة ط٤ لسنة ١٤٢٣ – ٢٠٠٣.
- التعريفات، لعلي بن محمد الجرجاني، مكتبة لبنان، ١٩٨٥م.
- التلخيص في علوم البلاغة، لجلال الدينم محمد القزويني، ضبطه وشرحه، عبد الرحمن البرقوقي،المكتبة التجارية الكبرى.
- ٤٢ .تهذيب اللغة لأبي منصور محمد بن احمد الأزهري ت (٣٧٠هـ) إشراف محمد عوض مرعب، وعلق عليها عمر سلامي وعبد الكريم حامد، دار إحياء التراث العربي، ط١ لسنة ٢٠٠١ ١٤٢١
- تهذيب المقدمة اللغوية، العلايلي، د.اسعد علي، دار النعمان، بيروت، ط١ لسنة ١٩٦٨ ١٣٨٨.
- جمهرة اللغة لابن دريد محمد بن الحسن الازدي، تحقيق:رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين،ط(١) ١٩٨٧م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط(٤)، لسنة ١٩٩٧.
- الخصائص، لأبى فتح عثمان بن جني، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(٢)، لسنة ٢٠٠٣ ١٤٠٤.
- الخط العربي و تطوره في العصور العباسية،سهيله الجبوري، مطبعة الزهراء بغداد، ١٩٦٢م.
- دراسات في علم اللغة، د. كمال محمد بشر، دار غريب للطباعة والنشر، مصر،١٩٩٨.
- دراسات في فقه اللغة، للدكتور صبحي الصالح، ط(٤) دار الملايين، بيروت ١٩٧٠م.
- دراسات في كتاب سيبويه، د. خديجة

الحديثي، الكويت، ١٩٨٠.
- الدرر اللوامع على همع الهوامع أبي الفرج البغدادي، دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع، ١٩٩٩
- دروس في علم الأصوات العربية، لجان كانتنيو، ترجمة صالح القرمازي، الجامعة التونسية، ١٩٦٦.
- دلائل الإعجاز في علم المعاني، لعبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(١) لسنة ١٤٢٢٢٠٠١.
- دلالة الاعراب لدى النحاة القدماء، بتول قاسم ناصر، دار الشؤون الثقافية،١٩٩٩م.
- ديوان الاعشى، شرح وتعليق: محمد محدم حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت ط(٧)١٩٨٣م.
- الرواية والاستشهاد باللغة، للدكتور محمد عيد، عالم الكتب،١٩٧٢م.
- رواية اللغة، عبد الحميد الشلقاني، دار المعارف، مصر.
- سر صناعة الإعراب، لأبى الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تح: محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، ط(١)، لسنة ٢٠٠٠.
- سفر التكويناالاصحاح الثاني والاصحاح العشر.
- شرح أبيات سيبويه، لأبي جعفر احمد بن محمد النحاس (ت٣٣٨هـ)، تح: زهير غازي زاهد، مطبعة الغري الحديثة، النجف، ط(١) لسنة ١٩٧٤
- شرح أبيات سيبويه، لأبى محمد يوسف بن ابي سعيد السيرافي، (ت٣٨٥هـ)، تح: احمد علي سلطان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، مطبعة الحجاز، دمشق، لسنة ١٣٣٦١٩٧٦.
- شرح أشعار الهذليين، صنعه أبو سعيد الحسن السكري، (ت٢٧٥هـ)، ضبطه وصححه خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١ لسنة ١٤٢٧٢٠٠٦.
- شرح التصريح على التوضيح، للشيخ خالد بن عبدالله الازهري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، لسنة ١٤٢٧٢٠٠٦.
- شرح جمل الزجاجي، لابن عصفور الاشبيلي (ت٦٦٩هـ)، تح: د. أنيس بديوي، دار إحياء التراث العربي، ط١ لسنة ٢٠٠٣.
- شرح شافية ابن الحاجب، للشيخ رضي الدين الاسترابادي مع شرح شواهده لعبد القادر البغدادي (جزء٤)، حققهما محمد محي الدين عبد الحميد ورفاقه، دار احياء التراث

العربي، بيروت، ط١ لسنة ١٤٢٦٢٠٠٥.
- شرح كافية ابن الحاجب، للشيخ رضي الدين الاسترابادي، وضع هوامشه د. اميل يعقوب، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ط(١) لسنة ٢٠٠٦.
- شرح المفصل لابن يعيش النحوي، (ت٦٤٣هـ)، حققه وضبطه احمد السيد احمد، وراجعه: إسماعيل عبد الجواد عبد الغني، المكتبة التوفيقية، القاهرة، مصر.
- الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، لأبي الحسن احمد بن فارس، تح: السيد احمد صقر، دار احياء الكتب.
- صبح الاعشى في صناعة الانشا، لابي العباس القلقشندي(٨٢١) الهيأة المصرية للكتاب،مصر ١٩٨٥م.
- الصحاح، لأبي نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، حققه وضبطه شهاب الدين ابو عمرو، دار الفكر،ط١ لسنة ١٤١٨١٩٩٨.
- الصحاح ومدارس المعجمات العربية، احمد عبد الغفور العطار،ط(٢) بيروت، ١٩٦٧م.
- صفة جزيرة العرب، للحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني (ت ٣٣٤هـ)، اصدارات المجمع الثقافي، ابو ظبي، الامارات العربية المتحدة، ٢٠٠٤.
- الصوت اللغوي في القران الكريم، محمد حسن علي الصغير، دار المؤرخ العربي، لبنان، ط١ لسنة ١٤٢٠٢٠٠٠.
- العربية بين أمسها وحاضرها، د. إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد،١٩٧٨.
- العربية ولهجاتها، د. عبد الرحمن أيوب، معهد البحوث والدراسات العربية، لسنة ١٩٦٨.
- العقد الفريد،لابن عبد ربه الاندلسي، تحقيق: احمد امين ورفاقه،مطبعة التأليف والترجمة،القاهرة،١٩٤٠م.
- علم الدلالة، احمد مختار،مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع، ط(١) ١٩٨٢م.
- علم الدلالة والمعجم العربي،لعبد القادر ابو شريفه وزميلاه، ط(١) دار الفكر الاردن،١٩٨٩م.
- علم اللغة العام (الأصوات العربية)، كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، ١٩٨٧.
- علم اللغة العربية، مدخل تاريخي مقارن في ضوء التراث واللغات السامية، د. محمود فهمي حجازي، كويت، ١٩٧٣.

- العمـده في صـناعة الشـعر وآدابـه ونقده، لابن رشيق القيرواني(٤٥٦) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجبل ط(٤) بيروت ١٩٧٢م.
- العين، لأبي عبد الرحمن الخليـل بـن احمـد الفراهيـدي، تـح: د. مهـدي المخزومي ود. إبـراهيم السـامرائي، دار مكتبة الهلال.
- الفاضـل في اللغـة والأدب، لأبـي العبـاس محمـد بـن يزيـد المـبرد (٢٨٥هـ)، تح: عبد العزيز الميمنـي، القاهرة ١٩٥٠.
- الفـروق اللغويـة،لابي هـلال العسـكري، مكتبـة القـدي، القاهرة،١٣٥٣هـ.
- فصـول في فقـه العربيـة، د. رمضـان عبـد التـواب، الخـانجي، القـاهرة، ط٣، ١٩٨٧.
- فصول في فقه اللغة، د. رمضان عبـد التواب، مكتبة دار التراث، القـاهرة، ط١، ١٩٧٣.
- الفصيح في اللغة والنحو حتى اواخر القرن الرابع الهجري، د. عبد الفتـاح محمـد، دار جريـر، ط١، ١٤٢٩٢٠٠٨.
- فقـه اللغـة في كتـب العربيـة، عبـده الراجحـي، دار النهضـة بـيروت، ١٩٧٩م
- فقه اللغة، علي عبد الواحد وافي، دار النهضـة مصرـ للطبـع والنشرـ/ القاهرة.
- فقـه اللغـة، للـدكتور عبـد الحسـين المبارك،مكتبة دار الفكر.
- فقه اللغة العربية، ابراهيم محمد نجا، دار الحديث القاهرة،٢٠٠٨م.
- فقه اللغة وخصائص العربية، لمحمد المبارك، دار الفكر، دمشق، ١٩٦٤م.
- فقه اللغة العربية وخصائصها، أميـل بـديع يعقـوب، دار العلـم للملايين،بيروت، ١٩٨٢م.
- فقه اللغة وسر العربية، لابي منصـور الثعـالبي، تحقيـق: مصـطفى السـقا وابـراهيم البيـاري وعبـد الحفـيظ شـلبي، شركـة مصـطفى البـابي الحلبي،بمصر،١٩٧٤.
- فلسفة اللغة، كمال يوسف الحاج، دار النهضة، بيروت.
- الفن ومذاهبه في النثـر العربي،لاحمـد شوقي ضيف، دار المعارف بمصر.
- في البلاغـة العربيـة والاسـلوبيات اللسـانية افـاق جديـدة، د. سـعد مصـلوح، جامعـة الكويـت، ط١، ٢٠٠٣.
- في البحـث الصـوتي عنـد العـرب، للدكتور خليل ابـراهيم العطيـة، دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٨٣م.
- في التطور اللغوي، د. عبـد الصـبور شاهين،ط٣، ١٩٨٥.

- في علم اللغة العام، د. عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٠١٩٨٠.
- في فقه اللغة وقضايا العربية، د. سميح ابو مغلي، عمان، الأردن، ط١، ١٤٠٧١٩٨٧.
- في اللسان العربي وإشكالية التلقي، حافظ علوي ورفاقه،مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان،ط(١) ٢٠٠٧م.
- في اللهجات العربية، د. إبراهيم انيس،ط(٣) مكتبة الانجلو المصرية.
- الفهرست، لابن النديم محمد بن اسحاق، تح: محمد عوني عبد الرؤوف وايمان السعيد جلال، الهيئة العامة للقصور الثقافية، القاهرة، ٢٠٠٦.
- القاعدة النحوية تحليل ونقد، د. محمود حسن الجاسم، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٤٨٢٠٠٧.
- قاموس اللسانيات، عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، تونس،١٩٨٤م.
- القاموس المحيط، للفيروز آبادي، مؤسسة الرسالة، ط(١) بيروت،١٩٨٦م.
- الكامل في اللغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت٢٨٥هـ)، تح: يحيى مراد، مؤسسة المختار، مصر،ط١ لسنة ٢٠٠٤.
- الكتاب، لعمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (ت١٨٠هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، ط٣، ١٤٠٣١٩٨٣.
- كتاب الحروف للفارابي، تح: محسن مهدي، دار المشرق، بيروت،١٩٦٩.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لأبي القاسم محمد بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ)، تح: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٤٢١٢٠٠١.
- .لسان العرب، لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار الفكر، ط٦، ١٤١٧١٩٩٧.
- اللسان والانسان مدخل الى معرفة اللغة، لحسن ظاظا، دار القلم؛ ١٤١٠ – ١٩٩٠م.
- اللسانية التوليدية والتحويلية عادل فاخوري.. دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت..
- اللغة لفندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلي، و محمد القصاص، الانجلو المصرية، ١٩٩٥م.
- لغات العرب (لغة هذيل)للدكتور

عبد الجـواد الطيـب، مكتبـة الاداب للطباعة والنشر، ١٩٩١م.
- لغـات العـرب واثرهـا في التوجيـه النحـوي، لفتحـي الـدجني، مكتبـة الفلاح.
- اللغـة والنحـو، لعبـاس حسـن، دار المعاف في مصر، ١٩٦٦م.
- اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمـام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط٤.
- لهجة تميم واثرها في العربية الموحدة، د. غالب فاضل المطلبي، منشـورات وزارة الثقافة، ١٩٧٨.
- اللهجات العربيـة الغربيـة القديمـة، جيمـي رابـين، ترجمـة عبـد الـرحمن ايوب، منشورات جامعـة الكويـت، ١٩٨٦.
- اللهجـات العربيـة في غـرب جزيـرة العرب، تشيم رابين، ترجمـة د. عبـد الكريم مجاهد، دار الفارس، الاردن، ط١، ٢٠٠٢.
- اللهجــات العربيــة في القــراءات القرآنيــة، د. عبــده الراجحــي، دار المعارف، مصر، ١٩٦٩.
- لهجة قبيل اسد، د. علي ناصر غالـب، بغداد، ط١، ١٩٨٩.
- اللهجات في القـران الكـريم، راضي محمــد نــواصره، مؤسســة حمــاده للدراسات الجامعية، اربد الأردن.
- المثل السائر لابن الأثير، تحقيق: محمد محـي الـدين عبـد الحميـد، المكتبـة العصرية صيدا، بيروت ١٩٩٠م.
- مجالس ثعلب، لأبي العباس احمد بـن يحيى الثعلب (ت٢٩١هـ)، تح: عبد السلام محمد هـارون، دار المعـارف، ٢٠٠٦.
- مجـالس العلـماء، لأبي القاسـم عبـد الــرحمن بــن إســحاق الزجــاجي (ت٣٣٧هـ)، تح: عبد السلام محمد هارون، الكويت، ١٩٦٢.
- مجمل اللغة، لاحمد بن فارس، دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سـلطان، ط(١) مؤسســــــة الرســــــالة، بيروت،١٩٨٤م.
- محاضرات في فقه اللغة، د. عصام نور الدين، دار الكتب العلمية، بـيروت، لبنان،ط١، ١٤٢٤٢٠٠٣.
- محاضرات في اللهجات والاسـلوب، انــيس فريحــه، معهــد الدراســات العربية، القاهرة، ١٩٥٥م.
- المحتسـب في تبيـين وجـوه شـواذ القـراءات والايضـاح عنهـا، لابـن جنــي، تحقيــق: عــلي النجــدي ورفاقـه،أحياء الـتراث الاسـلامي، القاهرة ١٣٨٦هــ.
- المحرر الـوجيز في تفسـير كتـاب الله العزيـز لابـن عطيـة محمـد بـن عبـد الحـق، تحقيـق: عبـدالله بـن ابـراهيم الانصاري، والسيد عبد العال السيد

ابراهيم، ط(١) دار الكتب، لبنان، بيروت،١٩٩٣م.
- ١٣٨. مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة والنحو،د. مهدي المخزومي، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- مدخل الى فقه اللغة العربية، احمد محمد قدوره، ط(٣) دار الفكر، دمشق، ٢٠٠٣م.
- المدخل الى دراسة اللغات الجزرية،لدكتور سامي سعيد الاحمد، بغداد ١٩٨١م.
- مراتب النحويين، لابي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي، تحقيق: محمد ابو الفضل، مكتبة النهضة بمصر.
- المزهر في علوم اللغة وانواعها، لجلال الدين السيوطي، شرحه وعلق حواشيه محمد ابو الفضل إبراهيم ورفاقه، دار احياء الكتب.
- المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، عبد العزيز الصيغ، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤٢٧٢٠٠٧.
- معاني القران، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، اعتنى به فاتن محمد خليل اللبون، دار إحياء التراث، ط١، ١٤٢٤٢٠٠٣.
- معجر احمد، لابي العلاء المعري، تحقيق: عبد المجيد ذياب، دار المعرف، ط(٢) مصر ١٩٩٣م.
- مقدمة لدرس لغة العرب، للشيخ عبدالله العلايلي، ط(٢) دار الجديد بيروت ١٩٩٧م.
- المعلقة العربية الأولى، نجيب محمد الهبيتي، دار الثقافة في الدار البيضاء ط(١) ١٩٨١م.
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب، لأبي محمد عبدالله جمال الدين بن هشام (ت٧٦١هــ)، خرج آياته وعلق عليه أبو عبدالله علي عاشور الجنوبي، دار أحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠١.
- مفردات غريب القران، لابي الحسن الاصفهاني(٥٠٢) ضبط هيثم طعيمي، دار احياء التراث العربي، ط(١) بيروت لبنان.
- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، د. جواد علي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٧١.
- المفصل في صنعة الأعراب، لأبي القاسم محمود الزمخشري، قدمه علي أبو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ٢٠٠٣.
- مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار احياء التراث،١٣٦٦هــ.
- المقتبس من اللهجات العربية والقرآنية، محمد سالم محيسن، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،

١٩٨٦.
- المقتضب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تح: عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت
- مقدمة ابن خلدون، دار العلم، بيروت، لبنان، ط٦، ١٤٠٦١٩٨٦.
- مقدمة لدراسة فقه اللغة، محمد احمد ابو الفرج، دار النهضة العربية، بيروت، ١٩٦٦م.
- المنصف شرح ابن جني النحوي لكتاب التصريف لأبي عثمان المازني، تح: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط١، ١٣٧٣١٩٥٤.
- من اسرار اللغة، ابراهيم انيس، ط(٣) مكتبة الانجلو المصرية،١٩٦٦م.
- مولد في اللغة، حلمي السيد خليل، رسالة دكتوراه،، ١٩٧٥م.
- النحت في اللغة العربية، نهاد الموسى، ط(١) دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ١٤٠٥هـ.
- النحت بين مؤيديه و معارضيه، لفارس فندي البطاينه، مجلة اللسان، ع(٣٤) لسنة ١٩٩٠م.
- النحت وبيان حقيقة ونبذة من قواعدة، للسيد محمود شكري الالوسي، تحقيق وشرح: محمد بهجه الاثري، مجمع العلمي العراقي، ١٤٠٩هـ.
- نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، علي عبد الواحد وافي، ط(٢) دار نهضة، مصر.
- نشأة النحو وتاريخ اشهر النحاة، لمحمد الانطاكي، دار المعارف بمصر.
- وصف اللغة العربية دلاليا في ضوء مفهوم الدلالة المركزية، لمحمد محمد يوسف علي، جامعة الفاتح ليبيا.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لاحمد بن محمد بن خلكان، تح: احسان عباس، دار صادر، بيروت

البحوث والدوريات

- الجغرافية اللغوية وأطلس برجشتر اسر، د. رمضان عبد التواب، مجلة مجمع العلمي القاهرة، ج/ ٣٧، لسنة ١٩٧٦.
- حديث مع زائر كريم. مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة، السنة السادسة، العدد(٤) ربيع الثاني١٣٩٤هـ أبريل ١٩٧٤م.
- Amaidz; grammaire et the oiogie chez ipn hazm p;4344.

المحتويات



AL- JANOOB CO.
Republic Of Iraq

AL- BASAEER CO.
Lebanon - Beirut